السيد محمد حسين فضل الله



عن سنوات ومـواقــف وشخصيّات

هكذا تحدّث... هكذا قال

حاورته
منى سكريّه

إصدار المركز الإسلامي الثقافي
لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين (ع)

السيد محمد حسين فضل الله
عن سنوات ومواقف وشخصيّات
إصدار المركز الإسلامي الثقافي



الطبعة الثانية

1433هـ ـ 2012م

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام

هاتف: ٥٥٧٠٠٠/ ٠١ ـ ٥٤٤٤٠٢/ ٠١

خليوي: ٥٦٥٠٧٤/ ٠٣

❊ ❊ ❊

البريد الإلكتروني

info@tawasolonline.net

info@fadlullahlibrary.com

❊ ❊ ❊

المواقع الإلكترونية ـ المركز الإسلامي الثقافي

www.tawasolonline.net

www.fadlullahlibrary.com

youtube/tawasolonline

Facebook:

مكتبة العلّامة المرجع السيّد فضل الله العامة

تواصل أون لاين

السيد محمد حسين فضل الله

عن سنوات ومواقف وشخصيّات

● هكذا تحدّث... ● هكذا قال...

حاورته
منى سكريّه

إصدار المركز الإسلامي الثقافي
لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام

مقدّمة الطّبعة الثانية

لماذا الطّبعة الثانية لهذا الكتاب؟

هما أمران:

إنّ الموضوعات الواردة فيه والتي تحدّث فيها السيّد (رضوان الله عليه) بكثير من العمق والشفافية تمثّل رؤى وآفاقاً وطروحات تصلح منهجاً للحياة والإنسان، وهي ليست للحاضر في الزمن وحسب، بل هي للمستقبل من الأيام، لأنّ الفكر الذي يُتقن لغةَ الحياة، يبقى نابضاً بالحياة كونه المُمْسك بحركة الحياة..

الأمر الثاني.. هو هذه الأريحيّة الطيّبة للإعلاميّة والكاتبة الأخت منى سكريّة التي أجرت حوارات هذا الكتاب مع السيد (رضوان الله عليه) والذي صدر عن دار النهار في بيروت عام 2007م، ثم منحت حقوق الطبع للمركز الإسلامي الثقافي، وفاءً منها لروح السيد(رضوان الله عليه)..

ولا يسعنا في المركز الإسلامي الثقافي إلا أن نتقدّم من الإعلاميّة منى سكريّة بخالص التقدير والاحترام والشكر على ما تكرّمت به، سائلين المولى تعالى أن يسدّد خُطاها لمزيد من الإنتاجات الفكريّة والثقافيّة... وأن يعمّ نفعُ هذا الكتاب الأجيالَ الواعية التي تهفو دوماً صوب البحث عن الحقيقة...

مدير المركز الإسلامي الثقافي

شفيق محمد الموسوي

شوال ١٤٣٣ هـ

أيلول ٢٠١٢ م

!

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وبعد،

هذه سلسلة من الحوارات التي كان مقدّراً لها أن تنتهيَ في مدى أشهر معدودات، ولكنّ المشاكل الكثيرة والمنعطفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرّت بها الأُمّة ومرّ بها لبنان في المرحلة السابقة، إضافةً إلى الوضع الصّحي الذي مررت به وصولاً إلى الحرب الإسرائيلية المدمّرة على لبنان... كلّ ذلك جعل الحوار يطول ليمتدّ إلى نحو سنةٍ ونصف، وليسجّل في طيّاته بصمات المرحلة السابقة بحلوِها ومرّها.

وقد ارتأت الأخت الكريمة والصحافية القديرة، منى سكريّة أن تواكب في هذا الحوار تفاصيل القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والأدبيّة لتطلّ ـ من خلاله ـ في كتاب يحتوي المزيد من الأسئلة ويتطلّع إلى الكثير من الأجوبة. وقد آثرت اللجوء إلى الحقيقة كما أتصوّرها وكما أهفو إليها ـ بالكلمات القليلة الهادفة الهادئة في الزمن الذي تتراكض فيه الأفئدة وتتهاوى فيه الأشرعة نحو صخب الحياة وضجيج السياسة وآلام الاجتماع.

هذه صفحة مطويّة من حياتي، مثّلت الكثير من تجاربي وأفكاري وتطلّعاتي وحركتي في ساحات الصراع المتنوّعة التي كنت أحاول فيها أن أعيش فيها البحث عن الحقيقة والصبر على التحدّيات والصمود في مواجهة المواقف السلبية من قِبل الآخرين. وأرجو أن يجد فيها القرّاء بعض الإضاءات لبعض القضايا الحيويّة المصيرية ذات البُعد الإنساني والله ـ سبحانه ـ من وراء القصد.

18 محرّم ـ 1428 هـ

محمد حسين فضل الله

إهداء

إلى روح المرحومة عمّتي «الست أسمى»، وقد حضنتني وأخوتي بعد رحيل والدتنا شهرزاد، رحمها الله، وكنت ما زلت في سنّ مبكرة.

عمّتي التي واكبت القرن العشرين بعد ثلاث سنوات على بداياته ورحلت عنه قبل ثلاث سنوات من أواخر تسعينيّاته، اختصرت معنى الحياة بقيمة إنسانية مكّنتها من مواجهة ابتلاء السنين هي: عزّة النفس.

كانت، رحمها الله، جريئة السؤال، شجاعة في التساؤل، أنيقة المظهر، ولائقة الحضور، بيدين ناعمتين لطالما تحسَّست فيض حنانهما وما زلت أتحسَّس ذلك إلى الآن، وأشمّ رائحة ذاك العطر خاصتهما.

منى



مقدِّمة

سماحة السيِّد المتميِّز

إنّه العلاّمة الذي لا يُشَقُّ له غبار، إنّه الحُجّة في الدين، هو الرائد في التبشير بالقيم الحضارية التي يقوم عليها الإسلام، وقد فرض نفسه مرجعاً إسلامياً يتعدّى حدود الفوارق المذهبية، لا بل هو يتعدّى حدود الطائفية. فهو داعية للوحدة الإسلامية في الجوهر متجاوزاً الحواجز المصطنعة بين المذاهب. نحن نرى، كما يرى سماحة السيد محمد حسين فضل الله، أنّ المرء أيام الرسول (ص) يشهر إسلامه بمجرّد النطق بالشهادة، والمسلم الملتزم هو الذي يلتزم الفرائض الخمس في الإسلام: الشهادة والصلاة والصوم والزكاة وحِجّ بيت الله لمن استطاع إليه سبيلاً. فما بالنا نسمع بتمايز، حتّى لا نقول أكثر، بين مسلم ومسلم.

ونحن من المعجبين بالعلامة السيد محمد حسين فضل الله، ليس لكونه الجامع بين المذاهب الإسلامية، بل كذلك لكونه الرافض للعصبيّات الطائفية وهو الداعية إلى الوحدة الوطنية بين المسلم والمسيحي في هذا البلد وهو يعي، كما نعي نحن، أنَّ الوحدة الوطنية إنّما هي سياج الوطن الصغير، لبنان، في مواجهة أعتى التحدّيات التي تعصف به من جانب العدو الإسرائيلي والدولة العظمى أميركا. ونحن لا نرى فارقاً، حتّى ولا في التفاصيل بين ما يسمّى استراتيجية أميركية واستراتيجية إسرائيلية في منطقتنا. صدق من قال أن ليس من استراتيجية أميركية في المنطقة بل استراتيجية إسرائيلية تنفذها أميركا.

ولكن إعجابنا بسماحة السيد محمد حسين فضل الله، مضاعف لكونه رجل العمل الإنساني والاجتماعي بامتياز. وتشهد بذلك جمعية المبرّات الخيرية، ومن حولها كوكبة من المؤسسات التي تعنى بالأيتام وذوي العاهات وبالتنمية الاجتماعية بمعناها الأوسع وبالتربية الوطنية.

بورِكَ بهذا العمل الجبّار، يتولّاه رجل يتمتّع بطاقات جبّارة، على الصُّعد الفكرية والإنسانية والخيرية، في خدمة أهداف دينية واجتماعية ووطنية.

نحن نستلهم العلّامة سماحة السيد محمد حسين فضل الله، إذ نقول: شتّان بين الدين والطائفية. الدين رسالة، والرسالات على اختلافها تجمع حول القيم الإنسانية التي تدعو إليها. أما الطائفية فعصبية، والعصبيات تتصادم وتحاول إحداها عبثاً إلغاء الأخرى. لذا القول إنّ الأديان توحّد فيما الطائفية تفرّق. الأديان تجمع حول قيم مشتركة من مثل المحبّة والمودّة والرحمة والانفتاح والتسامح والعفو والمغفرة والصّدق والأمانة والإحسان. أمّا الطائفية فتفرّق على عصبيات تنزع كلّ منها إلى إلغاء الأخرى. وقد علّمتنا التجارب في لبنان أنّ الطائفية سيف ذو ثمانية عشر حدّاً، بوجود هذا العدد من الطوائف المعترف بها في لبنان. كيفما ضربت بهذا السلاح أثخنت جسم الوطن الصغير الجراح.

لقد جعلت الطائفية من السياسة في لبنان لعبة بلا قواعد. ليس في الدنيا لعبة بلا قواعد، اللهم إلاّ اللعبة السياسية في لبنان. حتّى الغاب له شريعة فيجري الحديث عن شريعة الغاب. أما السياسة في لبنان فغاب بلا شريعة.

تحيّة لسماحة السيد، وتحيّة لفكره الخلّاق، وتحيّة لإنتاجه الغزير في مجالات الخير والعطاء على كلّ صعيد.

سليم الحص



هذا الكتاب

بدأت الفكرة لديَّ بأمنية طالما غمرت مشاعري وعقلي، تلجمها حسرة قصر الفهم عن إدراك الأبعاد الفكرية والثقافية والفقهية والدينية «لسماحة السيد».

في العام 1983، كانت زيارتي الأولى إلى مجلس «سماحته» في منزله في بئر العبد، برفقة مدير تحرير مجلة الشراع يومذاك وليد نويهض.

كان مجلس «السيد» وسيعاً للمقاعد والكراسي، واسعاً للأفكار قيد الطرح والنقاش، مليئاً بحضور متعدّد الأعمار، وإن بغالبيةٍ شبابية. ومتميّزاً بنكهة شاي تلحّ على متناولها بالاستزادة.

صمتٌ، وسماعٌ لرجل جليل، وضّاء الوجه، يتصدّر المكان. يملأ فضاءه... ومن هذا الفضاء، وعبر الأثير، نلحظ إشراقة الوجه قبل أن نرى تفاصيله.

تنصت بملء جوارحك... تخشى ضياع ما تسمع... تفهم أو لا تفهم، فليس ذاك بالأمر المهم، فسيبقى لك ما تلتقطه: فكرة، نصيحة، نغمة صوت حزين، لُكْنة عراقية محبَّبة، فيضان أفكار لا يتّسع لها الزمن.

عِمامة الرأس السّوداء، تحرّكها أصابع يدين بين فينة وأخرى. تعيد تثبيتها، دونما تأثير على ثبات الفكرة المنطلقة بجموح.

في الزيارة الأولى وما تلاها من زيارات، التزمت بشدّة تعليمات وليد نويهض بعدم التفوّه، أو التحرّك... ولكن هذا لم يمنع لفتة راقية بإنسانيتها، أبداها سماحة السيّد تُجاهي لدى مغادرتنا المجلس.

تكريمه لي، كان تشجيعاً لطرق الباب مراراً بأسئلتي التي امتدت طوال سنوات عملي في مهنة الصحافة، حصدت خلالها أهمّ المقابلات والأحاديث.

كنت «أحدس» توقيتها، وأستشعر عنوانها الأبرز. كنت كمن يقتحم سوراً. كانت أسئلتي

تزداد بما كنت أعتقده السؤال الجريء، المحرج، المتجاوز للسقوف، أمام التشجيع اللامتناهي من «سماحته» لطرح أيّ سؤال، «فلا مقدّسات في السؤال، لأنّه جزء من حرية الإنسان»، قال، «ولا سؤال تافه أو محرج»، يقول. للحظات تشعر أنّك أمام فخّ... ما يلبث أن يتبدّد أمام احترام إنسانية هذا الإنسان لإنسانيّتك.

سنوات عديدة، حملت فيها أوراقي وقلمي وآلة التسجيل، وقصدت مجلس «السيد»، فالموعد يحتسب بالثواني، ولا مجال للتأخير.

لقد ساعدت أمانتي في دخول هذا المجلس الكريم، كما في دخول أيّ منزل آخر، أن أحظى باحترام من سماحته أحسد نفسي عليه، وأشكر الله على نعمته هذه، وكانت حصيلته بعد كلّ هذه السنوات نصّاً حوارياً أردته كتاباً... فكانت الموافقة... وكانت البداية عند الساعة التاسعة من يوم الاثنين الواقع في 25 تموز 2005، على أمل أن ينتهيَ بمثل هذا التاريخ من العام 2006... لكنّه العدوان الإسرائيلي على لبنان يوم 12 تموز 2006.

لم يعد للموعد مكان، لأنّه لم يعد «للسيد» مكان إقامة. فهو المستهدف من العدو اللئيم... لم يبقَ لمنزله أيّة معالم سوى التراب. لقد ألصقه الطيران الحربي الإسرائيلي بتراب الأرض.

تجدّدت الأسئلة... استجدّ الكثير منها... طبعها شعور النصر والحزن معاً... توقّف العدوان، وكان اللقاء الأول يوم 28/ أيلول/ 2006، في الطبقة الثانية تحت الأرض من مبنى مسجد الإمامين الحَسَنين... في هذا المكان، يستمرّ «سماحة السيد» الفقير ـ الغني في ممارسة عمله اليومي... وما أغناه.

«حديث الاثنين»، الذي بدأ عند التاسعة من مساء يوم الاثنين، انتقل إلى الساعة التاسعة من صباح كلّ يوم اثنين، وغابت عنه المواعيد في أيّام شهر رمضان المبارك، وموسم الحجّ، وذكرى عاشوراء... والأوضاع الصحية غير المستقرة بين حين وآخرَ لسماحته... وطبعاً العدوان الإسرائيلي.

لكنّ الكتاب أخيراً أخذ طريقه إلى الصدور. فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يملأ نفسي بالطمأنينة، وألا أنال من «سماحته» غير الرضى.

مواضيع الكتاب تمحورت حول الإسلام والحوار، الإسلام والعلم، بناء الإنسان، ومزيج من ذكريات شخصية...

أما المنطلق الأساس لهذا كلّه، فكان السؤال: ماذا حلَّ بنا بعد 11 أيلول؟ ولكن برغبة النقد الإيجابي لِمَا لنا وما علينا من تأخّر وتخلّف، ولِمَا للغرب وما عليه من الكثير من قلّة العدالة تُجاهنا... وبينهما، ما كان يستجدّ مطلع كلّ أسبوع كحدث أبرز، فرضته الظروف...

شكر خاص

الشكر الدائم لله سبحانه وتعالى، ثمّ لسماحة السيد ـ أطال الله عمره ـ لإعطائي كلّ هذا المقدار من وقته الذي يُحتسب بالثواني.

وأيضاً شكري الخاص للرئيس الدكتور سليم الحص، الذي لم يتردّد لحظة في كتابة مقدمة خاصة عن سماحة «السيد».

كما أشكر مدير عام مؤسسة المحفوظات الوطنية الأستاذ فؤاد عبيد، إذ له الفضل في إعادتي إلى العمل في عالم الصحافة، ولكن من باب آخر.

عبيد الذي لا يمكن فصل دماثة أخلاقه ورقيّ حديثه ولياقة حضوره ـ كما أخواه معالي الأستاذ جان وميلان ـ عن شخصه كمسؤول في إحدى مؤسسات القطاع العام. إنّه مسؤول ومعنيٌّ بذلك، وهو بالتالي صاحب دين على نفسه لا يثقلها بالكسل، تماماً كما أنّه لا يتنكر لمن يفترض أنهم من دائرته الأوسع في الحياة، من حيث الالتقاء على فكرة، أو على قيمة أخلاقية تتَّسم بالوفاء والنبل كشخصه، أو التقدير لعملهم الذي، ووَفْقاً لتقديره، يجتازون به الامتحان.

ذات يوم، طلب مني القيام بأرشفة السجلّ الشخصي لعدد من رجالات لبنان يتمّ حفظها في أرشيف المؤسسة... فاعتذرت، بل إنّني تهربت بحجّة أنني لا أطيق العمل في فصل الصيف، ليرنّ الهاتف في أوائل الخريف، والطلب عينه، فاعتذرت بحجّة لا أتذكّرها. فكلّ ما أذكره هو أنني لم أكن في مزاج نفسي يساعدني على القيام بأيّ عمل... ولكن، الاتصال الثالث كان أشبه بمذكرة الجلب... فالتوقيع على ورقة لم أقرأها، لأبدأ عملي خجلاً منه، ولأنهيَه بعد أشهر شاكرةً الله أنّني أعرف مسؤولاً مثله.

وهكذا كانت البداية مع نوع آخر من العمل. لقد لعب عبيد من حيث لا يدري، دوراً كان أشبه بالمنقذ، و«المهدّف» لصوابية الطريق الذي بدأت سلوكه. فكان هذا الكتاب أولى ثمار هذا النوع من العمل.

كما لا يسعني إلاّ أن أوجّه الشكر إلى المستشار الإعلامي لسماحته، الزميل هاني عبد الله، الذي أتاح بتدخّلاته تصويب بعض الأسئلة ذات البعد الديني، ليضفيَ بُعداً آخرَ تبدو ملامحه على صفحات الكتاب.

وربّما ليس آخراً، أشكر كلّ من ساهم في إنجاح هذا العمل، ومنهم شقيقتايَ مريم وغادة سكرية، وكلّ من شجعني على إتمامه، وخصوصاً الصديقين الكاتبين وليد نويهض وسليمان تقي الدين، لقراءتهما مسودة العمل قبل الانتهاء منها.

م.س



توطئة

شكّلت حادثة الحادي عشر من أيلول، بعد نكبة فلسطين، مفصلاً في سياق علاقة الغرب، وتحديداً أميركا، بالعالم الإسلامي كشعوب، وبالدّين الإسلامي كرسالة. وقد استخدمت الحادثة كمنصة انطلاق تُجاه هذا العالم وهذا الدين، وجعلت منهما هدفاً، نظرياً تحت شعار صدام الحضارات، وميدانياً بحُجّة مكافحة الإرهاب، إجراء الإصلاح، و«دمقرطة» الشعوب الواقعة ضمن تأثير هذا الدين.

وفي غفلة ليل عربي وإسلامي، واختلال في موازين قوى الساحة الدولية، وفي ظلّ استفراد أميركي بالقوة، حدثت احتلالات لأراض سكانها مسلمون (أفغانستان والعراق)، وحوصر شعب إسلامي بغالبيته إلى حدّ الاختناق في فلسطين، ووضعت الخطط لاحتواء إيران المسلمة شعباً ونظامَ حكم، إمّا بالطرق العسكرية، أو بأيّة وسيلة تؤدي إلى إضعافها، وبات المسلمون حيث هم في بلاد الغرب عُرضةً للاتهام وعدم الطمأنينة، ناهيك بتماهٍ متكامل بين الإدارة الأميركية المجروحة من حادثة 11 أيلول، وإسرائيل.

إذاً، كانت حادثة 11 أيلول شرارة الانطلاق في سباق القوّة والسيطرة وفرض مُناخ جديد في صراعات الدول، وإذ بالنظام العالمي الجديد ليس إلاّ ورقة التوت لأحادية القوّة الأميركية.

وقد طرحت هذه الحادثة ـ المفصل أعاصير من الأسئلة والشكوك والاتهامات المتبادلة، وطفت خبايا النوايا على طاولات المؤتمرات وأندية المحافل السياسية والدولية.

لماذا تكره أميركا المسلمين والإسلام؟

ولماذا يبادلها المسلمون الشعور عينه؟

أين العرب والمسلمون من رزم الاتهامات بحقّهم؟ ومن مذكرات الجلب بأسباب تخلّفهم؟

كيف تعاملوا مع هذا المستجدّ على عالمهم الثابت على رمال؟ وبماذا أجابوا؟ بالعنف؟ بالحوار؟ بالمزيد من التبعيّة؟ بنقد الذات والواقع؟ بسعيٍ طموحٍ لتجاوز المآزق؟ أم بماذا؟...

ما بعد 11 أيلول أضحت الساحة الإسلامية أكثر انكشافاً أمام مرآتها وأمام الآخرين، ولم يبقَ لعاهةٍ ستر غطاء، وأسباب اهتزاز صورة هذه الساحة دامغة بلا نقاش. أمّا عيوبنا، فهي في حال طوارئ.

أسئلة حملتها إلى المرجع الديني سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله لعدّة أسباب، وقد تمحورت حول: الإسلام والحوار، الإسلام والعلم، بناء الإنسان، وفلسطين، إيماناً مني بمركزية هذه المحاور في متن قضايانا المصيرية، فإن أحسنّا معالجتها كان لنا الكسب والنهوض من هذه العثرات وهذا التعثّر، وإلا ستبقى أمراضنا تنتشر فينا كما السرطان، فنبقى في دائرة التجارب السياسية والاختبارات العسكرية والتشريح الاجتماعي، بما لا يبقي من جثة هذه الأمة ما يحتاجه الآخرون.

وبمقدار ما أعيش من قلق السؤال كما سواي، عن هذا الواقع المخزي لما نحن فيه، من دون أيّ عناء يُبذل لأدنى ملامح للتغيير، فإنّني أعيش أيضاً حيرة مزدوجة المشاعر تُجاه هذا الغرب غير المنصف.

أيّاً تكن متابعتك لأفكار «سماحة السيد»، فلا شكّ أنَّ لك في ما يقول نصيباً: في السياسة، في الدين، في مفهوم الحياة، في الاقتصاد، في الاجتماع، في الحريات العامة والخاصة، عن المرأة، حقوق الإنسان، في الفكر الاستراتيجي، في معنى المقاومة والعنف، في شتّى أنواع الشرح والتشريح الديني والإنساني، وفي ما لا ينضب من علم توافرت سدّته لـ «سماحته»، فقبض على نواصيه منذ يفاعته، وامتلك سِرّاً من أسرار قوّة هذا الفيض من العلم والثقافة والفكر، أي: منهجية إيصال هذا الامتلاك ـ الامتلاء إلى الآخر، القائم على ركيزة الحوار، وبالحوار.

على امتداد خمسين عاماً (أمدَّ الله في عمره)، غاص السيد فضل الله في دراسة شتّى مواضيع الحياة البشرية، انطلاقاً من الله سبحانه، فاختزن عميق الرؤى، وشمولية التحليل، لتتجسّد سطوراً في مؤلّفات قاربت التسعين كتاباً (بعضها من عدة مجلّدات) إلى الآن، إضافة إلى آلاف

الدراسات، المحاضرات، الندوات، والمقابلات الإعلامية بلغاتها المتعددة، وتنوع اتجاهاتها، وتفاوت مستوى الجانب قيد العلاج منها، فلا محرّمات في أيّ سؤال عند سماحته.

ولأنّ لكلّ عصر أسلوبه وحاجاته وطرقه في مواجهة الواقع، فإنّ التطوير والتجديد وإعلاء شأن العقل في فهم الواقع، شكّلت المنهجية في تواصل «السيد» مع الحياة الإنسانية. والبداية تكمن في الحوار، لأنّ الله سبحانه وتعالى حاور إبليس في أكثر من موقع، فهل هناك من الناس من يرقى لإبليس؟ يقول سماحته.

وتأسيساً لمنهجية الحوار وأسلوبه في التعامل، كان «للسيد» إسهامات كثيرة لطالما أشار إليها في كلّ مناسبة، ويعتبر كتابه (أسلوب الدعوة في القرآن) محاولةً لاكتشاف العناصر الأصيلة في الأسلوب الإسلامي للدعوة من خلال القرآن، ويشكّل هذا الكتاب برنامجاً للتعامل مع المسلمين ضمن آلية إسلامية لإدارة الخلاف والحوار.

أمّا كتابه الثاني، وهو (الحوار في القرآن)، فقد أطلق فيه أسس نظرية الحوار على ضوء النصّ الإلهي، ووضع فيه القواعد الأصيلة لفهم علاقة الإسلام والمسلمين بالآخر، كما أنّه محاولة في اكتشاف آفاق الحوار القرآني وأساليبه وقواعده ودراسة معطياته العلمية. (الكتابان المشار إليهما صادران عن دار الملاك للطباعة والنشر).

يقول في كتابه (الحوار في القرآن): إنّ الحوار هو رسالة الأنبياء الإلهية إلى الإنسان، وإنَّ الحياة ما تزال تحتضن وترزح تحت ثقل الأساليب العنيفة، فيقف الحوار أمام القوّة كما وقف الأنبياء، ليعلّم أنّ القوّة لا تستطيع أن تبنيَ الحياة التي تريد إلا من خلال الحوار، فالحوار يعطي القوة للمضمون الذي تتحرّك من خلاله، والهدف الذي تسعى إليه، والروح التي تعيش فيها... لذلك يرى أنّه لا بدّ من الحوار لتستمرّ الحياة، في حالة الضعف أو في حالة القوة، في حالة الحرب أو في حالة السِّلم.

وإذ يؤكّد مبدأ أهمية الحوار في الدين الإسلامي من خلال القرآن، لافتاً إلى الآيات الكريمة التي تعبّر عن هذا المعنى، فإنّه لا يتردّد في الإشارة إلى عصر التخلّف الذي «انكمشت فيه آفاق الحوار، وانعكست هذه الأوضاع على الإسلام كدين في نظر الآخرين، فحاولوا أن يصوّروه بصورة الدين الذي لا يسمح لوجهات النظر الأخرى بأن تعبّر عن نفسها في حضوره، وتأثر المسلمون بذلك في بعض مجتمعاتهم، فضاقت نفوسهم بالحوار».

ويسأل «السيد» في كتابه هذا عن مهمة الحوار، ليقول إنّ الحوار يساهم في تبريد الأجواء النفسية لدى المتحاورين، أو ربّما يخلق حركة فكرية في الساحة التي تكون خاضعةً في البداية لبعض الأحكام التجريدية أو النظرات الانفعالية أو القناعات المسبقة، لأنّ الحوار يحوّلها إلى عملية موضوعية، وبذلك نجعل من الحوار منهج التربية في تكوين القناعات بشكلٍ تدريجي.

إنها إذاً مسألة تربوية كما يؤكّد، وهي تتّصل بتكوين الشخصية الإنسانية في النطاق الاجتماعي، «وذلك هو الفرق بين أن يعيش الإنسان الانكماش في داخل ذاته والانغلاق عن الإنسان الآخر في تفكيره وشعوره وحركته، وبين أن يعيش الانفتاح في آفاق الحياة ورحاب المعرفة، واللقاء بالآخرين...».

وتصل الذروة في قناعته بأهمية الحوار إلى التوصيف الآتي: «الحوار يمثّل مظهر الحياة في معناها الحركي، أما اللاحوار، فإنّه يمثّل معنى الموت في جموده وسكونه»، وهو يجعل من هذه الحكمة مرجعاً متّصلاً بالخطوط الفكرية الإنسانية، «لأنّ ذلك يمتد إلى الجانب العملي السياسي في حوار الحاكم مع شعبه، وحوار الناس بعضهم مع بعض، وحوار الشعوب بعضها مع بعض في المسائل السياسية والقانونية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية».

ومن موقع المتابع للواقع النفسي للإنسان، يذكر أنّ دراسته «الدقيقة لدورة العنف التي يعيش فيها بعض عالمنا الإسلامي، قد أثبتت أنّه يتحرّك في جذوره من فقدان الحرية التي تسمح للناس بالتعبير عن آرائهم النقدية، وطرح برامجهم البديلة، والانطلاق في عملية التغيير طلباً لِمَا هو الأصلح لحياتهم العامة»، ليخلص إلى الإشارة إلى «المجتمعات المتحضّرة التي تعالج كلّ اختلافاتها السياسية والفكرية بطريقة الحوار»، مفسّراً الخلفيّة التي تكمن وراء من يرفضه «بأنّها تتحرّك في خطّي الذهنية من خلال تحديد المستوى الاجتماعي، والضعف الفكري في مواجهة الآخر، إذ لا يملك المنطق العقلاني الذي يبطل حُجّة الرأي الآخر». هذا على مستوى الإنسان ـ الفرد، أمّا على مستوى المجتمع، فيشير إلى كبرى مشاكل الحوار في المجتمع، ألا وهي «العصبية الحادّة التي يعيشها الناس في التزامهم بأفكارهم الموروثة»، إلى درجة ـ كما يقول ـ «أنّ المفكّرين الطليعيين الذين يملكون فكراً مختلفاً، لا يملكون حرية طرح أفكارهم للدخول في حوار مع الآخرين حولها، لاسيّما إذا كانت تلك الأفكار تصطدم بالجانب العاطفي التاريخي المتّصل ببعض الشخصيات

المقدّسة»، ما «أفقد المذاهب الإسلامية القدرة على التغيير في مفرداتها الفكرية التاريخية».

وبفكر فلسفي، يشرح «السيد» في الكتاب المشار إليه، طبيعة نشوء الحوار والجدال والفرق بينهما، «فالحوار يتمثّل في إدارة الفكرة بين طرفين مختلفين، أمّا الجدال فيتجسّد في إعطاء الحوار قوّة العناد للفكرة والإصرار عليها». أمّا العناصر التي يجب أن تتوفّر في عملية الحوار، فهي خمسة كما يحدّد: «شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار، شخصية الطرف الآخر للحوار، خلق الجوّ الهادئ للتفكير المستقلّ، ومعرفة المتحاورين للفكرة ـ موضوع الحوار، وأخيراً أسلوب الحوار».

من هنا، من هذه الأسس العلمية والنفسية لمبدأ الحوار، يكمل «السيد» غوصه في هذا المجال، فيتطرّق إلى مسألة حوار الحضارات، وما شكّلته من هاجس فكري في مطلع الألفية الثالثة بالتحديد، فينظر إليها من جانب فلسفي أيضاً، فيقول: «علينا أن نتذكّر أنَّ لكلّ حضارة قاعدتها الفلسفية التي قد تنطلق من مسألة الإيمان والإلحاد»، ليحصر مسألة الحوار من هذا النوع «بين المثقّفين الذين يملكون وعي القاعدة الفلسفية للحضارات، لأنّ مسألة الفكر الفلسفي بما يختزن أو يحتاج إلى أدلّة أو براهين، لا بدّ من أن تنطلق من الوجدان الفلسفي... ولأنّ قلةً من الناس هم الذين يتحرّكون نحو العمق في اكتشاف القاعدة الفلسفية»، ليستبعد، وَفْقاً لهذا الشرح، إمكانية دخول عالم السياسة أو الحوار بين الشمال والجنوب أو حوار الغرب مع الشرق، أو ما أشبه ذلك، في مثل هذا المستوى من الحوار بين الحضارات.

أمّا في موضوع الحوار بين الأديان، فيرى أنّ الواقع المعاصر بدأ ينفض يديه من الدين بفعل حركة الحضارة المادية التي تثير في ذهنية الإنسان الكثير من المفاهيم المادية البعيدة عن الله والإيمان، ما يدفعه إلى تأكيد «ضرورة مسألة الحوار بين الأديان، وبالجديّة اللازمة».

وإذ يحسم «السيّد» قناعاته بأنّ الصراع المستقبلي بين الغرب والإسلام سيكون مريراً، يجزم بقناعة أخرى في كتابه (للإنسان والحياة) فيقول: «نحن لا نتعقّد من الغرب الشعب، ولا من الغرب العِلم، نحن نتعقّد من الاستكبار الغربي».

وإذا كان منهج «السيّد» في الحوار قائماً على غياب المقدّسات حوله، فإنّ أَرَقَهُ يكمن في مكان آخرَ، ويتعلّق بالذين لا يملكون روحية العِلم وموضوعية الحوار، «فكثيرٌ من علماء المسلمين لا يملكون ذهنيّة موضوعيّة، وإنّما يتحرّكون في القضايا من خلال عواطفهم

وانفعالاتهم، فكيف تصل القضية إلى الجماهير؟ فالحوار طموح، وعلينا إيجاد منهجية للتفكير ينطلق منها الناس على أساس العقل لا على أساس الانفعالات».

أما في ميدان العِلم، فإنّ السيد فضل الله ينطلق من قناعته بأنّ الدين جاء لخدمة الناس، وأنَّ العِلم هو الذي يتحرّك من أجل الإنسان، «فالمسألة الدينية تتّصل بحياة الإنسان». من هنا، كان له السبق في اجتهادات دينية مبكرة أو مواكبة لقضايا علمية مستجدة، ويكفي الإشارة إلى واحدة منها تتعلّق بمسألة الاستنساخ، حيث شكّلت فتواه بإجازة هذه المسألة ما يشبه الخرق على الساحتين الدينية والعلمية، فوفقاً لرأيه في إحدى محاضراته، «إنَّ أيَّ حدث علمي نشعر بأنّه يمثّل تطوراً في وعي الإنسان من حيث اكتشافاته لأسرار الخلق، يؤكّد عظمة الله، لأنّه يتيح للإنسان معرفته من خلال إبداعاته في الوجود»، ويضيف في مكان آخر مكتوب: «على ضوء هذا، نرى أنَّ العِلم خير بكلِّ نتائجه، لكنّ المسألة التي تجعلنا نتحفّظ هي في طريقة استخدام العِلم، فهو قد يستخدم بالخير كما بالشرّ. لذلك، ومن خلال درسنا مسألة الاستنساخ، والسؤال الذي طرح في البداية: هل إنّ نتائج الاستنساخ تصادم العقيدة الدينية؟ وهل يتحوّل الإنسان إلى خالق لتسقط العقيدة بأنّ الله وحدَه هو الخالق؟ إنّ المسألة التي لا بدَّ من أن نبحثها هي مسألة الخلق، أي أن يخلق العلماء قانوناً جديداً ليس له سابقة في القوانين المودعة في الكون من قبل الله».

يضيف: «من هنا درسنا مسألة الاستنساخ، ورأينا أنّها لا تصادم العقيدة، فالاستنساخ ليس عملية خلق في العمق، ولكنّه نتاج جديد في السطح أو في العمق، فالكائن الحيّ، إنساناً كان أو حيواناً، يولد من خليّة مقسّمة بين النطفة والبويضة، وهذه الخلية تختزن ستة وأربعين من الكروموزومات تتوزّع بين النطفة (23) والبويضة (23)، فإذا التقتا وحصل التلقيح، تكون الخلية قد اكتملت وولد الكائن الحي. وأنا أرى أنّ الذين يمارسون الاستنساخ اعتمدوا هذا القانون، وحاولوا أن يأخذوا خليّةً حيّة فاعلة كاملة، وأن يفرغوا البويضة من محتواها من الكروموزومات، ليضعوا فيها محتوى هذه الخلية، فتعطي النتيجة نفسها التي تحصل خلال التقاء البويضة بالحيوان المنوي. فالقانون ثابت، لكنّ الإنسان تحرّك من خلال التفاصيل، وبالتالي لم يتحوّل الإنسان إلى خالق، بل إلى منتج في الشكل على أساس القانون الذي وضعه الخالق».

وهناك العديد من الفتاوى التي أطلقها وأثارت الـ (مع) و(الضدّ)، وتبنّاها كُثُر وهاجمها كُثُر

بخلفية مسبقة أكثر منها لعدم جدواها. فكلنا يذكر فتواه بوجوب اعتماد الحسابات الفلكية لتحديد موعد حلول شهر رمضان والأعياد الإسلامية، بدل الاكتفاء بالبحث عن رؤية الهلال بالعين، وقد شكّلت هذه الفتوى أنموذجاً «للتسهيلات» التي تؤكّد أنّ الدين يسر وليس عسراً، ولاسيّما أننا في عالم بات يحتسب بالثواني لسرعة حركته وكثرة مشاغل أهل الألفية الثالثة بقضاياه.

وددتُ في هذه المقدمة السريعة أن أشير إلى عدد من اجتهادات «السيّد» في قضايا معاصرة وملحّة، كنماذج أخرى لشجاعته في إظهار ارتباط الدين بالعِلم وليس العكس.

يقول في محاضرة ألقاها في إحدى مستشفيات بيروت، وأمام حشد من الأطباء، إنَّ الطبّ يحدّد للأحكام الشرعية موضوعاتها. هناك أحكام تتّصل بمفاهيم الحياة والموت، ومنها ما يتّصل بالأهمّ والمهمّ في الحاجات الإنسانية، ومن هنا، فإنّ الطبّ قد يكون مرجعاً للدين في كثير من موضوعاته، وهذا هو الذي يجعلنا نشعر بضرورة أن تكون هناك علاقة عضوية بين الدائرة الدينية في المسألة العلمية الفقهية، وبين الدائرة الطبّية، وبالعكس.

حول زراعة الأعضاء باستخراجها من المتوفّى يقول: «عندما يكون هناك ضرورة في مستوى حفظ الحياة لإنسان حيّ تتوقف على أن نأخذ عضواً من أعضاء الميت ممّا يمكن لنا أن نزرعه في جسد هذا الإنسان، فإنّ الكثير من الفقهاء يجيزون ذلك ونحن منهم، وينطلق ذلك من قاعدة في العِلم الأصولي تسمى «التزاحم» في المذهب الإمامي، وتسمّى «المصالح المرسلة» في مذهب المسلمين السنّة، وإذا دار الأمر بين أن نعطيَ هذا الميت الاحترام المعنوي الذي لا يقدّم ولا يؤخّر شيئاً، وبين أن ننقذ حياة إنسان، فإنّ من الطبيعي أنّ إنقاذ حياة الإنسان الذي يمكن أن يموت إذا لم نعطه هذا العضو، هو أهمّ في نظر الشرع من أن تُحفظ حرمةُ هذا الميت».

وعن تشريح جثّة الميت يقول: «هناك أكثر من باب ينفتح ليغنيَ التجربة العلمية، وليغنيَ القوانين الجنائية، وليغنيَ الواقع الاجتماعي والقانون الاجتماعي».

وعن التصوير الصوتي لتحديد مواصفات الجنين في رحم المرأة، واعتبار ذلك نقضاً للآية الكريمة: ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**﴾ [الرعد:8] يقول السيّد: «إنّ الفرق بين علمنا وعلم الله، أنّ الله يعلم الأشياء بشكل مباشر من دون حاجة إلى أيّ وسائل، أما نحن، فنعلم من خلال الوسائل التي ألهمنا الله اكتشافها، ونعلم بالأدوات التي عرّفنا الله كيف نستخدمها. لذلك، لا مشكلة في أنّ الله هدانا إلى أن نعلم ما في الأرحام لأنّه

خلق ما في الأرحام، ونحن نعلم ما في الأرحام لأنّ الله علّمنا ذلك».

ولأنّه يؤمن بأنّ الدين ليس شأن الجاهلين ولكنّه شأن العلماء، فقد سئل عن التحكّم بالجينات التي تحدّد العلامات الوراثية، وما تثيره هذه المسألة في الغرب والعالَم، فقال أن لا مشكلة فقهية في ذلك، ولا مانع من التدخل بعد تلقيح البويضة في تغيير الخصائص الموجودة في داخلها.

كما لم يَفُته الإفتاء بمسألة الحمْل الاصطناعي وما يتعلّق به وبحيثياته، ومسألة الإجهاض والحالات المسموح بها، إذ يقول: «نحن نتبنّى رأياً، أنّه إذا تحوّل الحمْل إلى خطر على حياة الأم يجوز الإجهاض». في حين أجاز استخدام وسائل منع الحمْل، وهي من مكتشفات العِلم الحديث، وأجاز استخدام اللولب، وتفوّق على أشدّ مناصري حقوق المرأة بما هي إنسان إذ رأى أنّه لا يجب عليها أن تخضع لزوجها إذا أراد أن تحمل وهي لا تريد(*).

أمّا في مسألة إنهاء حياة المريض الذي يعتبر ميّتاً مرضياً ولم يتمَّ التوصّل بعد بشأن كيفية إنهاء حياته، فقد كان له شرح علمي ونفسي وديني شكَّل سبْقاً في هذا الموضوع، في حين ما تزال النقاشات دائرةً حوله في الغرب. فقد قال: «ليس هناك تحديد دقيق بالمعنى الشرعي للموت؛ متى يموت الإنسان؟ هل عندما يتوقف قلبه، أو عندما يموت دماغه؟ هل نبضات القلب بعد موت الدماغ تمثّل حياة إنسان أو تمثّل حياة خليّة؟ هذه لا تزال موضع جدل. يضيف: هل الموت موت الدماغ، باعتبار أنّه يعطّل كلّ أجهزة الجسد، فلا تبقى هناك حياة للجسد؟ الكلام أنّ نبضات القلب من أين تأتي؟ هل تأتي من جهاز التنفّس؟ أو أنّ هناك طاقة من الحياة لا تزال موجودة في القلب؟ بعض الفقهاء يقولون إنّه إذا كانت نبضات القلب نتيجة هذا التنفس الاصطناعي، فمعناه أنّه مات. أنت تصنع له حياةً أو ما يسمّى بالحياة، أمّا إذا كان هناك أساس للحياة في جسده، فمعناه أنّه ما زال حياً، وهذه نقطة تُثار في هذا المجال... نحن من خلال دراستنا للمسألة من ناحية ما استطعنا أن نفهمه من المعلومات الطبّية، ومن الجانب الفقهي، نجد أنّه لا يجب وضع الجهاز في مثل ما إذا علمنا علماً قطعياً مئة بالمئة بالموت الدماغي، وكانت هذه الحياة حياة الخلية الاصطناعية وليست حياة الإنسان، ففي

(*) المقصود هو الحمل الثاني وما بعده، أما الحمل الأول فليس لها الحق في ذلك. لكن ينبغي التفاهم بينهما على مسألة الإنجاب تلافياً لحدوث المشاكل والخلافات، وأن يراعي كلٌّ منهما رغبة الآخر ويتفهم حاجته في ذلك.

مثل هذه الحالات، لا يجب وضع الجهاز، ولا يحرم رفع الجهاز، لأنّه لا يكون ذلك إبقاء للحياة وإنقاذاً لها، ولا يكون هذا قتلاً للحياة وإماتةً لهذا الإنسان».

أمّا التطوّر الطبّي الأبرز الذي شهده أواخر القرن العشرين وبدايات الألفية الثالثة، وبمعزل عمّا إذا كان يدخل في إطار الكماليات أو الضروريات، وهو المتعلق بجراحة التجميل، فقد اعتبر أنّه ليس محرّماً من حيث المبدأ.

هذه عيّنات مما اجتهد السيّد فضل الله في قضايا عصرية تلاحق الإنسان، وتتعلّق بالأخلاقيات الطبّية وأخلاقيات الحياة، وكلّها أمور تحتاج إلى مرشد عالِم، يمتلك شجاعة ذهنية وعقلية تمكِّنه من المتابعة، وتسهّل للمهتمّين يوميات حياتهم المثقلة بشتّى أنواع الاكتشافات المثيرة والمقلقة في آن.

لم يكن استخدام «سماحة السيّد» لمفردة «إنسانية الإنسان» كمصطلح بالمعنى التجريدي، الفلسفي، كما لم يكن استخدامها كنوع من المبارزة الكلامية، وإنّما هما كلمتان تختصران جوهر الإنسان في علاقته بالله، وتالياً بنفسه، في امتداده إلى الإنسان الآخر، ليتكامل في تحقيق ذاته الإنسانية بكلّ أبعادها.

ولطالما أثارت هذه المفردة عمقاً روحيّاً في أنفسنا لدى سماعها، فتجعلنا أقرب إلى تلمّس مواقع الذات الإنسانية ببعدها الأسمى في دواخلنا. ولسماحته تفسيرات جمّة تنزل بالمعنى النظري لإنسانية الإنسان إلى الواقعي ـ اليومي، فيقول في إحدى محاضراته: «أن تكون إنساناً هو أن تعيش إنسانيتك لتمتدّ في الإنسان الآخر، أن يمتدّ عقلك ليتقرّب من عقله... أن لا تحبس معنى الإنسان في ذاتك... أن لا تعزل نفسك عن الإنسان الآخر. كن ما شئت، ليكن لك دينك الذي تؤمن به، ليكن لك انتماؤك الاجتماعي أو انتماؤك السياسي أو ما إلى ذلك مما تنوّعت فيه الانتماءات لدى الناس، ولكنَّ هذا لا يمنع من أن يكون لي حقّ الاختلاف معك. فالمسألة ليست مسألة ثقة بالذات، ولكنّها ضعف في الفكر، والضعف الفكري هو الجبن الثقافي، ولذلك أن تكون إنساناً من خلال هذا الامتداد الإنساني، هو أن تكون حوارياً، أن تبدأ بالحوار مع نفسك، لأنَّ شرط الحوار هو أن تفهم نفسك فيما تنفتح به من خطرات الفكر، أو في ما تنبض به من حركة العواطف، أو ما تتحرّك به من مشاريع»... ليرى سماحته في ذلك ربّما نوعاً من الصدى لكلّ هذا الصوت فيقول: «نجد بين الناس أنّهم

لم يختاروا ذاتهم في معنى الغنى الذاتي للإنسان، بل إنّهم عاشوا ذاتهم، ولكنّهم انطلقوا على أساس أن يتبعوا الصوت ليكونوا الصدى».

من هنا جاء التركيز على بناء الإنسان بما هو فكر وروح وجسد، وما يتفرّع منه من أحاسيسَ وانفعالات، وبناء الإنسان لديه إنّما ينطلق بطبيعة الحال من المفهوم الديني، ولكن بسلاح العقل والأخلاق: «إنَّ أيّة حركة تثقيفية توجيهية تربوية، إذا لم تُغسَل بالعاطفة والإحساس، فإنّها لا تملك أن تتعمّق في داخل الإنسان الآخر»، كما يقول في كتابه (للإنسان والحياة)، وليؤكّد ذلك في مؤلفاته المتعدّدة، وفي خطبه وندواته، «لأنّ الخطأ في الفكرة يعني أنّكم تربّون عقولاً على الخطأ، والخطأ يمثّل الخطّ الذي سوف يحكم حياة هذا الإنسان»، لذلك يدعو إلى ما يصفه بحالة الطوارئ العلمية في الفكرة، وفي الأسلوب، «حتّى تستطيعوا أن تنجحوا في أدائكم في صنع الإنسان الجديد: أبوة، أمومة، تقوى، عبادة، علم وفن، جميعها تنطلق لتعطيَنا عمق المسؤولية ومعناها وانفتاحاً على الله وعلى الإنسان، لنبقي إنسانيّتنا في إنسانية الآخر».

إنّه الإنسان الذي شغل بال «السيّد»، فأغدق في التفسير والشرح والتوجيه، «لمنع الاجترار الثقافي للماضي»، إيماناً منه بقدرة الإنسان على العطاء والإبداع والقدرة على تحمّل المسؤولية، شريطة أن يكون البناء على أسس صُلبة وأعمدة ثابتة، «فالماضي هو فكر انطلق من خلال أناس كانت لهم تجربتهم الثقافية، هم أناس فكّروا فلماذا لا نفكّر، وهم جرّبوا فلماذا لا نجرّب؟ لماذا لا نوحي لأنفسنا بأنّنا ننقد الماضي وننفتح على الإبداع؟ إنَّ مسألة أن تبدع هي أن تكون إنسان الفكر الذي يتأمّل والذي يحاور والذي يتابع التجربة هنا وهناك».

وامتداداً لهذا الاحترام لإنسانية الإنسان، كانت المؤسسات التربوية التي تعنى باليتيم والمعوق والكهل، وبناء المراكز الثقافية والصحية والإرشادية والإعلامية، لتكون في خدمة «الرجل والمرأة اللذين يمثّلان الإنسان، ويمثّلان النفس الواحدة».

عن فلسطين في فكر وروح ووجدان «سماحة السيّد»، وفي جهاده من أجلها، يلخّصها بعبارة تقول: «إنَّ إسرائيل دولة معتدية علينا بمجرّد احتلالها لأرض فلسطين».

والله وليّ التوفيق

الإسلام والحوار

18 ـ 7 ـ 2005

*** سماحة المرجع الديني آية الله العظمى، العلامة السيّد محمد حسين فضل الله، بدايةً، أشكر لكم إتاحة هذه الفرصة لي بالحديث إليكم وعلى مدى حلقات، أرجو أن يوفقني الله لإنجازها، وأودّ أن يكون هذا الحديث «مشحوناً» بقلق السؤال، لأنّكم من قلّة في عالم الإسلام والمسلمين مَن هو مقصد للسؤال الذي يبدِّد ما أمكن من خلال إجاباتكم كمرجع ديني ومفكّر إسلامي تنويري منفتح.**

سؤالي: هل الإسلام كدين وعقيدة ومبادئ هو دين حوار، أم إنَّ شموليته وكليّته تجعله يكتفي بما عنده وتجعله ينقطع عن الآخرين؟ سؤالي يتجاوز اللحظة الآنية إلى الرؤية المستقبليّة.

– إذا أردنا الحديث عن علاقة الإسلام بالحوار، فعلينا الرجوع إلى مصدرين أساسيين، هما القرآن والسنّة النبوية. أمّا القرآن، فنلاحظ أنّه بمجمله كتاب حوار، لأنّنا عندما ندخل في الآفاق القرآنية، فإنّنا نجد أنّه يضع الخطّ للدعوة، فتركّز على أساس الحوار كنهج ونوعيّة الحوار كأسلوب في مسألة الدعوة، فنقرأ قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل:125].

وإذا أردنا الدخول في هذه المفردات، فإنّنا نجد أنّ مفهوم الحكمة يعطي معنى وضع الشيء في موضعه، وهذا المفهوم يختزن في داخله مسألة أن تدرس الآخر، لأنّك إنّما تستطيع أن تضع الكلمة في موضعها والفكرة في موضعها عندما تدرس الآخر كموضع من

مواضع الانفتاح عليه، فيدخل في هذا أن تفهم كيف يفكِّر، أن تعرف عقل الإنسان ومفردات فكر الإنسان، وفي الوقت عينه، أن تدرس مشاعر الإنسان، حتّى تعرف صياغة الدعوة بالطريقة التي يمكن لك أن تنفذ فيها إلى ذات الإنسان بكلّ عناصره التي تُساهم في إلقاء الفكرة في داخل وعيه الداخلي.

وعندما نأتي إلى القضية، نرى أنَّ ذلك ينطلق من خلال مُناخ الحوار وأرضيّته، لأنّها تستبطن في ذاتها دراسة عقل هذا الإنسان، حتّى تعرف آفاق عقله، وكذلك لتدرس مشاعره لتحدِّد الأساليب التي تُلامس هذه المشاعر ولا تقهرها أو تقمعها، ثمَّ تحاول تحريك الفكرة التي تلتقي مع فكر هذا الإنسان في عملية الحوار بين فكرٍ وفكر، هذه التي تمثّلها كلمة الحكمة. وعندما نأتي إلى كلمة الموعظة الحسنة، نرى أنّها الكلمة التي ترتبط بالجانب الشعوري في الإنسان، بحيث إنّك تدرس مشاعر الآخر وتُرقِّقها، وتجعلها تنفذ إلى الإنسان بيُسرٍ، بمعنى ألا تصطدم به أو تصدمه، وأن لا تقمعه. ثمَّ نأتي إلى كلمة ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، وهي التي تؤكّد مسألة الحوار، والتي يُعبّر عنها بالجدال الذي ربّما يأخذ معنى المواجهة، فالجدال كأنّه مواجهة فكرٍ وفكر؛ أن تجادله، أن تقدِّم فكرك وحُجّتك وبرهانك، وأن يقدِّم حُجّته وفكره وبرهانه. القضيّة ليست مجرّد حوارٍ في حديث لحديث؛ بل أن تتحدّث معه لتقنعه، ولتجذبه إلى فكرك، ولتعطيَه الطريقة لأن يعرض فكره، ولهذا يدخل في عملية الجدال البرهان والحُجّة التي تثبت هذا الفكر أو ذاك.

﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، أي اختر الأسلوب الأحسن الذي يمكن أن يقنع الطرف الآخر، ولهذا، مثلاً، عبّر القرآن في بعض الآيات الأخرى التي تركّز على مسألة أن يملك الإنسان في الجدال البرهان: ﴿**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة:111]، وأن يملك المعرفة لما يُجادل به: ﴿**هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ**﴾ [آل عمران:66].

ونحن نلاحظ أنَّ القرآن يؤكّد مسألة الحوار بالطريقة التي يخاطب فيها الإنسان إنسانية الطرف الآخر، سواء إنسانيته في المجال الفكري أو الشعوري أو العلمي، إن صحّ التعبير.

ثم ننطلق مع القرآن، لنجد أنّ القرآن يريد من المسلمين عندما يجادلون الآخرين، أن ينطلقوا في البداية من مواقع اللقاء، ليدخلوا في مواقع الخلاف من خلال روحيّة اللقاء، في

عملية إيحائية تقول للإنسان الآخر إنَّ مسألة أن نتّفق هي الإسلام والحوار.

مسألة ترتكز على أنّ هناك أرضية مشتركة بيننا في القضايا العامة، ما يسهِّل إمكانية اللقاء في ما نختلف فيه في التفاصيل ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾، هناك قضية مشتركة بيننا وبينكم في الخطّ العام، ﴿**أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**﴾ [آل عمران:64]، هنا ركّز على الخطّ العام، وأبعد التفاصيل التي يختلف فيها المسلمون عن أهل الكتاب في شخصية الله تعالى: هل تجسّد في السيّد المسيح أو غير ذلك؟ فالقرآن يركّز على الخطّ العام، وهو التوحيد، مع الاختلاف في خطوط ومفردات التوحيد، ﴿**أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**﴾، ووحدة الإنسانية ألا يكون إنسانٌ رباً لإنسان في موقع إنسانيته، ﴿**وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**﴾. فالتركيز على مواقع اللقاء يخلق روحية اللقاء في تجربتهما الحوارية، وعندما نصل إلى مواقع الخلاف، ننطلق من روحيةٍ تمثّل لقاء الإنسان بالإنسان في بعض ما يحمله هذا أو ذاك.

ثم ننطلق لنصل إلى القِمّة في منهج الإسلام في الحوار، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [سبأ:24]. هذه الفقرة من الآية تقدِّم لنا المنهج الذي أراد الله للنبيّ أن يستخدمه في حواره مع الكافرين ومع المشركين، فلم يدخل الجانب الذاتي في الحوار، كما هو المنهج المعروف «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، حيث يُركّز العنصر الذاتي في الحوار، فأنا مصيب بنسبة 70٪، وأنت مخطئ بنسبة 30٪، وأنا مخطئ بنسبة 30٪ وأنت مصيب بنسبة 70٪. هناك حالة ذاتية قد تخلق بعض المشاعر السلبية في مُناخ الحوار، بينما نجد أنَّ المنهج القرآني يقول: قد أكون أنا على ضلال وقد أكون على هدًى، وقد تكون أنت على ضلال وأنا على هدًى، إذاً أنا وأنت نفقد الجزم بالحقيقة دون دليل وبرهان، فهناك حقيقةٌ ضائعة بيننا، فتعال نترافق في رحلة البحث عن الحقيقة من خلال الحوار. فليس هناك ذات تمثّل حاجزاً أمام حركة الفكرة في الحوار، بل هناك فكرةٌ تواجه فكرة من دون أن تدخل الذات في هذه المسألة.

من خلال هذه النماذج من الآيات، نجد أنَّ القرآن الكريم منهج الحوار، أي أكد منهج الحوار الذي يقتحم المشاعر الإنسانية، بحيث يشعر المحاور الآخر بأنّك تحتفظ بكرامته، لأنّك لا تسيء إلى التزاماته الفكرية، وإنّما تساوي نفسك به. ونقرأ أيضاً في آية أخرى تحرّك

الجانب الأخلاقي الذي يمكن أن ينفتح على الجانب المنهجي في الحوار: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:34]، أي حاول أن تتبّع الأسلوب الأحسن الحكيم المنفتح الذي يُحوِّل عدوّك إلى صديق، وبهذا نحن نريد أن نربح أعداءنا الفكريين أو الدينيين، لنحوِّلهم إلى أصدقاء، لا لنقمعهم ولا لنقهرهم ولا لنسقطهم.

وبناءً عليه، فإنّنا نلاحظ أنَّ القرآن أكّد مسألة الحوار كمنهجٍ إنساني في مواجهة الإنسان للإنسان.

وأمّا النبي(ص)، فإنّنا نجدُ أنَّ القرآن خطّط له المنهج، وكان النبيّ(ص) يتحرّك من خلال القرآن في كلّ حواره مع كلّ المشركين، حتّى إنّه ركّز الجانب الإنساني والسلمي في المسألة الأخلاقية التي تتحرّك أيضاً في خطّ الحوار، وذلك في الحديث المأثور عنه: «**إنّ الرِّفْق لم يوضَع على شيء قطّ إلاّ زانه، ولم يُرفَع عنه قطّ إلاّ شانه**»، و«**إنَّ الله رفيقٌ يحبّ الرِّفْق، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف**». وهذا إذا أردنا تحريكه في اتجاه الأجواء الحوارية، فإنّها أيضاً توحي بما يتحدّث به القرآن أيضاً في قضية «القول بالتي هي أحسن»، «والدفع بالتي هي أحسن»، و«الجدل بالتي هي أحسن». وعندما ندرس سيرة النبيّ (ص) في كلّ تجاربه مع الآخرين، فإنّنا نجد أنَّ سيرته كانت السيرة الحوارية معهم، ولم يُعهَد أنّه عنف مع المشركين، بل كان يجذبهم إليه من خلال الأسلوب الحواري.

قبول الآخر

*** الإسلام، بما يتضمّن من قناعة راسخة لدى المسلمين حول وجود إجابة لكلّ سؤال، هل يعني أنّه لا يتقبّل الرأي الآخر؟**

– عندما ندرس المنهج الحواري في ذلك، فإنّنا نجد أنَّ المنهج لا يستبطن في خلفيّاته مسألة عدم الاعتراف بالآخر، أو أنانية الفكرة وذاتية الالتزام بها بالطريقة التي يُلغي فيها الآخر، ومن الطبيعي جدّاً أنَّ كلّ صاحب حوار يختزن في داخله الفكرة التي يؤمن بها، ولكنّه يحاور الآخر على أساس أن يفهم فكرته وأن يقنعه بفكرته. وإن نفس الالتزام بالحوار معناه

أنّك لا تلغي الآخر، وليس معنى الحوار في كلّ الإسلام والحوار.

المناهج الحضارية أن تكون فارغاً من الفكر، بل معنى الحوار أن تعطيَ للآخر الفرصة في أن يطرح عليك فكرةً لتطرح أنت عليه فكرك، ليكون الحوار هو الجسر الذي تعبر عليه إليه، أو يعبر عليه إليك. وعندما نجد أنّ القرآن يتحدّث عن مسألة الإصرار على الفكرة من خلال علاقة الفكرة العاطفية بالآباء، فهو في مثل هذا المجال يريد للإنسان أن يفكّر بنفسه، وألا يسقط أمام الجانب العاطفي في القضايا الفكرية مثلاً، فالقرآن يقول انطلقوا من خلال ذاتية الفكرة عندكم، لا من خلال تقليد الآباء دون هدىً، ولا تعطوا للجانب العاطفي أو التاريخي في التراث التزاماً بالأفكار دون تحويلها إلى قناعة عقلية.

إنّ معنى ذلك أنّه يقول لهم: تحرّروا من ضغط الفكر الآخر سواء كان الضغط بلحاظ العاطفة في علاقة الأبناء بالآباء، أو بلحاظ الجوانب الأخرى، كما في الجانب الاجتماعي... كُن حرّ الفكر، وادرس ما أتيتك به لنتحاور حوله، لتقبله أو لترفضه هنا وهناك. إنّ الإسلام لم يقمع الآخر، ولم يقل له أنت ضالّ، وهذه قِمّة في الحوار.

*** هناك مفردات نعت الآخرين بالكفر أو الضلال، وهل إنّ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هو بمثابة الإعلان عن الابتعاد عن لغة الحوار؟**

– جيّد، هناك دائرتان للمسألة: دائرة مواجهة الآخر في الفكر المضادّ، في مقام تأكيد خطوط الفكرة عنده، ودائرة دعوة الآخرين إلى الفكرة. لقد كان القرآن في كلّ تجاربه مع الآخرين الذين يحملون فكراً مضاداً، يحاول تأكيد الفواصل بين ما يؤمن به وما يؤمن به هؤلاء، فهو يقول: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة:72]، ومسألة الكفر هي مسألة فكرية ثقافية، وما معنى الكفر؟ يعني أنّ هؤلاء يجحدون في العقيدة التي ألتزمها. فالقرآن بيّن الفاصل، وهو ما ركّز عليه في سورة «الكافرون»، عندما طلب القرشيون من محمّد (ص) أن يعبدوا إلهه سنة ويعبد آلهتهم سنة، فقال: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ*لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ* وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون:1ـ6]. هذا في مقام تركيز الفواصل بين الفكر الذي يدعو إليه الإسلام، وبين الفكر الذي يدعو إليه الآخرون، ولهذا أتحدّث عمّا يعتقده النصارى مثلاً، وبيّن الفرق بينه وبين ما يعتقدونه، وهكذا بالنسبة إلى ما يعتقده اليهود كذلك. ففي مسألة

الفكرة، لا بدّ من وجود عنف تصوير الفكرة، وبتعبير آخر، لا بدّ من عنف في تأصيل الفكرة، حتّى لا تتميّع الفكرة في المشاعر والأحاسيس، أمّا في مقام الدعوة إلى الفكرة: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل:125].

*** ولكن ألا يتناقض ذلك مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟**

– سنأتي إليها (يتابع) ليس تناقضاً، فهذه مسألة إنسانية، وعندما نأتي إلى كلّ التيارات الحضارية الموجودة في الفلسفات والاتجاهات السياسية، نجد أنَّ أصحاب الفكرة، حتّى لو كانوا إنسانيين، يحاولون تأكيد فكرتهم إزاء فكرة الآخر، حتّى يركّزوا الفواصل بين فكرٍ وفكر، ولعلّنا بحاجةٍ إلى تركيز الفواصل بين الأفكار، حتّى نعرف كيف نخوض الحوار في هذه القضية الفكرية أو تلك.

أما مسألة المعروف والنهي عن المنكر، فهي تتحرّك في مجال تطبيق القانون، وهذا أمرٌ لا يتّصل بالدعوة ولا بالحرمة الفكرية الثقافية. فالإسلام يختزن في داخله منهج الدولة، ولهذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثّل فكرة تطبيق القانون، وإلا فمعناه إلغاء الدولة، فعندما لا تكون هناك قوّة تنفيذية في الدولة، بحيث ينفّذ القانون، فتأمر بالمعروف، وهو المنسجم مع الخطّ القانوني، وتنهى عن المنكر، وهو الممثل للانحراف عن القانون، فهذه مسألة لا تتّصل بالجانب الفكري الثقافي، ولكنها تتّصل بالجانب التنفيذي للقانون في نطاق الدولة أو المجتمع.

*** لننزل إلى أرض الواقع، فالإسلام الذي أشرتم إليه بما فيه من قيمة لمبدأ الحوار، نرى أنّه يتنافى مع سلوكيات غالبية المسلمين. هل يُتقن المسلمون لغة الحوار مع الآخر؟ مع أنفسهم؟ فيما بينهم؟**

– من المؤسف أنَّ التربية الثقافية والأخلاقية الشائعة لا تلتزم تثقيف المسلمين بالحوار، بل إنّ حركة التاريخ في الجوّ الإسلامي الوعظي العام التقليدي، تؤكّد العصبية ولا تؤكّد الانفتاح على الآخر. ولهذا نجد أنّ سيطرة العصبيات استطاعت أن تدمّر الخطّ الإسلامي الواسع الذي يجمع المسلمين على قاعدة واحدة، بالطريقة التي تجعلهم يواجهون خلافاتهم بالحوار، فنحن نقرأ مثلاً: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:59]، ولكن هذا لا نجده في الواقع، إنّنا نجد أنَّ هذا الفريق يقول أنا أُمثّل الله والرسول، وذاك

يقول هذا. إنّ المسألة متّصلة بالتربية الدينية التي لا نجدها في مستوى الظاهرة في تربية الإنسان المسلم على الحوار.

*** يقول الآخر إنّ الدين أو الفكر، يتمظهر من خلال المنتمين إليه، وطالما أنّ هؤلاء المنتمين لا يملكون هذه الثقافة، فهل هناك نوع من الفراق في طريقة التقديم؟**

– نحن لا نقول كلّ المنتمين إليه، ولكن نحن نقول إنّ هناك ظاهرة تنطلق من خلال الذهنية التقليدية التي لا تنفتح على الآخر، والتي تختزن بعض المفاهيم السلبية، والتي قد يكون في مقابلها مفاهيم إيجابية، من دون الدخول في تمييز الجوانب السلبية في موقع عن الجوانب الإيجابية في موقع آخر، أي إنّ بعضهم يأخذ نصاً ويلتزم به، بحيث يوحي بالعنف بينما يوحي الآخر بالرِّفق، مع أنّ العنف له موقع والرّفق له موقع.

لهذا، فالثقافة التقليدية المتخلّفة هي التي ساهمت في هذا النوع من التراجع عن التربية الحوارية، لأنّ المسلمين اهتموا بالجوانب العبادية أو بجوانب التحريم والتحليل في المأكولات والمشروبات والمعاملات... أمّا الجوانب المنهجية الأخلاقية في المنهج، فنحن لا نجد هنا ـ على الأقلّ كظاهرة ـ تركيزاً عليها، ولذلك لم تنشأ الأجيال الإسلامية على أساس الحوار، وخصوصاً عندما أطبقت عليها التراكمات التاريخية والقرون المتخلّفة وغير ذلك. هذه هي المشكلة التي واجهها المسلمون.

*** هناك بعض الكُتّاب ممّن أثاروا مشكلةً في ذهنية المقدّس، فالمسلم يختزن في داخله القداسة لعناوين معيّنة، ولذلك يرفض الحوار وينفي الآخر. نفي الآخر ناشئ من ذهنية المقدّس،وهذا أمر لطالما ترتّبت عليه سلوكيات ونتائج ووقائع تاريخية في العلاقات البشرية.**

– نحن نجد أنّ الإسلام عندما يؤكّد المقدّس، إنّما يؤكّده بطريقة عقلانية: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء:22]، ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:53]. ثم يركّز على ما هو الأفضل، ومنه الآية: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة:256]، وأيضاً يخاطب النبي(ص) فيقول له: ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:99]، حتّى إنّ القرآن حين يتحدث عن النبيّ(ص) ـ والنبيّ عندنا مقدّس ـ يتحدّث عنه في افتراض نقاط الضعف فيه: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾ [الحاقة:44ـ45]،

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء:73]، **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** [الزمر:65].

فنحن نلاحظ أنَّ الله يخاطب المقدّس بطريقة افتراضية تبعده عن التقديس، وأنّه لو ابتعد عن الأسس التي تحوّل فيها إلى مقدّس، فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يجامله في ذلك كلّه. ولهذا فنحن نقول، عندما ندرس القرآن وهو الأساس، والذي قال الله: **﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ﴾** [المائدة:15]، نجد أنّه النور المضيء حتّى للجانب التقديسي في هذا المجال.

*** هذا المنهج الإنساني القيمي الحضاري الذي تختزنه هذه الدعوة الحضارية، هل يحمل نوعاً من الاكتفاء، أي إن كلّ شيء متوافر، وبالتالي يصبح كلّ شيء متوافراً، وبالتالي يصبح كلّ شيء كسقفٍ خيالي وإبداع إنساني أقلّ، ومحكوماً بسقف محدّد...؟**

– نحن نجد أنّ الله سبحانه يقول في القرآن الكريم: **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾** [آل عمران:191]، وهو بذلك يدفع الإنسان ليطلق كلّ فكره، **﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** [يونس:101]، كذلك **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [الزمر:9]، أي يطلب من الإنسان استخدام الطاقات التي عنده ليطلقها ويحرّكها مثلاً **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾** [الأعراف:179]، **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الزمر:9]، فهو يطلق الفكرة ويوجّه الإنسان إلى أن يأخذ بالعلم في حركة تصاعدية **﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾** [طه:114]، فالإسلام يريد للإنسان أن يؤمن من خلال العقل...

وفي الحديث النبويّ الشريف: «**لمّا خلق الله العقل قال له: أقبِل فأقبَل، ثم قال له: أدبِر فأدبَر، فقال: وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً أحبّ إليّ منك، بك أُثيب وبكَ أُعاقِب، وإيّاك آمُر وإيّاك أنهى**». نحن نؤمن أنّ النبي عقلٌ من خارج، والعقل رسولٌ من داخل. فالإسلام عندما اعتبر العقل حُجّة بين الإنسان وربّه، فمعناه أنَّ العقل لا حواجز في داخله، وقال له خذْ حريّتك وتحمّل مسؤولية قرارك من خلال فكرك الذي تنطلق به، وهل انطلقت به من خلال وسائل معقولة أو من خلال هوى النّفس أو غير ذلك.

*** لماذا تتشابه مشاكلنا منذ ما يقارب الـ 1400 سنة؟ ولماذا تتشابه الحلول تُجاهَها بما يبقيها**

بعيدة عن أجواء العصرنة؟

عندما ندرس التاريخ، نشعر بأنَّ هناك فترة من التاريخ تجمّدت فيها الحياة، وأصبح الإنسان لا يتحرّك، فلا عقل يتحرّك، فالعقل الذي عاشه المسلمون قبل 500 سنة لا يزال هو هو، لأنّه ما اقتحمته حضارات، وعندما انفتح المسلمون على الحضارات ـ حتّى قبل الأندلس ـ لاحظنا أنَّ الإسلام من زمن النبيّ(ص) استطاع إنتاج حضارة، وكانت بغداد الشام حواضر حضارية متطوّرة، وكان هناك علماء في شتّى الميادين، وكان هناك شخصيات أخلاقية في الجانب المثالي، وكان الإسلام متحرّكاً، ولكنّ الأمر تغيّر حين دخلت القرون الوسطى، وبدأت التراكمات التراجعيّة، عندما تراجعت الخلافة العباسية وجاء التتر، واقتحم المسلمون شعوباً أخرى، ولكن بانطلاق المسلمين إلى الأندلس صنعوا حضارة. ويقول جواهر لال نهرو: إن الحضارة الإسلامية هي أمّ الحضارات الحديثة، وهي أعطت العلماء والكتب؛ كتب ابن سينا وابن طفيل والرازي وغيرها، حتّى تثقّفت أوروبا بها. وقد قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب): «في الوقت الذي كان شارلمان ملك فرنسا يتعلّم القراءة والكتابة، كان هارون الرشيد يراقب حركة النجوم»، وقد أعطى العرب منهج التجربة والتأمّل، فالنظرة ليست سلبية بالنسبة إلى الإسلام، فالقرون الوسطى أوقفت التاريخ والحياة والزمن، فأصبحت الـ 500 سنة كأنّها سنة واحدة.

ثمّ نشأ تطوّر حضاري فكري نتيجة تداخلات المجتمع الإسلامي، ووجود تيّارات إسلامية مقابل تيارات أخرى، ما أوجد مشاكل على المستوى الفكري أو الشعوري أو غير ذلك. فحركة السلفية مثلاً، كاتجاهات تراجعية يقابلها اتجاهات تقدّمية، فالتراجعية تمثّل جهات محدودة ولا تمثّل كلّ الإسلام...

*** إلى جانب الصورة الحضارية الممثلة لعدد من المحطات في التاريخ الإسلامي، بقي الجانب الحواري في هذا التاريخ العربي والإسلامي، وعند العرب والمسلمين مفتَقَداً، فالإنسانية الحوارية وقيمة الإنسان كإنسان، هي نوع من السلوك الإنساني اليومي مع الحاكم المسؤول عنهم من باب علاقة الراعي ورعيّته، حتّى المؤسسات الدينية عانت من بعض الأسئلة والشبهات؟**

قلت، إنّنا في الجوّ العام، الزمن توقّف، ثم عندما بدأ المسلمون ينفتحون، لاحظنا أنّه في عصر النهضة كان هناك ذهنية حوارية... وخصوصاً عندما ندرس محمد عبده وجمال الدين الأفغاني

والكواكبي، وكذلك عندما ندرس تيارات فرضت نفسها على الواقع، وعندما انفتح العرب على الإسلام، بدأ علماء مسلمون ومفكّرون مسلمون، سواء في الاتجاه السلبي في مواجهة الإسلام أو الإيجابي، بدأت هناك عملية ردود على ما أُثير من أفكار، منها مثلاً عندما طُرِحت نظرية داروين، بدأ المسلمون يناقشونها، وما أثاره قاسم أمين في موضوع المرأة مثلاً، حتّى في مسألة الإخوان المسلمين، نلاحظ كلمة حسن البنّا مؤسّس (الإخوان المسلمون) عندما قال: «نلتقي على ما اتّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً في ما اختلفنا فيه». هناك نماذج موجودة، ولكن نتيجة المنهج التربوي والوعظي، بقيت في الدائرة الضيّقة، ولم تحصل هزّات حضارية فوق العادة تعيد المسلمين لفهم تراثهم بشكل أصيل. ونحن نعتبر أنَّ هذه المسألة غير شاملة، والمشكلة عندنا هي أنّنا نعمِّم الظواهر التي تنطلق في واقعنا الإسلامي، لأنّ الناس الآخرين لا ينقلون الظواهر التي لا يهتمّ الناس بها. الناس عادةً تهتمّ بالظواهر السياسية أو الاقتصادية، أمّا ظواهر الفئات المستضعفة، حيث الجانب الحواري وغيره، فإنَّه في مجتمعاتنا في لبنان، نرى أنَّ المسلم يقبل المسيحيَّ العادي، والمسيحي يقبل المسلم العادي، ونرى أنَّ المسلمين الذين ذهبوا إلى الغرب تفاعلوا مع الغربيين، أو الذين ذهبوا إلى أفريقيا، وغاية الأمر أنَّ هذا التفاعل ليس بالمستوى الذي تمثّله الخطوط الإسلامية، ولكن باعتبار أنّها تجربة محدودة وليست واسعة في هذا المقام.

*** لقد قصدت الإشارة إلى الفترات المزدهرة في التاريخ الإسلامي؛ فترات العِلم والحضارة والإبداع الثقافي والفكري ممثّلاً في الجانب الثقافي والفكري، فنرى أنَّ تجربة المعتزلة مثلاً تدلُّ على عدم استكمال، وكأنّه تضادّ مع اليقين...؟**

مسألة المعتزلة، وأيضاً كانت تجربة الإمامية، ولكنّ تجربة المعتزلة هي التي نُقِلت وما نُقِل شيء للإمامية (العدلية)، وإلى جانب ذلك، انطلقت الاتجاهات الصوفية الفلسفية الفقهية، حيث كان هناك حوار فكري فقهي عند المسلمين السنّة والشيعة يعتبر ثروةً، إذ كان هناك شروط فقهية من أروع ما يكون، وكانت تنطلق من خلال حالة حوارية بين الفقهاء، فعندما نلاحظ كلّ الجوانب، نجد أنَّ هناك نماذجَ حيّة في عدّة مجالات، مثلاً في الجانب الأدبي نرى الحوار الأدبي، في الجانب الفقهي نرى ذلك، والجانب الفلسفي... فليست المسألة بهذا اللون الأسود كلّه.

وهناك نقطة، هي أنّهم ـ أي المعتزلة ـ لا يعتبرون أنّ العِلم نافع للإنسان بالمطلق، فهو قد يوجِّه الإنسان نحو الشرّ وقد يوجّهه نحو الخير. فأوروبا الآن التي تعيش في داخلها حالات

الحوار، نرى فيها الكثير من حالات القمع الفكري والحياتي، مع أنّها تعيش ديمقراطية الحوار. والإسلام في فترات الازدهار، كان هناك حالات قمع تنطلق من خلال الخلفاء السيِّئين والحكم السَّيِّئ، أو من خلال المتعصّبين من هنا وهناك، ولكن بقي هناك وضعٌ متقدِّم في المسائل الحوارية في شتّى العلوم والواقع الاجتماعي في هذا المجال.

*** هناك مفارقة قد تنشأ من خلال مستوى السلوك، لا الظاهرة، فالظاهرة مختلفة عن أوروبا؟**

– متى انفتحت أوروبا على الحوار واحترام الإنسان؟ منذ الثورة الفرنسية، وإلا كانت أوروبا غارقة بظلام أكثر ممّا هو عندنا. لهذا نقول، إنّ التراكمات التي حصلت في العالَم الإسلامي والاستعمارَ والتخلّف والجهل والحكم الفاسد، كلّ ذلك ترك تأثيرات منعت الخطّ المنفتح من الانفتاح والتحرّك. ولهذا علينا دراسة المسألة في الحالات الطارئة التي أطبقت على الواقع الإسلامي، فجمّدت حركة الاتجاه الحضاري بأن تفرض نفسها على الواقع.

*** أين يتناقض الجانب الديني مع ثوابته، ليتكامل مع الدنيوي ومقتضيات الحركة والتكيّف في مسألة الحوار كقيمة إنسانية مطلوبة؟**

– عندما ندرس الدين بكلّ كيانه الفلسفي والفكري والأخلاقي والشرعي، لا نجد هناك فاصلاً بين الديني والدنيوي، وأساساً نحن نعتبر أنَّ الدين جاء لخدمة الإنسان ولم يأتِ الإنسان لخدمة الدين، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال:24]، فالدين دعوة للحياة، ونقرأ أنَّ أساس الدين العدل ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد:25]. فالعدل حركة حياة ويشمل كلّ واقع الإنسان. لذلك نقول إنّ الحوار هو عنصر أساسي في الدين، وأن تكون داعية للإسلام، أن تكون محاوراً، وأن تحمل مفردات الحوار وروحيّته في ذهنيّتك وحركتك وأساليبك.

*** عُقد مؤخّراً مؤتمر الأديان في مدينة الدوحة عاصمة قطر، وقد اعتذرتم عن المشاركة حين علمتم بوجود شخصيات إسرائيلية، ألم تفصلوا السياسة عن الدين؟**

– هناك إسرائيل، وهناك اليهوديّة، فحين قالوا لنا إنّه سوف يحضر يهود من لوس أنجلوس، قلنا لا مانع، ولكن حين قالوا إنّ وزارة الخارجية القطرية دعت وزارة الخارجية الإسرائيلية

والوفد الإسرائيلي، وهنا عندنا حالة سياسية في مقاطعة إسرائيل، لأنّ المسألة لا تزال بيننا وبين إسرائيل الدولة، بقطع النظر عن يهوديّتها كدين، فالمسألة انطلقت من خلال هذا الأمر، عندما قيل لنا حوار الأديان كلّها لم يكن لدينا مشكلة. المشكلة كانت في دعوة وزارة خارجية إسرائيل ووجود ممثّل لإسرائيل، ولهذا، وباعتبار الوضع السياسي، لم نشارك، ولقد صرّحت مراراً أنّه ليست عندنا مشكلة حوار مع اليهودية كدين... وحتّى كنّا نقول إنّنا مستعدون كمسلمين للحوار مع البوذيين والغرب.

*** استناداً إلى الموقع ـ المرجع الذي تمثِّلون، والحالة الفكرية الحوارية والمستنيرة التي طبعتم بها مسيرتكم الدينية، لا بدّ أنّ ذلك جعل الباب مفتوحاً أمام الآخرين لطرق باب الحوار معكم. هل عشتم تجارب حوارية مع أديان أخرى؟**

- لم تحصل فرصة كهذه.

*** ولا حتّى مع يهود عرب؟**

- حتّى مع هؤلاء لم يحصل. طبعاً اليهود، وحتّى النصارى، لا يتحدّثون الآن عن اللاهوت، البعض منهم لا يتحدّثون عن اللّاهوت، وحين يأتيني مثقّفون غربيّون بعضهم يهود، سواء من أميركا أو أوروبا، أجلس معهم ونتحاور ولا أشعر بمشكلة معهم، وأنا شخصيّاً عندما يقولون لي إنّهم يهود فلا مشكلة، وأحياناً قيل لي عن مراسل الواشنطن بوست إنّه يهودي، وقد استقبلته أربع مرّات في أحاديث منفتحة على جوانب كثيرة، وقد قال للأميركيين: لماذا لا تستمعون للشيخ فضل الله ـ وَفْق تعبيره ـ؟

*** منذ حوالى السنتين، نشر أحد خبراء الاقتصاد، وهو بلجيكي الجنسية، وعمل مستشاراً في البنك الدولي، كتاباً عمل على إعداده على مدى عشر سنوات، ويتعلّق بعلاقة الأديان بالإنتاج الاقتصادي، ومَنْ مِنْ هؤلاء هم الأكثر إنتاجيةً تبعاً للديانة التي ينتمون إليها، وذكر أنّ البروتستانت حَلّوا في المرتبة الأولى، لأنّهم كدين متحرّر، هم أكثر إبداعاً وإنتاجاً، يليهم الكاثوليك بفارق كبير، ثمّ اليهود، ثمّ المسلمون، ثمّ الأرثوذكس؟ بماذا تعلّقون؟**

- هذا ليس صحيحاً، وقد استند إلى الواقع الغربي، الذي لم ينطلق من الحالة الدينية، فالبروتستانت انطلقوا من خلال سيطرتهم على أميركا، لا من خلال الدين، ولهذا استطاعوا

أن يأخذوا بالفرص أكثر من الأميركيين الآخرين، ولو فرضنا أنّ دراسة البروتستانتية في ذلك كخطّ ديني هو الذي ساهم في هذا المجال، فلأنَّ فرص العمل عندهم أكثر، لأنّهم هم الذين سبقوا في الواقع الأميركي غيرهم، والمسلمون ذهبوا إلى أميركا كعمّال، وحين نأتي إلى الإسلام، نجد أنّه أدخل الجانب الاقتصادي في الجانب الديني، ولهذا أعطاه جانباً قيميّاً وقنّنه. لهذا أيضاً نرى أنَّ الاضطهاد والتخلّف الذي عاشه المسلمون هو الذي عطّل حركتهم الاقتصادية. ففي الإسلام قانون في شأن الاقتصاد وحركة العمل والمال وغيره، والمسيحية لا يوجد فيها قانون للمعاملات ولحركة العمل والاقتصاد والمال.

العنف في الحوار

*** تتمّة لحوارنا في الحلقة السابقة: هل مسألة الحوار كلغة مدنية وحضارية، تأتي في سياق يبدو وكأنَّ طرفاً يتنازل لآخر؟ وإذا ما صحّ قيامها كحالة إنسانية راقية، هل تبدو وكأنّها مسألة ترف ذهني لأهل النُّخبة فقط، ولذلك يترتّب عليها صعوبات، لأنّ شعوباً لا تتقن الحوار كسلوك مع بعضها البعض بما يخلق صداماً بينها يبدأ بألاّ حوارَ وينتهي حتماً بالعنف؟**

مسألة الحوار هي مسألة في الشكل، مسألة ثقافية إنسانية تنطلق من حديث الإنسان مع أخيه الإنسان. وقد تبدأ من حديث الإنسان مع نفسه، في هذا النوع من أنواع الصراع الداخلي بين ما يلتزمه الإنسان من خلال بيئته أو من خلال تفكيره الأول، وبين ما يعرض له من أفكار جديدة تختلف عن الأفكار القديمة، أو ما يتحرّك داخل ذهنه من خلال المشاعر والأحاسيس، أو من خلال انتقاله إلى بيئة أخرى، فيبدأ الإنسان مسألة حوار عملية مع نفسه، فيحاول من خلاله تطلّب الحقيقة ومعرفتها لينقذ نفسه من هذا الصراع أو هذه الازدواجية بين فكرٍ قديم وفكرٍ حديث، أو يحاول تغليب الفكر القديم على الفكر الحديث، باعتبار الألفة التي عاشها في ماضيه مع هذا الفكر. ثم ننطلق لنجد أنّ الحوار هو حالة إنسانية لكلّ الناس، فنحن نجد أنَّ هناك حواراً قد يأخذ مُناخ العنف والرِّفق في كلّ بيت، وفي الجوّ العائلي... وفي المجتمعات التي يعيشها الناس في الدوائر الصغيرة والكبيرة، وليس من الضروري دائماً أن يكون الحوار فكرياً، بل قد يرتبط وينفتح على الحياة وقضاياها، كمسائل البيع والشراء والتجارة مثلاً.

*** هذه من الأمور التي تدخل في يومياتنا، ولكن إذا قُصِد بالحوار لغة تذليل الصعوبات منعاً للعنف والصدام والكره، فهل الحوار فنٌّ صعب؟ ومَن يتقن لغة الحوار، هل هم نخبة أيضاً؟**

هذه المسألة تتبع المستوى الثقافي، فقضيّة أن يمتلك الإنسان الحوار في مفرداته وفي أساليبه وفي مُناخه، تتبع المستوى الثقافي الذي يختزنه الإنسان في شخصيته الثقافية. ومن الطبيعي أنّ الإنسان الذي يملك ناصية الحوار في كلّ خطوطه الداخلية والخارجية، قد تختلف أهدافه، فقد يتحرّك بالحوار من أجل أن يقمع الطرف الآخر نتيجة الحالة النفسية التي يلتزم فيها فكره مقارنةً بالفكر الآخر أو في مواجهته، وربّما يعيش الإنسان حالة نفسية مريحة إنسانية، فيحاول اللجوء إلى الحوار ليعطيَ للساحة المُناخ الذي يفهم فيه كلّ فريقٍ خطاب الفريق الآخر، من ناحية ما يعيشه الإنسان من حاجة سياسية أو اجتماعية، لكي يسود التفاهم بين الناس في المجتمع الواحد أو المتعدّد. وربّما ينطلق الحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة في تعاون المثقّف مع المثقّف، أو تعاون السياسي مع السياسي، لاكتشاف الحقيقة الضائعة بينهما، عندما تكون الحالة النفسية الفكرية لدى الطرفين حالةً تتميّز بالجديّة وبالهدوء.

لذلك، فإنّ الهدف الذي يستهدفه المحاور في هذا الجانب أو ذاك الجانب، يتبع طبيعة الشخصية؛ شخصية المحاور من حيث القضايا التي يحاول الوصول إليها من خلال الحوار. ومن الطبيعي أنّ الحوار عندما يتحرّك في القضايا الفكرية أو السياسية أو ما يتعلّق بالاقتصاد والأمن وغيره، فربّما يحتاج إلى مستوى ثقافي معيّن قد لا يتقنه إلاّ النّخبة، ولكن من الممكن أنْ يتحرّك في القضايا الشعبية العامة التي تهمّ الناس ويختلفون فيها، ليصلوا إلى نتائج بواسطة الرِّفْق أو العنف، تبعاً للغة الحوار في هل هي لغة رِفْق أو لغة عنف.

*** كيف يمكن للعنف أن يكون لغة حوار ووسيلة حوار؟**

– من الممكن جدّاً، لأنّ علينا معرفة طبيعة هذا العنف كمسألة حسيّة مادية تتضمن هجوماً مادّياً كهجوم شخصٍ على شخص، أو حبس شخص لشخص... وقد يكون العنف في الفكرة وفي الكلمة. ومن الطبيعي أنَّ الفكرة عندما تعنُف، فإنّها لا تُسقط الموقع، بل تحاول أن تعطيَه حرارةً أكبر، وتعطيه جديّة أكبر، لأنّ قضية الفكر في مصادمته للفكر الثاني، هي قضية العناصر التي يختزنها هذا الفكر في مواجهة الفكر الآخر الذي يختزن عناصر أخرى، ما يجعل الحالة كأنّها حالة حرب بين الفكرتين، ولكنّها حربٌ عقلانية تنطلق من خلال

الحجج والبراهين والأدلة، هناك فرقٌ بين العنف في الأسلوب والرِّفْق في الأسلوب وبين العنف في مفردات الفكرة هنا وهناك.

*** إلى أيّ مدى يبيح الإسلام، مولانا، استخدام العنف كمقدّمة للتفاوض؟**

– من الطبيعي جداً أنّ الإسلام يهدف إلى إقناع الآخر والوصول إلى الالتزام الثقافي لدى الآخر، ولهذا فإنّه لا بدّ من أن يتّبع الوسائل الأقرب للحصول على هذه النتيجة، وليس من الضروري أن تكون هذه الوسائل، وسائل غير عقلانية، لأنّ العقل قد يعنف؛ قد يعنف في استحضار المفردات التي يمكن أن تصدم الفكر الآخر فتنقذه من هذا الجمود الذي يعيش به. العنف ليس سيّئاً، فنحن نجد أنَّ السماء تعنف فتنزل المطر، وأنَّ الماء قد يعنف فيحرّك الفيضان الذي يُخصب الكثير من الأرض، وهكذا عنف الفكر، لأنّ هناك فرقاً بين أن تصادر عقل الآخر وبين أن تقتحمه. العنف الذي يقتحم عقل الآخر يحاول أن يهزّ جموده، فيجعله يفكّر أكثر، ويجعله يستحضر عنفه في مقابل الآخر.

*** هل إنّ الخبرة في الجانب النفسي للآخر تبيح لي استخدام المحفّزات التي تجعل الآخر ينسجم مع الفكر الذي أؤمن به وأعمل لأجل نشره؟**

– تارةً أريد أن أقنع الآخر وأن أجلبه إليّ، وطوراً أريد إقناعه فأحاول اللجوء إلى الأساليب التي قد تترك تأثيرها عليه، قد تكون بعض الأساليب عاطفية وعقلانية، أمّا إذا كنتُ أريد الحقيقة، بقطع النظر عن نقاط الضعف الموجودة لدى الإنسان، أي لستُ في مقام إسقاط الإنسان فكرياً بالأساليب الجدليّة ـ مثلاً ـ بل أريد إيصال الحقيقة لهذا الآخر، فلا بدّ لي من استعمال الأساليب والمفردات التي يمكن أن توصل إليه الحقيقة كاملةً غير منقوصة، وقد نحتاج في بعض الحالات، لفتح عقل الإنسان، إلى بعض المفاتيح العاطفية أو الشعورية في هذا المجال، لنبادر إلى تأكيد القضايا العقلانية وغيرها...

*** تتمّة للسؤال المتعلّق بالحوار ولغته، يقال دائماً حوار الأديان أو الحضارات. نحن نعلم أنّ الأديان قائمة على عقيدة ثابتة. فما هو الحوار الذي يقوم بينها؟ وهل هو حوارٌ تغييري، أم إنّه حوارٌ لتخفيف الكراهية وتالياً الحروب؟**

– لماذا نعطي الدين هالة لا عقلانية، كما هي في الحالات الحاصلة، أو نعطي الدين عنواناً

جامداً بلحاظ الثبات الذي فيه. إنّنا نعتقد أنَّ الدين هو فكر في كلّ مفرداته، بقطع النظر عن مصدر هذا الفكر. عندما نبدأ بالقاعدة التي يرتكز عليها الدين، فإنّها الإيمان بالله الذي هو حالة من الشهود الحضوري في الإحساس الإنساني الداخلي، وحالة من الغيب. فوجود الله هي حالة عقلية، حيث لا نقول إسلامياً إنّ الدين فوق العقل، بل نجد أنّ الله تعالى يُعرَف بالعقل، ولذلك نجد أبحاث التوحيد في الإسلام، تختزن وجود الله ووحدانيّته، امتداداً إلى حكمته وقدرته وعلمه إلى آخر الصفات الإلهية. فإنّ الفلاسفة المسلمين في استيحاءاتهم الفكرية، يستدلون على وجود الله بالمعادلات العقلية، حتى إنّهم يستدلون على توحيد الله، امتداداً إلى صفاته وأسمائه الحسنى، بالأدلة العقلية، في دراسة مسألة الألوهية والقدرة المطلقة والعِلم المطلق والحكمة المطلقة. لهذا، صحيح أنّ المسلم يلتزم وجود الله، ولكنّه عندما يدخل الحوار مع الآخر، لا يصادره ليقول له كُن مسلماً، وإنّما يطرح المسألة على أساس الجدل: هل الله موجود، أو أنّه ليس موجوداً؟ تعالَ نبحث في الأُسس التي أرتكز عليها في إيماني، والأُسس التي ترتكز عليها في شكّك. حتّى إنّنا في بعض الآثار الدينية الواردة عن أئمة أهل البيت (ع)، نجد أنّ شخصاً سأل الإمام الصادق (ع): رجلٌ شكّ في الله؟ قال: **كافر**، قال: شكّ في رسول الله؟ قال: **كافر**، ثمّ قال: **إنّما يكفُر إذا جحد**. إذا بقي في حالة الشكّ فليس كافراً، الكفر هو الجحود؛ أن تجحد بدون أساس.

وهناك حديث آخر يقول: «**لو أنّ الناس إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا، لم يكفروا**». وعلى هذا الأساس، يعترف الإسلام بالشكّ، ولكنّه يريد أن يحرّك الشكّ في مرحلة اليقين، حتى إنّنا في اجتهادنا الإسلامي، نرى أنّه لا تقليد في العقائد، بل لا بدّ من الاجتهاد، بمعنى أنْ يعتقد المرء بالأسس الإيمانية عن اجتهاد، عن دراسة، على أساس الأدلّة والبراهين، سواء أكانت تفصيلية أو إجمالية. فإذا أخذنا هذه الفكرة، فإنّ الدين هو ثابت من حيث المصدر، ولكن حركيّته في قضية العلاقة مع الآخر والحوار معه هو متحرّك، لأنّ قضية أن تقدّم دليلك وحُجّتك وبرهانك للآخر، تأكيداً على ما عندك، ولتنتظر وجهة نظره في مواجهة ما تطرحه، هو أمرٌ متحرّك وليس أمراً ثابتاً.

فالحوار بين الأديان، وحتّى ما يتعلّق باللّاهوت، نجد أنّ هناك كتباً كثيرة في الحوار الإسلامي ـ المسيحي في قضايا اللاهوت، مثل قضايا التجسّد والفداء وغيرها.

*** من يذهب إلى حوار أديان بمسلّمات مطلقة، هل يشكّل ذلك دافعاً للحوار مع الآخرين؟**

– هناك نقطة تتّصل بجانب الإنسان النفسي. إنّ كلّ متديِّن في أيّ دين، يتمنّى أو يتطلّب أن يجذب الآخر إلى دينه، وهذا يدفعه إلى الأخذ بأساليب الحوار لاجتذاب الآخر، وقد تكون أساليب عاطفية ونفسية وعلمية وعقلية... وقد رأينا دعاةً للأديان في حركة التبليغ للإسلام أو التبشير للمسيحيّة، تتحرّك في العالَم لاجتذاب الآخر بمختلف الأساليب التي تخضع بأجمعها لعنوان الحوار، ولكنّه حوار قد يختلف، فقد يكون حواراً ساذجاً أو معمّقاً. فمسألة أنْ يحمل الإنسان فكراً، أيّ فكر، سواء أكان فكراً دينياً أم علمانياً أم اجتماعياً أم سياسياً، فإنّه يحاول من خلال إخلاصه لفكره في ما إذا كان لفكره امتداد في الإنسان الآخر، يحاول جذب الإنسان الآخر إلى مبادئه، لأنّ ذلك يمنحه قوةً لفكره أو لفريقه. ولذلك نستطيع القول إنّ الحوار من أجل اجتذاب الآخر هو حالة إنسانيّة في كلّ فكرٍ يلتزمه الإنسان، ممّا يمكن له أن يمتدّ في الحياة.

*** لغة الحوار من أبرز سمات الخطاب الديني والسياسي الذي تتوجّهون به إلى الآخر، سواء كان مسلماً أو غير مسلم. أيّ نوع من الحوار هو الأصعب؟ ومع مَن؟ هل هو الحوار الديني والفكري أو السياسي؟**

– من الصّعب جداً محاورة المتعصّب، وهو أكثر المواقع صعوبةً، المتعصّب الذي أغلق ذهنه وفكره، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:6]، فليسوا مستعدين لفتح أيّ نافذة في فكرهم على الآخر. وهو ما نلاحظه في هؤلاء الذين يلتزمون الدين تعصّباً، كما يلتزمون السياسة أو الاجتماع تعصّباً، فالمشكلة أنّنا لا نستطيع فتح كوّةٍ في داخل كيانهم وذواتهم، لأنّهم أغلقوا كلّ ذاتهم على ما التزموه، وبالنحو الذي ليسوا مستعدين للحوار مع الآخر وإقناعه.

أتذكّر هنا واقعة ظريفة حصلت بين شخصين كانا يتناقشان في السياسة وبحدّة، إذ قال أحدهما للآخر: لا أسمح لك أن تغيِّر لي أفكاري.

سأقول طرفة ثانية، إذ سئِل بعض الناس: لماذا لا تذهبون لمحاورة السيد فضل الله؟ فأجابوا: لديه الحُجّة ونخاف أن يقنعنا بها. لقد قلت إنّ العصبيّة هي المشكلة في الشرق، والعصبيّة لم تأتِ من الدّين في الشرق، إنّما من الانفعال الشرقي، فالعصبيّة شرقية وليست

دينيّة، وهي تُنتِج الجهل، والجهل على قسمين: جهل بسيط وجهل مركّب، الأول هو الجهل الطبيعي ويقول لا أعرف، والثاني هو الذي لا يعرف ويعتقد أنّه يعرف، وكما قال الشاعر:

قال حمار الحكيم يوماً   لو أنصف الدهر كنت أركب
لأنّني جاهلٌ بسيط   وصاحبي جاهل مركّب

*** هناك مجال لإقناع الآخرين عن طريق الحوار، فلماذا يمارس العنف الجسدي؟**

– ما دام هناك مجال لاقتحام عقل الإنسان، علينا إيجاد العذر له فيما اقتنع به ونتابع معه، فالحوار ليس وقوفاً عند مرحلة واحدة، وإنّما ننطلق من مرحلة إلى مرحلة، الحوار هو تجربة الدخول في الآخر، الدخول في عقله ومشاعره وأحاسيسه. فالإنسان متعدِّد الأبعاد، ولذلك قد تقنعه من خلال عقله أو عاطفته أو طمعه. من يعِش رسالية الفكرة فعليه ألّا يتجمّد في مرحلة معينة.

*** من هو المخوّل لإيجاد آلية حوارية لحلّ مشكلة موجودة؟**

– عندما نقول إنّ الحوار حركة فكرية، والفكر ليس خطّاً واحداً، والفكر قد يقتحم الجانب النفسي والعاطفي والعقلي والسياسي والاجتماعي، فلا نستطيع تحديد مسألة الحوار في نتائجها بفريق معيّن، كمركز دراسات أو مرجعيات دينيّة أو سياسية، فربّما نستطيع الوصول إلى نتائج إيجابية من شخص لا يملك ثقافة فكرية، لأنَّ لديه أسلوباً مقنعاً للآخر من ناحية عاطفية أو من ناحية نفسية في هذا المجال.

لهذا فالحوار إنساني، وتأثيرات الإنسان في الإنسان هي تأثيرات متنوّعة، فالإنسان لا يمثّل بُعداً واحداً، وإنّما يمثّل تنوّع الأبعاد التي يختزنها في شخصيّته في التربية، وقد يستحدث أبعاداً جديدة من خلال المؤثّرات التي قد تؤثّر فيه وفي تطوّره الحالي.

*** صورتان تسمان الواقع الفكري ـ السياسي الإسلامي، وكأن لا حول ولا قوّة لفريق ثالث أو للثالث المختلف:**

– حركات إسلامية متطرّفة وسيلتها العنف.

– مؤسسات دينية ـ فكرية تتراوح ما بين الخاص أو المكمِّل لحركة الواقع الرسمي التقليدي. ما العمل لإيجاد تصوّر، أو صورة ما تبدِّد بعضاً من حدّة الأبيض والأسود؟

– منذ كان الإنسان، وهو يتحرّك بين الرّفق والعنف، وهذا ما نقرأه في القرآن في قضية هابيل وقابيل، في قضية القتل ومحاولة الإقناع، وهو ما ندرسه في قضية إبليس وآدم وحوّاء... فقضية الرّفق والعنف مسألة إنسانية تخضع لظروف، سواء تربوية أو بيئية، وهذا العالَم الحديث ليس العنف جديداً فيه، فالحضارات كانت تتقاتل مع بعضها البعض، ودول تسيطر على أخرى، وحتّى الحروب الدينية، فآليات العنف وخطوطه اختلفت، ولكنّه من طبيعة الحياة.

*** تزداد صورة العالم الإسلامي سوءاً، وتبدو الصورة الميدانية لهذا العالم وكأنّها صراع مذاهب بما يلغي حيوية الخلاف والحق بالاختلاف... أتخشون تنامي هذا الواقع سلباً؟ مَن يبدِّد ذلك؟ ومن الذي عليه أن يعمل على تبديد هذه المسافات الآخذة بالتباعد؟ وهل في ذلك صحّة كدلالة على الحركة أم وراء الأكمة ما وراءها؟ ألذلك بُعد سياسي أكثر ممّا هو ديني؟**

– هذا السوء ناشئ من عنصرين: وجود بعض المسلمين الذين يحملون أفكاراً متخلّفة في الآليات التي يعبّرون فيها عن هذه الأفكار في ساحة الصراع، انطلاقاً من خلفيات قد تكون صحيحة، وطنية أو تحرريّة أو غير ذلك، كما نلاحظه في حركة بن لادن، حين يتحدّث عن الفلسطينيين والأميركيين المسيطرين على جزيرة العرب... فالآلية تثير الجدل ـ إنْ لم نقل بسلبيّتها ـ ثمّ إنّ الخصم في هذه المعركة أو الحركة العنفية، يملك كلّ الوسائل التي يمكن أن تحارب هذا الاتجاه، فيحاول الاستفادة منها للسيطرة على العالَم الإسلامي، لأنّه يريد إسقاط هذا الاتجاه، وقد استطاعت تكبير الصورة أكثر ممّا هي كبيرة، باعتبارها في حالة حرب، فكيف يمكن لجماعة مسلحة أن تقتحم أميركا وتسقط عنفوانها وعزّتها؟!

من الصعب جدّاً ما دامت هذه المعركة بين الغرب بشكل عام وبين الإسلام، من خلال هذه النماذج التي حسبوها على الإسلام، من الصعب الوصول إلى نتيجة بواسطة تغيير المدارس أو الوعظ، لأنّ القضية أكبر من ذلك كلّه. فالتحدّيات الغربية الأميركية ـ الإسرائيلية تثير المسألة لترجع العنف إلى مواقعه الحيويّة. وهو ما نلاحظه في فلسطين، فالفصائل المجاهدة وقّعت على الهدنة، ولكنّ إسرائيل تحاول خلق ما يثير الفلسطينيين، فهي تغتال وتقتل وتدمّر وتعتقل.

فالغرب بإداراته وعى أنَّ هناك صحوة إسلامية، لأنّ هذه الحركات الإسلامية لم تكن سلبية بالمطلق، بل إنّها إيجابية، لأنّها أثارت جدلاً في العالَم الإسلامي كلّه، وغضب العالم الإسلامي على أميركا، وهو ما لاحظناه في تصريحات رئيس وزراء بريطانيا وعمدة لندن. إنّ هذا الجدل انطلق ليس على مستوى الفكر، بل على مستوى الواقع والتحدّيات المنطلقة هنا وهناك، إنّها معركة ستستمرّ كثيراً.

*** يقول البعض إنّ هذا المنشأ أساسه الإسلام نفسه، بسبب وجود حركات تكفيريّة إسلامية منذ حركة الخوارج وصولاً إلى واقعنا المعاصر؟**

– هذا موجود في الإسلام والحضارات الأخرى، ومثالهم البوذيّون واليابانيّون، وقد صار التركيز على الإسلام من خلال فهم النصوص بشكل متخلّف... وقد تنطلق أعمال العنف من عقد نفسية أحياناً، وليس من تفكير خاطئ... ولم يقبل الغرب كلّ دعوات العلماء من أنَّ الجهاد دفاعي وليس عنفياً، ثم إنّ العدالة الإنسانية هل تقتضي تحميل الأمّة تصرّفات بعض الأفراد منها؟! وهو ما يحصل في الغرب في هذه الأيام، فقد صارت معركة بين الاستعباد والحرية، والشعوب الإسلامية، بقطع النظر عن الآليات المستخدَمة في مواجهتها للغرب في المعركة، انطلقت في معركة من الصعب أن تنتهيَ سريعاً، وصار فيها فوضى حيث لا خطّة دقيقة.

*** هذا يعني أنّ ترتيب البيت الداخلي يبدأ من الحوار مع الأقرب قبل انطلاقه نحو الآخر؟**

– طبعاً، ولقد كتبتُ ذلك منذ عشرات السنين في (قضايانا على ضوء الإسلام)، في ما يتعلّق بالجهاد الداخلي والخارجي، حيث لا انفكاك بينهما، لأنّ الخارج لا يعطي فرصة لجهاد النفس ثمّ مجاهدته، فهو يحاصر ويستعمر ويصادر المقدّرات، لذلك علينا محاولة استخدام كلّ الأساليب لتحقيق الجهادين.

*** هناك دراسات حاولت تأكيد أنّ العربي ـ الإسلامي ليس مدنياً، وأنّ العنف إنّما هو طبيعة ثانية في شخصية الفرد المسلم، فبنيته الاجتماعية قائمة على عصبية قبليّة، تستدعي صراعاً دائماً؟**

– هذه البنية لم تنطلق من حالة ثابتة متجذّرة، والقبلية موجودة في العالم كلّه، فكيف كانت

أميركا أيّام الهنود الحمر؟ وهي لا تزال في قضية العنصرية (السود والبيض). والشعوب العربية كالشعوب الأخرى، دخلت في بيئات متعدِّدة متنوّعة، وهو ما لاحظناه في انطلاق الحضارة الإسلامية، ولاحظنا أنّه ليس كلّ الشعوب العربية تستعمل العنف، وقد يكون العنف نتيجة فقر وحرمان ذاتي... هناك عنف ضدّ المرأة أحياناً وهو موجود في أوروبا وأميركا، وقد يكون أكثر ممّا هو عندنا. فالشعوب الإسلامية فيها عنف ورفق، وهي تتطوّر في اتجاه أساليب الرّفق وغيرها، فلا فرق بين من يقوم بعملية إرهابية وبين الجندي الذي يقتحم نتيجة أوامر قيادته. فالمسألة غير شاملة من جهة طرح الأحكام بين الإسلام والمسلمين. وتأثّر الشعوب الإسلامية بالتحدّيات الأخرى، كتأثّر بقية الشعوب، وهو ما لاحظناه من ردّة الفعل الغربية تُجاه المسلمين عقب تفجيرات لندن، على سبيل المثال.

إنّ الإعلام الذي يملكه الاستكبار العالمي، هو الذي استطاع أنْ يجذِّر هذه الصورة في نفوس الرأي العام العالمي، والإسلام يقول لنا إنّ علينا وضع كلّ قضية في نطاقها الواقعي، حيث لا يؤخذ البريء بذنب المجرم.

2005 ـ 8 ـ 1

*** أريد التطرّق مجدّداً إلى مسألة القداسة، هل إنّه موضوع ممنوع التحدّث به؟**

– كلّا، بل علينا أن نفهم طبيعة هذه القداسة، فربّما نقدّس غير المقدّس، لذلك علينا أن ننفذ إلى داخل هذا الشخص الذي لا يملك القداسة، وإنّما أعطيناه من مشاعرنا وأحاسيسنا ومن أوضاعنا المعقّدة، أعطيناه القداسة، في الوقت الذي لا يملك هو أيّ عنصر من عناصر القداسة. أمّا المقدّس الذي يملك عنصر القداسة، فعلينا أن ندرس عناصر القداسة هذه، نحن نقدّس الله مثلاً، فعلى أيّ أساس يكون تقديسنا لله؟ حتّى نفهمها، وحتّى يكون التقديس تقديساً واعياً، نحن مثلاً نقدّس الأنبياء، أيضاً علينا أن ندرس العناصر التي جعلت هذا النبيّ أو ذاك مقدّساً عندنا، حتّى يكون تقديسنا تقديساً واعياً لا تقديساً تقليدياً وتلقائياً من دون وعي. إنّني أقول إنّ للإنسان الحقّ في أن يفكّر في كلّ شيء، نحن نفكّر في وجود الله وفي توحيد الله، ولكنّنا لا نستطيع أن نفكّر في ذات الله، لأنّنا لا نملك الوسائل التي يمكن أن ننفذ فيها إلى ذات الله، إلى المطلق مثلاً، ولكن يمكن أن نفكّر في وجود الله، في توحيد

الله. أمّا بالنسبة إلى البشر، فيمكننا التفكير في الأنبياء لأنّهم مكشوفون أمامنا، فيمكن لنا أن ندرس ما يملكون من علم وعقل وسلوك ومن حركة العلاقات وما إلى ذلك.

*** حتّى بالنسبة إلى النص المنزل؟**

– نحن نؤمن بأنّ النّص ما دام منزلاً من الله، فهو مقدّس، ولكنّ النّص الذي نزل من الله إنّما هو هذه الحروف، هذه الكلمات، ولكن مضمون الكلمات يبقى في دائرة الانفتاح الثقافي، الفكري، أن نفهم مضمون الكلمة وآفاقها.

*** ربّما بسبب غياب الوعي الحرّ، تصبح مسألة نقاش المقدّس خاضعة للمزيد من الحساسيات؟**

– علينا أن نعالج هذه المسألة، وأعتقد أنّه من الممكن جداً في تطوّر المعرفة لدى الإنسان، أن نحصل على نتائج إيجابية وبشكل تدريجي.

*** تبدو صورة هذا المجتمع الكوني وكأنّها سائرة في اتجاه جذرية قاتلة نحو الانغلاق والتقوقع بما يتعلّق بالجوانب التي تركّز على هُويّة الذات والمجموعات، وما تولِّده من كره للآخر على الصعيد الديني والإثني والسياسي. أيّ حوار يمكن أن ينبّه إلى مخاطر هذا الانزلاق؟ وأيّ إنسان؟**

– أنا لستُ متشائماً في مستقبل الإنسان، بالرغم من كلّ هذه الصراعات التي تتّجه إلى التدمير الأمني أو الاقتصادي أو السياسي. ولكن عندما ننفذ إلى الإنسان الذي يتحرّك بشكل تلقائي أو إنساني، نجد أنّ هناك في العالَم الكثير من الوجودات الإنسانية التي تفكّر بالسلام والمحبّة والتسامح. ليست الصورة قاتمة بهذه الشمولية، هناك جهات من المستكبرين، إذا صحّ التعبير، تعمل على أساس حشد ذاتيّاتها في مأساة الإنسان، ولكن ليس الإنسان كلّه على هذا الشكل.

*** هنا إحصاءات ودراسات اجتماعية تتفاوت في تقديراتها، ولكن ثمّة مشكلات آخذة في الظهور أكثر فأكثر في مجتمعنا العربي ـ الإسلامي، ومنها مشكلات تفكّك الأسرة، هل هي انعكاس لأزمات هذا الإنسان العربي والمسلم الاقتصادية والسياسية؟**

– إنّها إحدى المفردات التي عشناها من خلال تأثير الواقع الغربي من جهة، والعنصر

المادي الذي يحكم الإنسان ويدخله في جانب ذاتيّته وأنانيّته بحيث لا يعيش مع الآخر، من جهة ثانية، ولكنّ المسألة ليست في هذه الخطورة في عالمنا العربي والإسلامي حتّى الآن.

*** قد لا تكون بهذه الخطورة، ولكن سعي المرأة للمشاركة في مناحي الحياة الاقتصادية، وربّما السياسية، في مجتمعنا العربي والإسلامي، وسعيها إلى انتزاع مكاسب أكبر، لا بدّ من أن يُحدث هزّةً في هذه المجتمعات التي ما تزال تغلق الكثير من النوافذ أمامها؟**

– أنا أجد أنَّ مسألة الجوّ الأُسري والعائلي يرتبط بالفطرة العميقة للإنسان، ولكن هناك بعض التعقيدات التي قد تحصل هنا وهناك، قد تؤثّر في هذا الجانب وسواه. نحن نجد أنَّ المرأة عندما انفتحت وتحرّرت ودخلت في المسألة الاقتصادية، عاشت الغربة النفسيّة في هذا المقام، لأنّ مسألة الأمومة ليست مسألة تأتي من الخارج، وإنّما من الداخل، لذلك نجد الكثير من الصيحات في الغرب، تنعى على الواقع الاجتماعي ابتعاده عن مُناخ الأسرة.

8 ـ 8 ـ 2005

*** انطلاقاً ممّا نشهد، هل يمكن للضعيف أن يكون محاوراً أو أن يُقبل كمحاور؟ وأيّ آخر هو الذي يجب أن يكون الحوار معه؟ أهو الآتي بكلّ أسلحة غزوه وغزواته إلى درجة النيّة في كلّ خليّة تنبض في مكوّناتنا، أم الآتي بقوّة المال والاكتشافات العلمية والاختراعات وثورة التواصل والتكنولوجيا؟**

– هناك دائرتان لحركة الحوار: هناك دائرة الحوار في الموقع الاجتماعي أو السياسي الذي يتميّز بموازين القوى التي تعمل على أن تفرض رأيها، وقد تحاول أن تجعل الحوار وسيلةً لفرض الرأي عندما تحيط الحوار ببعض الضغوط التي تُسقِطُ المحاوِر، أو أنّها تمنعه من الاستفاضة في بسط وجهة نظره وتحقيق قناعاته.

وهناك دائرة ثانية، وهي الدائرة الثقافية الموضوعية التي تحاول من خلال الحوار اكتشاف الحقيقة في الفكرة، بحيث تنظر إلى الأمور من زاوية المنهج الثقافي الذي يعتبر الحوار رحلةً لاكتشاف الحقيقة.

من الطبيعي أنَّ الدائرة الأولى، هي التي ربّما يغلُب عليها ما يتمثّل في الدائرة الدينية التي

تريد في كثير من أوضاعها أنْ تفرض رأيها على أساس أنّه الرأي المقدّس، فتحيط الحوار ببعض الأساليب التي تجعل المحاوِر إذا كان ضعيفاً يسقط أمام هذه الوسائل والأساليب الضاغطة، وقد يتمثّل أيضاً في المواقع السياسية، سواء كانت في موقع السلطة إذا كانت السلطة تفسح في المجال للدخول في حوار مع الآخرين، أو في موقع التيارات السياسية الحزبية التي تملك مواقع القوّة، أمّا الدائرة الثانية، فهي الدائرة الثقافية العلمية التي تحاول أن تأخذ بأسباب الموضوعية في إدارة المسألة الفكريّة هنا وهناك.

وعلى ضوء هذا، فإنّ من الممكن جدّاً أن يكون الضعيف محاوراً في الدائرة الثانية، إذا كان واثقاً بما يملكه من اقتناعات فكريّة، بينما في الدائرة الأولى، لا يملك الضعيف أيّة فرصة لتقديم وجهة نظره.

*** انطلاقاً من ذلك، هذا العالَم الإسلامي بما هو عليه وبما هو فيه، من هي الجهة التي عليها المبادرة لإدارة حوار مع الذات ومع الآخر؟ هل هي المؤسسات الدينية لأنّ الخلاف ديني؟ وهل الخلاف سياسي حتّى يقوم وزراء الخارجية بمهمة الحوار مثلاً؟ هل هو أكاديمي فيتصدّى أهل النخب الفكرية لذلك؟...**

– من الطبيعي أنّ المُناخ الذي يتحرّك في العالَم في النظرة إلى الإسلام، هو مُناخ ضبابي من حيث طبيعة الرؤية، أو أنّه مناخٌ يعيش الغبار النفسي الذي يشمل الأجواء، تماماً كما هو الغبار الذي يثور في الرّبع الخالي، أو كما سمعنا عن بغداد في هذه الأيام أنّ هناك أشخاصاً عاشوا الاختناق، وقد عشنا ذلك في العراق أيّام كنّا فيه (كانت بغداد يوم إجراء هذا الحديث تعيش تحت ضغط عاصفة رملية خانقة).

إنّنا عندما ندرس المسألة الإسلامية، نجد في الغرب بشكل عام مُناخاً عدوانياً في بعض مراحله، أو سلبياً من خلال النظرة الواقعية إلى الإسلام، ما يمنع هؤلاء من أن يأخذوا بأسباب الحوار، سواء الحوار الثقافي بينهم، أو بين ما يقرأون ممّا هو متوفّر في العالَم الإسلامي من أبحاثٍ جديّة حول الإسلام. إنّهم يريدون اختصار الموقف بالنظرة السلبية التي تؤكّد عدوانيتهم، والتي تحاول دراسة الأمر على أساس خلفيات سياسية معقّدة تتحرّك من خلال الإدارات التي تملك برنامجاً سياسياً ضدّ الإسلام والمسلمين للوصول إلى أهدافها.

كما أنّ هناك بعض الجهات المثقّفة، والتي تختزن في خلفيات ذهنياتها التراكمات

التاريخية التي جعلت لديها وجهة نظرٍ ضبابية حول الإسلام، أو سلبية، ما يجعلها تنظر إلى المسألة من خلال البحث عن المفردات التي تؤكّد هذه التراكمات السلبية، فلا تستطيع النظر إلى الأمور نظرة موضوعية، تماماً كما هي الدراسات العلمية لأيّ شيء في هذا المجال. إنّ الجوّ الإعلامي بشكل عام في الغرب يحاول أن يبرز النظرة السلبية، خصوصاً مع حصول بعض الأحداث، كالتفجيرات التي حصلت في 11 أيلول، أو تفجيرات مدريد، أو تفجيرات لندن، أو تفجيرات شرم الشيخ وغيرها ممّا سبق من تفجيرات، كما حدث في الجزائر ثمّ الدار البيضاء والرياض، وما يحدث الآن في العراق باسم المقاومة، من التفجيرات التي تطال المدنيّين أو بعض الفئات المذهبية وَفْق الحقد المذهبي التكفيري.

إنّ هذه الأحداث تختصر كلّ الموقف، لأنّها تقوم بعملية شاملة لإيجاد حالة فكرية نفسية ضدّ الإسلام، على أساس الحديث أنّ من يقوم بالتفجير ينطلق من نصوص إسلامية، ومن أفكار ظلامية تنطلق من خلال الثقافة الإسلامية. ولذلك تنطلق الشعارات أو البرامج في ضرورة تطويق المدارس الإسلامية والمدارس القرآنية، لأنّها السبب في ثقافة هؤلاء الذين يرتكزون على الإرهاب في حركتهم الإرهابية، وفي نظرتهم إلى الواقع بمنظار العنف الدامي الذي يقومون به.

❊ هل دائماً هو الغرب وليس نحن؟

ـ لا، هذا هو الواقع الذي نعيشه الآن. ومن الطبيعي جدّاً أنّنا عندما نعيش في الداخل الإسلامي، فإنّنا نجد أنّ المسلمين الواعين الذين يدرسون النصوص دراسةً موضوعية عقلانية مقارنةً، بين نصّ يتحدّث عن عنفٍ في موقع، وعن رفقٍ في موقع آخر، يطلبون بالصوت العالي من المثقّف في الغرب أن يدخل في حوار.

لذلك فهناك من يتحدّث عن الحوار بين الإسلام وبين الغرب. كان ذلك قبل أن تتطوّر الأمور بالعمليات الإرهابية، بل كانت المسألة أن هؤلاء الطليعيين المثقّفين، سواء من رجال الدين أو من غيرهم، كانوا يتحدّثون عن أنَّ الإسلام يؤكّد الحوار مع الآخر ويعترف بالآخر، ويتطلّب من الآخر أن يستمع إليه ليستمع هو إلى الغرب، وهذا ما انطلق في شعار حوار الحضارات بدلاً من صدامها، ولكنّنا في الوقت نفسه، عندما ندرس الداخل الإسلامي، نجد الكثير من المتخلّفين من علماء الدين أو حتّى من المثقّفين المسيّسين الذين قد يختصرون

الصراع مع الغرب في المسألة السياسية بالدعوة إلى العنف في كلّ أشكاله، ولذلك نجد أنّنا حتّى في واقعنا الإسلامي، هناك سلفيّة إسلامية سنيّة تمتنع عن الحوار الموضوعي، وإذا دخلت الحوار، فإنها تدخله بأدوات التضليل والتفسيق والتكفير.

في هذا المجال، نلاحظ أنَّ هناك واقعاً سلبياً نعيشه، وربّما لا يقتصر على المسألة الفكرية الإسلامية، بل نجد أنّ الحوار ممنوع حتّى داخل البيت العائلي، فالأب يفرض نفسه على أبنائه، والأم تفرض رأيها على بناتها، وتمتدّ المسألة إلى الجانب الاجتماعي، فرئيس العشيرة لا يسمح لأفراد عشيرته في الدخول معه في حوار حول ما يفرضه من رأي وموقف، وصولاً إلى الجانب السياسي، حيث نجد الأحزاب، سواء الإسلامية أو العلمانية، لا تسمح بحريّة الحوار لمحازبيها، بل إنّ القوى المسيطرة في الحزب تحجر على الآخرين من المحازبين أن يعارضوا رئيس الحزب أو إدارته، ويعملون على طرد هذا أو ذاك من الحزب إذا خالف الرأي. إنّ الواقع الذي نعيشه ليس واقعاً حوارياً في الغالب.

*** هناك إذاً خلل بنيوي ـ اجتماعي يبدأ من البيئة التي نعيش فيها، ومن العلاقات الضيّقة إلى الأوسع؟**

– لقد كنتُ أقول إنّنا نربّي شعبنا على الخضوع المستمر، لأنّ الأولاد يخضعون لأبيهم باعتبار أنّه صاحب القوّة، وكذلك وجهاء المجتمع تُجاه مجتمعهم، والمستكبرون من الأغنياء والمترفين يفرضون أنفسهم على الفقراء أيضاً نتيجة القوّة المالية التي يحتاجها الفقراء، وهكذا تمتدّ القضية إلى الأحزاب التي تمتنع عن ممارسة الديمقراطية في داخل الغرب، مع أنّها تتحدّث عن الشورى وعن الديمقراطية بالشعارات العامة، وهكذا يكون الشعب مهيّأً للخضوع للقائمين على شؤون الأنظمة الديكتاتورية، لتمتدّ القضية بعدها إلى مسألة المستكبرين على المستوى الدولي. لقد كنت أقول في أكثر من مداخلة، إنّ في داخل كلّ واحدٍ منّا بدويّاً لا يحمل قيم البداوة.

*** الصراحة أساس العلاقات، ونحن نفتقد هذه الصفة كسلوك تربوي لا نمارسه خشية عواقبه علينا. وهناك لغة نفتقدها للحوار، فمن أين نبدأ لنكون أهلاً لممارسة هذه القيمة الإنسانية؟**

– أولاً، أن يبدأ الإنسان بمحاورة نفسه، خصوصاً عندما تهجم علينا تناقضات الآراء التي

تدخل إلى منطقة الوعي الداخلي، بحيث تُحدث صراعاً بين الآراء التي نعيشها من خلال البيئة التي نحن فيها، أو الآراء التي طرأت علينا من خلال بيئة أخرى أوسع في هذا المجال.

نحن نخاف من الجلوس مع أنفسنا، لأنّنا نخاف أن نكتشف الجوانب السلبية التي ربّما تجعلنا نعيش الغربة في ما ألِفناه وعِشناه في البيئة الصغيرة أو الكبيرة أو البيئة الجديدة في هذا المجال، ولذا نهرب من أنفسنا. كذلك نعيش نوعاً من أنواع الهروب من الحوار خشية اكتشاف الحقيقة. هناك الكثير من الأمور التي صارت من المسلّمات والمقدّسات، بحيث يخاف الإنسان أن يبتعد عنها. كنّا نسمع بعض الناس يقول: لا تبحثوا هذه القضية لأنّنا نخاف عليكم أن تفكّروا أو تضلّوا، وكأنّه يُراد إبقاء نقاط الضعف لما ألفناه، لأنّنا إذا حاورنا وجادلنا قد نخرج عن هذه الأمور. وقد أطلقت سابقاً شعار «لا مقدّسات في الحوار»، وأنّه علينا أن نتحاور حتّى في المسلّمات لنؤكّدها من خلال الحوار.

ولكن ليست هناك سلبية مطلقة، فبإمكاننا الأخذ بالكثير من حالات التغيير التي عشناها في تاريخنا بين واقع وآخر وموقع فكري وآخر، ومن الممكن إطلاق الدعوة ـ وقد أطلقتها ـ أنّ على الإنسان أنْ يفكّر وأنْ لا يعطيَ فكره لأحد، وأنْ لا يجعل أحداً يفكّر له بل معه. حاولوا تعليم أولادكم التفكير بحجم ما لديهم، لأنّنا عندما نطلق منهج التفكير الذي ينطلق من المعطيات التي يملكها الإنسان بحسب موقعه في الحياة وحسب درجته الثقافية، فإنّنا نستطيع دفع الواقع إلى الحوار، لأنّ الإنسان عندما يفكّر، فإنّ التفكير يقوده إلى الكثير من علامات الاستفهام، ومن الطبيعي أنَّ علامات الاستفهام تنتظر جواباً من الإنسان، قد يجيب عنها في حواره مع نفسه ثقافياً، وقد يتطلّب الجواب من الآخر.

إنّ الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد:11]، تضع المنهج في أنَّ عليك أنْ تعيش حركة التغيير في داخل فكرك، أنْ لا تجمد على ما أنتَ فيه، لأنّ الواقع هو صدى الفكر ومظهره، ولذلك فإذا كنت تشكو من واقع، فعليك دراسة الفكر الذي فرض ذلك لتنتقل منه إلى فكرٍ آخر ليتغيّر الواقع. ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الأنفال:53]، سواء في الجانب الإيجابي أو في الجانب السلبي.

*** من أين علينا أن نبدأ، كما ترون سماحتكم؟**

– نبدأ من دعوة الناس إلى الحرية، أن نبدأ من الفكر والدعوة إلى الحريّة، ليعيش الإنسان حريّة إنسانيّته، وهو ما قاله الإمام عليّ (ع): «**لا تكن عبدَ غيرك وقد جعلكَ الله حُرّاً**»، أن يعيش الإنسان حريّته؛ الحريّة فيما يلتزمه، فيما يقتنع ويتحرّك به، حريّته في أنْ يؤكّد موقعه، إنّ الحريّة تجعل الإنسان لا يخضع لغيره في فكره، بل يحاول أنْ يتحرّك بكلّ الفضاء الواسع لحريّته في صنع إنسانيّته على أساس ما يقتنع به لنفسه.

إنّ علينا أن ندخِل هذا في مناهج التربية، حتّى مع أطفالنا الذين ينبغي لنا أن نعلّمهم أنْ يفكّروا وأنْ يمارسوا حريّتهم، ومن ثَمّ نتدخّل بطريقةٍ تربوية لتصحيح أخطائهم بحيث نقنعهم أنّ هذه أخطاء.

*** أعيش في باريس، حيث أمارس عملي في مهنة الصحافة (سؤال للزميلة آرليت خوري)، ولعلّكم تلاحظون وتتابعون ما طرأ على الغرب بعد حادثة 11 أيلول في نظرته السلبية إلى كلّ ما هو عربي تحديداً. سؤالي: كيف يمكن إقناع هذا المواطن الفرنسي الذي أراه كلّ يوم، أو الذي يسكن في جواري وأخذ يبدِّل نظرته تجاهي وتجاه عائلتي. كيف لي أن أقنعه أنّني لست أنا مَن سيعمل على تفجيره؟ وكيف لهذا الأجنبي الذي أعيش في دياره، كما باقي الجاليات العربية أن يبدِّد شكوكه الآخذة بالسلبية تجاهنا نتيجة ممارسات بعض القوى المتطرّفة؟**

– علينا أن نقول للفرنسي والبريطاني والأميركي، إنّ مسألة العنف ليست مسألة إسلامية، بل هي مسألة إنسانية. فكيف نفسِّر مثلاً مسألة الجيش الإيرلندي أو الألوية الحمراء، أو المافيات، أو الطلّاب الذين يقتلون زملاءهم؟ كيف نفسّر ما حدث في أوكلاهوما، وما قام به هتلر الغربي، وما حصل في هيروشيما وناكازاكي؟ فهل نقول إنّ كلّ الغرب عنف؟ إنّ مسألة الجريمة في أميركا وفي كثير من مواقع أوروبا، مسألة تعتبر قياسيّة بالنسبة إلى الجريمة في الشرق الأوسط أو في العالم الثالث، بعيداً عمّا يحدث في هذه الحالة التي تأخذ بُعداً سياسياً إلى جانب البعد الأخلاقي أو ما أشبه ذلك. لهذا هل تقبلون منّا أنْ نحكم عليكم لأنّ فريقاً منكم يمارس العنف دون مبرّر؟ علينا القول لهم: نحن نعيش في فرنسا خمسة أو سبعة ملايين مسلم، فكم مسلماً فرنسياً قام بأعمال العنف من خلال مراجعتكم المحاكم

أو من خلال إعلامكم؟ من المؤكّد أنّهم لم يبلغوا الآلاف، هناك إذاً ملايين المسلمين الفرنسيين أو المهاجرين لفرنسا ممّن عاشوا السلام مع الفرنسيين جميعاً، وممّن لم يقوموا بذلك. فلماذا تنظرون إلى فئة قليلة لتقيسوا عليها فئة الأكثرية، والمخلصة لفرنسا أكثر من كثيرٍ من الفرنسيين؟ إنّنا نطالبكم بالحضارة الفرنسية وبشعارات الثورة وقيمها قيم العدالة. إنّنا نقول لهم: حاورونا بمنطقكم، أمّا أنْ يُفرض عليَّ، من خلال وضع سياسي معيّن، منطق الإرهاب، وأنا المسالم في كلّ حياتي؟! إنّنا كمسلمين فرنسيين مثلاً نقول: لماذا لا تعتبروننا مواطنين فرنسيين مثلكم في الحقّ والواجب في المواطنة؟ لماذا تمنعون الفتاة المحجّبة من أنْ تمارس حجابها الذي لم يُسيء إلى أحد، ولم تتحرّك في المدرسة للدعوة إلى الدين الإسلامي، بل مجرّد أنّ حجابها رمز إسلامي لا يزعج أحداً؟ ولماذا تعملون على المنع، أليس ذلك خنقاً للحريّة؟ وهل العلمانية تمنع اختيار الإنسان لملابسه؟

إنّ أميركا علمانية وبريطانيا علمانية، فهل تخافون من قطعة قماش على العلمانية؟ فلا بدّ من أن نخاطبهم بمنطقهم، وأنْ نقول لهم إنّكم تظلموننا لأنّكم لا تتحرّكون من موقع العدالة، وأنتم تحكمون علينا لمجرّد قيام البعض بأعمال سيّئة. لا شكّ أنّ هناك مجرمين عاديين يقفون الآن أمام المحاكم الفرنسية، فهل نقول إنّ كلّ الفرنسيين مجرمون؟ فأيّ فرق بين هذا المنطق وذاك؟!

علينا الصّبر على نظراتهم التي تتّهمنا والتي قد تثير الرعب فينا، ولكن علينا ألا نضعف أمام ذلك، وعلينا أنْ ندخل معهم في حوارٍ قد نربحهم من خلاله لجانبنا، ثمّ نحاول أن ندخل مع العرب والمسلمين في عملية توعية إذا أردنا أنْ نتحرّك في دائرتين وخطّين متوازيين.

*** هناك نقطة أشار إليها السؤال، وهي: كيف السبيل للخروج من هذا الجوّ الضاغط عبر وسائل الإعلام وغيرها؟ أيّ إنّ تبديد المشهد يحتاج أيضاً إلى وسائل إعلام، ألا يحتاج إلى مأسسة أكبر وأوسع لما نريد نقله من أفكارنا؟**

– من الصعب جداً الخروج من هذا الجوّ الضاغط بطريقة سريعة، لأنّ الإعلام الذي يتحرّك ضدّ الإسلام هو إعلام عدواني، ونحن لا نملك كعرب وكمسلمين إعلاماً بالقوّة نفسها، بل إنَّ أوروبا وأميركا المتحدّثتَين عن الحرية وحقوق الإنسان، تمنعان «قناة المنار»

التلفزيونية لأنّها تبثّ الكراهية بنظرهم، علماً بأنّ المنار تتحدّث عن السياسة الإسرائيلية ضدّ الفلسطينيين وليس ضدّ اليهود، فعلى أيّ أساس ينطلق حكم قضائي فرنسي في منع قناة أن تبثّ في أوروبا؟! إنّ هذا يدلّ على أنَّ أوروبا تمارس سياسة العالم الثالث، فالعالم الثالث يمنع أيّ قناة معارضة أو إذاعة أو صحيفة لا تتوافق مع نظام الحكم، وهذه سياسة العالم الثالث في حجز الحريّات، وقد باتوا يأخذون فيها.

*** إنّ هناك قصوراً من المسلمين أيضاً؟**

– المسلمون والعرب ليسوا جميعهم مثقّفين، وليست لديهم الفرص الموجودة التي يستطيعون من خلالها الكتابة في الصحف الفرنسية، كـ «الموند» أو «الفيغارو» أو في الصحف الأميركية، أو أن يدخلوا هذا الصراع الفكري. إنّنا عندما ندرس استقبال شيراك لشارون، ومحاولة شيراك التقرّب إلى إسرائيل من خلال السياسة الفرنسية، والحديث عن معاداة السامية، في الوقت الذي لا يتحدّث عن معاداة الإسلام أو معاداة العرب، ونحن نعرف أنَّ هناك أصواتاً كثيرة تعادي العرب والمسلمين في هذا المقام، عندما ندرس كلّ ذلك، نرى أن شيراك، وبعد فشله في نيل أكثرية الأصوات في التصويت على الدستور الأوروبي، بات يشعر بالضعف، فأراد الاستقواء بشارون، وخصوصاً أنّ العلاقات الجيدة مع أميركا تمرّ عبر إسرائيل.

*** ألا نعود إلى المشكلة نفسها؟ شيراك قدّم ذلك لشارون نتيجة قوّة اللوبي اليهودي في فرنسا، في وقت أنّ مَن يقومون بالتفجيرات يقدّمون أنفسهم نيابةً عن المعتدلين من المسلمين؟**

إنّ أغلب علماء المسلمين في العالَم أدانوا التفجيرات، وكنتُ من أوّل الشخصيات الإسلامية التي أدانت عمليات 11 أيلول، وكلّ التفجيرات التي حصلت في ما بعد، وكذلك فعل شيخ الأزهر وعلماء كثر. وحتّى على مستوى الأنظمة، فإنّهم جميعاً يقفون ضدّ هؤلاء التكفيريين والسلفيين، مثل السعودية ومصر، فلماذا لا ينظر الغرب إلى هذا الجانب؟ إنّهم غير مستعدين لذلك.

*** هل الاستنكار كافٍ؟**

– إنّ الإدانة والاستنكار غير كافيين، لكنهما يعطيان فكرة أنّ المسلمين وقياداتهم ليسوا بالتوجّه نفسه، وليس المسلمون جميعاً أسامة بن لادن أو الزرقاوي.

*** ما هي الآلية لترجمة الاستنكار والإدانة؟**

– مراكز الأبحاث تركّز على ذلك، والأكاديميات، والمدارس، وعلماء المسلمين جميعاً يركّزون على ذلك. ولكن هم ليسوا مستعدين لذلك. إنّهم على مبدأ: أنتَ مَن عكّرت الماء. نحن لسنا إرهابيين كما يتّهموننا.

*** ألا يستدعي ذلك إعلان ما يشبه حالة طوارئ حوارية؟**

– إنّ الغرب يريد للعالم الإسلامي أن يبقى في دوّامةِ الفوضى؟ ولا يريدُ له أن يهدأ. وهذا الغرب هو الغرب الأميركي والبريطاني، وهو ما دخلته فرنسا، وذلك ما لاحظناه باحتلال أفغانستان والعراق وفلسطين، والسكوت على ما يجري في فلسطين والعراق. فكيف يمكن أنْ يفكّر العالم الإسلامي بهدوء ليرى ماذا سيفعل، وهو ما أسميناه الجانب النفسي عند الشعوب. فالعالم الإسلامي عنده جانب نفسي. فالبعض قد يؤيّد ابن لادن لأنّه يثأر. الحالات النفسية للشعوب لا يوجد فيها واحد زائد واحد يساوي اثنين. فكما يعاني الغرب من هذه الأمور، يعاني العالم الإسلامي. حتّى في حربنا السياسية والثقافية علينا أن نبقى عقلانيين. إنّ واقع الأمور نراه من خلال عنصرية الغرب فيما حصل بعد 11 أيلول، فما علاقة المواطنين العرب والأميركيين، من خلال اضطهاد أصحاب الملامح العربية والإسلامية، والمرأة العربية وحتّى الهندوس؟! وفي العالم الغربي، وبقطع النظر عمّا يقوم به السلفيون التكفيريون وغيرهم، لم يتعرّض أحد في هذا العالم العربي لأميركي أو أوروبي. في السعودية، كان للمسألة بُعد سياسي، ولم يعترض أحدٌ في العالم العربي أيَّ أجنبي، حتّى حين احتلت أميركا العراق، لم يقتل كلّ أميركي، وهو ما يدلّ على عدم عنصرية العرب، في وقت برزت عنصرية الغرب بالهجوم على المساجد والمسلمين جرّاء قيام أربعة أشخاص بالتفجيرات، حيث بات المسلمون يعيشون حالة طوارئ في بيوتهم، ثم برزت القوانين الجديدة التي انطلقت من خلال وزارة العدل الأميركية، ووزارة الأمن الداخلي، وقوانين «بلير» الطارئة. هذا هو الغرب، وهو غير مستعد للاقتناع.

*** من نتائج 11 أيلول الكارثية على العرب والمسلمين، برزت مسألة من الخطورة بمكان، وتتعلّق بمعضلة الانتماء عند المسلمين الذين يعيشون في الغرب: هناك انتماء ديني وثقافي ووطني المنشأ من جهة، وهناك شعور بعدم الرغبة بالاندماج أو الانتماء المواطني لبلد**

الاغتراب من جهة ثانية، ما خلق تعارضاً أدّى إلى مشكلات. كيف العمل على حلّ هذه المعضلة، وحوادث فرنسا الأخيرة دليل على ما نقول؟

– قضية تغيير المجتمعات التي انطلق التخلّف فيها من القرون الوسطى، ومن خلال عهد الاستعمار، والديكتاتوريات التي فرضها الغرب لقمع الشعوب في العالم العربي والإسلامي، وهو ما أكّده كلام بوش في خطابه الاتّحادي، أنّه منذ ستين سنة وهم يدعمون الديكتاتوريات، هذا كلّه ترك تأثيره السلبي على كلّ الواقع الموجود عندنا في العالمين العربي والإسلامي والعالم الثالث كلّه.

لذلك نقول إنّ هذه التراكمات التاريخية والمؤثّرات خلقت عندنا وضعاً معقّداً، وعلينا العمل لتجاوز هذه التراكمات، لأنّ الغرب يحدّثنا عن الديمقراطية، ونحن نرى بوش كيف يمارس سياسته في العراق وأفغانستان، وكيف يدعم الأنظمة الديكتاتورية، وهم يصفّقون لنصف انتخابات تجري في البلدان العربية، في حين يعتبر إيران التي تمارس انتخاباتها كاستفتاء شعبي نظاماً غير ديمقراطي. إنّ المنطق الغربي لا زال يضغط على عالمنا، وعلينا العمل لنرى الوسائل التي يمكننا إصلاح قيمنا فيها، وقد أكدت في رسائلي للمغتربين أنْ يكونوا مواطنين في بلدانهم.

*** هذا ما أردت سؤاله، فهل على المسلمين والعرب، في ظلّ هذه الأجواء الدولية الضاغطة، أن يحقّقوا المزيد من الاندماج، حتّى وإن اقتضى ذلك بعض تنازلات؟**

– تارةً أنا أقول للناس اخرجوا من ذاتكم، وتارةً أقول لهم انسجموا مع الجوّ العام. الآن، أن أقول لهم اخرجوا من ذاتكم، فهذا لا يجوز، لا أقدر، ولكن أقول لهم: عليكم أن تحافظوا على أمن البلد، وأن تشاركوا في الحياة السياسية والبرلمانية والانتخابات، وأن تنسجموا مع الجوّ العام دون الخروج من ذواتكم وخصوصيّاتكم، فأميركا شعوب تعيش خصوصيات متنوّعة، وعلى مغتربينا الحفاظ على أمن بلدانهم؛ الأمن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. وقد دعوتُ المسلمين الأميركيين إلى الدخول في الأحزاب التي تخدم قضاياهم في أميركا وفي العالم العربي، وأن يتحدّثوا عن مشكلات الإنسان الأميركي وهمومه، كالضرائب والبيئة، حتّى يشعر الآخرون أنّكم مثلهم. أنا أصدرت فتوى حرّمت فيها على المسلمين أن يستحلّوا أموال الآخرين. ولكن أمام اللوبي اليهودي والمحافظين الجدد ماذا هناك؟ ليس هناك تكافؤ

قوى، ولكن علينا أن نستمرّ... حتّى تكون النتائج كما نتمنّى.

*** حول اندماج المسلمين حيث هم، بلد مثل فرنسا تعتبره اعتداءً على أمنها الاجتماعي، ما رأيك؟**

– في رسالتي إلى شيراك، اعتبرت أنَّ هذا الأمر هو ضدّ العلمانية. فهل هم مستعدون في فرنسا لتشجيع العري في المدارس؟

*** لو خيّرت بين التخلّي عن الحجاب مقابل ذهاب الفتيات في الغرب إلى المدرسة، فأيّهما تختار؟**

– أصدرت فتوى بلبس الباروكة، ليس لجهة تشجيع الباروكة، ولكن للمحافظة على الجانب النفسي في ذاتها.

15 ـ 8 ـ 2005

نصر حامد أبو زيد

*** مفارقتان حصلتا مؤخّراً في العالم الإسلامي تستدعيان الحيرة والتساؤل؛ الأولى تمثّلت في التعرّض لسماحتكم، وأنتم المشهود لكم بالعقلانية والحكمة والعقل المنفتح والكلام الإنساني النيّر، حيث صدرت انتقادات حادّة لمجرّد تفسيركم لبعض الأحداث التاريخية المعيّنة المتباينة على غير ما ورثناه، وما هو متعارف عليه، فإذا كانت مرجعية مشهود لها بالأمانة والأمان للدين الإسلامي، غير مسموح لها بتخطّي الخطوط الحمر بالمفهوم الإسلامي، والثانية فيما يتعلّق بنصر حامد أبو زيد، الذي تعرّض لانتقادات وتكفير، ما هي هذه الظاهرة؟**

– هناك فرق بين المجتمع الذي أصدر المواقف السلبية والكلام غير المسؤول بالنسبة إليَّ، والمجتمع الذي تحرّك بالنسبة إلى نصر حامد أبو زيد، ففيما يتعلّق بنا، هناك عدّة جوانب في المسألة:

أولاً: هناك جانب المرجعية، لأنّ هناك بعض الجهات التي لها بعد سياسي، وهناك بعض جهات لها بُعد حوزوي، كانت تشعر بوجود خطر من امتداد المرجعية في تجربتي على

مرجعيات أخرى، حتّى قيل لي من بعض الأشخاص من الوسط الحوزوي، إنّ المسألة ليست ما تطرح من أفكار، ولكنّ المسألة هي مسألة الدينار الكويتي والريال السعودي، لأنّك سوف تستقطب الكثير من هذه الأموال عبر مقلّديكم، وسيخافون على مواقعهم التي تعطي لهم نوعاً من الاكتفاء المالي وما شابه. فالقضية كانت تتّصل باعتبار أنَّ المرجعية خطر.

ثانياً: هناك مَن كان يتحدّث عن عروبة المرجعية، حيث لا يُراد للمرجعية أن تتمظهر من خلال موقع عربي، لأنّ المرجعية، وكما هو معروف، كانت في غير العرب.

وثالثاً: ما حصل في إيران، وما تعلّق بمرجعية السيّد علي الخامنئي، حيث حصل الموقف الحادّ والقويّ من خلال الأجهزة هناك، باعتبار أنَّ مرجعيّتي تمثّل خطراً على مرجعية السيد الخامنئي مثلاً، باعتبار الانفتاح الثقافي والسياسي عندنا. وقد لا يكون السيد الخامنئي مسؤولاً عن الموضوع، ولكنّ الأجهزة المحيطة بذلك رأت هذا، خصوصاً أنَّ البعض يرى أنَّ على المرجعية أن تبقى في إيران، وأنّه لا يُسمح بمرجعية خارج إيران، وإذا كان هؤلاء قد أيّدوا مرجعية السيد السيستاني، فإنّ ذلك عندهم كان نتيجة الظروف السياسية للعراق في هذا المجال، وليس نتيجة القبول بذلك.

وفي هذا الجوّ المتنوّع، حاول البعض استغلال بعض المسائل التاريخية فيما أثاروه في ما يتعلّق بالسيدة الزهراء (ع)، وموقف بعض الصحابة من الإساءة إليها، أو من خلال بعض الفتاوى الشرعية الجديدة غير المألوفة لدى الوسط الإسلامي الشيعي أو غير الشيعي.

كانت هذه الأمور هي أدوات الحملة المنظّمة والقويّة ضدّ ما نمثِّل من مرجعية، ومن الطبيعي أنَّ خلفيات الحقد والعداوة جعلت الكثيرين، حتّى ممن يُنظر إليهم بالاحترام، يكذبون عليَّ، فينسبون إليّ ما لم أقله، أو يحرّفون الكَلِم عن مواضعه، حتّى إنّ بعضهم ـ وهو في موقع كبير جداً من الناحية الدينية ـ حرّم قراءة كتبي، وحرّم إعانة أيتام المبرّات والتعامل مع مؤسسات المبرّات، كمحطة الأيتام للوقود، حيث عبّروا عن أنّ في ذلك دعماً للضلال. إنّ هناك كثيراً من حالات التخلّف والخرافة والغلوّ، وهناك من يعاني من الحسد، إضافةً إلى الجوانب السياسية والحوزوية.

أمّا بالنسبة إلى مسألة نصر حامد أبو زيد، مثل مسألة فرج فودة وغيره، فقد انطلقت من الوسط المشيخي المصري الذي كان يلاحق أيّة انطلاقة ثقافية فكرية يمكن أن تؤوّل تأويلاً

لا يبعد الشخص الذي يلتزمها عن خطّ الإسلام، كما أنّي سمعت من نصر حامد أبو زيد عندما زارني لمدة ساعتين في الشام، وهنا مع زوجته، أنّه لا يزال على خطّ الإسلام، وإنْ كان يحمل نظرية خاصة في فهم النص وتأويله، وقد ناقشته في بعض ما نُسبَ إليه.

❊ هل كان محقّاً في رأيكم؟

– لم يكن محقّاً في المضمون، ولكنّي لم أكتشف فيه إنساناً مرتدّاً.

❊ إذا كان الوسط الإسلامي يضيق بالحوار الداخلي، فكيف له أن يقبل الآخر؟

– ليس كلّ الوسط الإسلامي، ولكن هذا الوسط التقليدي الذي يتحرّك بطريقة متخلّفة في فهمه للأشياء، وفي تعامله معها. إنّه حركة سياسية في الوسط الديني، تماماً كما هي الحركات السياسية في الوسط السياسي عندما تُشوه صورة شخصية سياسية ناجحة في المجتمع.

❊ ألا يدعو هذا إلى إعادة تأهيل الحوزة الإسلامية بشكل عام؟

– إنّ هذه المسألة، وإنْ أخذت الصورة البارزة، ولكن هناك الكثير من طلّاب الحوزة ومن علماء الحوزة لم يوافقوا على ذلك، بل عبّروا لي عن تأييدهم ورفضهم لكلّ هذه الطروحات السلبية.

❊ مَن هم السلفيون في المذاهب الإسلامية؟

– عندما ندرس السلفية، علينا تأصيل المفهوم، تماماً كما هو مفهوم الأصولية، فعندما ندرس المسألة في مضمونها الفكري، فإنّ السلفية قد تعبّر عن الجماعة التي تأخذ تفكيرها الإسلامي من خلال الأصول التي عمِل بها السّلف، تماماً كما هي الأصولية التي تعبّر عن الرجوع إلى الأصول، إلى الينابيع.

ولكنّ السلفية أخذت مفهوماً من خلال طبيعة الذهنية التي أخذ بها السلفيون الحركيون ـ إنْ صحّ ذلك ـ في تكفير الآخر، وفي إلغاء الآخر، وفي دراسة النصوص على أساس اختيار نصّ معيّن يؤكّد حالة العنف أو الرفض للآخر، دون مقارنة مع النصوص التي تخالف هذا النوع من الفهم. لذلك نحن نعتقد أنَّ السلفيين، سواء أكانوا في السنّة أم الشيعة، هم الذين لا يقبلون الآخر، وهم الذين يكفّرون المسلم لمجرّد اختلافه مع بعض ما يرونه من المسلّمات وهو ليس من المسلّمات، وهؤلاء الذين يستعملون العنف، سواء كان عنف الكلمة أو عنف الإقصاء أو عنف السلاح.

*** مَن هم المذاهب السلفية؟**

– أعتقد أن السلفية مذهب إسلامي يتحرّك في خطوط كلّ مجتمعات المذاهب الإسلامية.

*** ما هو عدد المذاهب الإسلامية؟**

– ليس لديّ إحصائية في مجالها.

*** هل يمكننا الحديث عن إسلام عربي مختلف عن إسلام ماليزي أو إسلام هندي أو إسلام فارسي في ظلّ الظروف القائمة حالياً؟**

– أنا لا أتصوّر أنَّ هناك الآن تقسيمات إسلامية قوميّة، لسبب بسيط، وهو أنَّ الذين يعبرون عن الإسلام ويتحرّكون في الخطاب الديني الإسلامي الذي يثقِّف الشعوب، يتخرّجون من جامعات ومن حوزات محدودة، فكلّ الذين يتخرّجون من الأزهر أو من النجف أو من قم، يحملون فكراً للرموز العلمية والثقافية التي تتصدّر مسألة التعليم والتدريس. بهذا، فإنّ المذهبية الإسلامية تنطلق من خلال هذا الامتداد الثقافي الذي يرجع غالباً إلى قاعدة واحدة، ولكن من الممكن جداً أنْ تتحرّك الشعوب الإسلامية، لتضيف إلى التزاماتها وممارساتها الإسلامية، بعض عاداتها وتقاليدها وطريقة فهمها للإسلام وممارستها له.

*** من خلال تجربتكم، هناك نقاط شكّلت شبه إجماع في الحرب عليكم. هذه التجربة ألَا تغري دُعاة التجديد بالاستمرار؟ ومن كافأكم في المقابل؟ وطالما ناديتم بالحوار لحلّ أيّة مشكلة، فهل من صدى لذلك؟**

– إنّ هؤلاء لا يمثّلون الظاهرة الإسلامية الشاملة، والدليل على ذلك، هو أنَّ الكثيرين من المسلمين في العالم تعاطفوا معي ورفضوا أغلب هذه الأطروحات السلبية، وهذا ما نلاحظه في امتداد المرجعية إلى الكثير من المواقع في العالم، وانفتاح الوسط الثقافي الإسلامي على هذه الطروحات، ما يوحي بأنّ هؤلاء الذين أطلقوا الاتهامات والأحكام الفتوائية، يعيشون بذهنيّتهم التقليدية جوّاً يكاد ينحصر الآن، وهو جوّ متخلّف. لهذا فإنّنا نلاحظ أنَّ هذا المنهج التقليدي ضعف أمام المنهج الطليعي، وإنْ لم يسيطر عليه، وهذا ما نلاحظه منذ انطلاقة النهضويين من أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وحتّى الإمام الخميني واجه الكثير من المواقف السلبية عندما انطلقت ثورته الإسلامية وقبل أن تنجح، وهكذا حصل مع

الشهيد محمد باقر الصدر والشهيد مرتضى مطهّري وغيرهم.

إنّ الأشخاص الذين أطلقوا الفكر التنويري لم يسقطوا من خلال هذه الحملات، بل إنّهم استطاعوا أن يمتدوا في تفكيرهم، ما يدلّ على أنَّ هؤلاء لا يمثّلون الظاهرة الشاملة التي تسيطر على الساحة كلّها. وعلى ضوء هذا، فإنّنا لا نستطيع الحكم على الجيل الإسلامي من خلال هؤلاء، فهؤلاء يمثّلون أحد مواقع الصراع بين التقليد والإبداع، وبين التخلّف والتقدّم.

*** الملفت أنّكم مطلوبون للجميع، وعلى كافة لوائحهم، من الإرهاب إلى التكفير والتضليل... فأنتم ظاهرة في الاستهداف؟**

– أعتقد أنَّ هذا الأمر طبيعي، فعندما تنطلق في أطروحات تتحدّى الاستكبار العالمي وإسرائيل والخرافة والغلوّ والتخلّف، فمن الطبيعي أنّ كلّ هؤلاء، وهذه الفئات، لا بدّ من أن تلتقيَ بشكل غير منظّم عليك. وهنا كتب أحد العراقيين(*) في كتاب «صراع الإرادات»، وهو يتحدّث عني فقال: «إنّني هدفٌ لكلّ البنادق».

*** منذ 11 أيلول، ومع كلّ مواقفكم ومبادراتكم الإنسانية واستنكاركم لهذه الحادثة ولمثيلاتها، هل لمستم من الآخر الغربي قبولاً لهذه المواقف الجريئة والأرقى من إنسانية كثر في الغرب؟**

– لم ألمس هذا من الإدارة الأميركية، لأنّها ليست معنية بالكلمات التي تستنكر ما يفعله الآخرون بالأمن الأميركي، لأنّ المسألة لديها هي أنّها تريد من خلال ذلك أن تجمع العالم ضدّ هؤلاء الذين تتّهمهم بتحدّي الأمن الأميركي، ولكنّها من جانب آخر، لا تزال تضع علامات رفض لا استفهام فقط بالنسبة إلى الأشخاص الذين يتحرّكون في استراتيجيّتهم السياسية ضدّ سياسة الإدارة الأميركية. ولهذا فإنّني سمعت من داخل الإدارة الأميركية حديثاً من بعض أصدقائنا اللبنانيين الذين يملكون امتداداً هناك بأنّهم يعتبرونني إرهابياً، وقد سبق للرئيس الأميركي ريغن أنْ وضع اسمي على لائحة الإرهاب، وهم لا يزالون يحمّلونني مسؤولية تفجير مقرّ المارينز ومقرّ المظلّيين الفرنسيين عام 1983.

(*) الكاتب سليم الحسني.

ولهذا كان ردّ فعلهم تفجير بئر العبد، كما أطلقوا عليّ لقب المرشد الروحي لحزب الله، تحت عنوان تحميلي مسؤولية ما نُسِب إلى حزب الله من التفجيرات. إنّ المسألة بالنسبة إلى الأميركيين لا تزال تُمثّل مسألة العنف الأميركي الذي قد يتنوّع ليصل إلى أعلى درجاته في متفجّرة بئر العبد.

*** الإدارة الأميركية لا تريد حواراً مع أحد. ماذا بالنسبة إلى الأكاديميين والمثقّفين، ألم يحصل تواصلٌ معهم؟ نعّوم تشومسكي كتب في «الواشنطن بوست»: إنّ ريغن مسؤول شخصياً عن محاولة اغتيالك في متفجّرة بئر العبد، هذا موقف جريء؟**

– بعض المثقّفين الأميركيين الذين قرأوني يختلفون طبعاً، حتى إنّ مُراسل الواشنطن بوست أخذ منّي أربعة أحاديث خاطب الأميركيين في إحدى مداخلاته قائلاً: «لماذا لا تستمعون للشيخ فضل الله؟»، لا شكّ في أنّ الذين قرأوني في أميركا يحملون تقديراً واحتراماً لي، ولكنّ المسألة هي أنّنا لا نملك في إعلامنا كلّ هذا الامتداد الذي يمكن أن يوصل الفكر إلى كلّ الناس.

*** هل من عدد تقريبي لعدد مقلديكم في العالم؟**

– لا يوجد إحصائية، لكنّي أتصوّر أنّهم يزيدون على المليون مقلّد.

*** انطلاقاً من الواقع السياسي، هل ترون أهميةً لدعوتكم حول تأكيد مبدأ الوحدة الإسلامية؟**

– لقد كانت هناك بعض الاتهامات لأنّني أدعو إلى الوحدة الإسلامية، ويقال إنّ السيد تبنّى بعض الآراء ليسهّل الوحدة الإسلامية، لكنّه ليس مقتنعاً بما يقول في هذه الأفكار، يعني قد تكون على مبدأ الشاعر:

إذا محاسنيَ اللاتي أُدلُّ بها كانت عيوباً فقُل لي كيف أعتذرُ

بعض النّاس ربّما يحاكمونك على ما يعتبر فكراً منفتحاً على الآخرين. أنا أقول كما قال الله: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:29]، وتعجبني كلمة الكاتب البريطاني الساخر برنارد شو، عندما كثرت الحملة عليه قال: إنّهم يقولون... ماذا يقولون؟ دعهم يقولون...

*** أنتم من المرجعيات التي تلحّ على موضوع الحوار بين المذاهب الإسلامية. بدايةً، هو في**

ما نعيشه هذه الأيام، هل بات التلاقي والحوار نوعاً من الظنون الملتبسة والمحكومة بالنوايا المسبقة؟ فلا أحد واضح مع الآخر، هل الصورة سوداء؟

- قد تكون الصورة سوداء بنسبة 75 ٪، لأنّ التراكمات التاريخية التي تحجّرت في الجانب الشعوري والثقافي لدى المسلمين، جعلت مسألة رفض المسلم الآخر مسألة تتّصل بالعقيدة، فهناك عناوين التكفير التي قد تطفو على السطح تنطلق من فئةٍ معيّنة، وهي التي تمارس العنف الدامي، أو العنف الكلامي الذي قد يتحوّل إلى عنفٍ دامٍ، أو العنف الفتوائي، ولكنَّ الفكرة العامة التي لا تزال تعيش في أذهان كثير من المواقع الثقافيّة لعلماء المسلمين، والتي تحوّلت إلى وجدانٍ شعبي، هي الفكرة التي تختزن التكفير، لذلك فمعالجة هذا الواقع تنطلق من كلّ هذه التراكمات التاريخية المذهبية الطائفية، ولاسيّما التي دخلت في الإحساس والشعور، والتي حاولت أن تضخّم ما يختلف فيه المسلمون إلى حدّ التكفير، حيث يعتقد البعض أنَّ زيارة القبور كفر، وأنّ الاستشفاع بالأولياء والأنبياء كفر... وهكذا.

إنّ المسألة، وربّما بفعل التحدّيات السياسية، قد وصلت إلى نوع من الغطاء لهذه الظواهر في الطّابع الإسلامي العدواني أو المتخلّف في نظرة المسلم إلى المسلم الآخر، وبفعل ضغوط سياسية ظهرت لإضعاف الوحدة الإسلامية، ممّا يؤمّل أن يتحوّل إلى حالة علاج لمظاهر هذا الواقع، ولكنّ المسألة تحتاج إلى الكثير من الزمن، حتّى يخرج المسلمون من الذهنية التقليدية إلى الانفتاح الموضوعي العقلاني، وهو ما يرتبط بتقدّم الشعوب الإسلامية أو تخلّفها.

التكفير

*** مولانا، حجّة المذهبيين أنّه إذا لم يكن للوحدة الإسلامية من شعبية، فلماذا لا نتمذهب، باعتبار أنَّ هذه الشرنقة الإسلامية تحافظ على ذلك؟**

- إنّ عالم الوحدة الإسلامية هو القاعدة التي يمكن لها أن تُبقي الإسلام، والوحدة الإسلامية ليست مجرّد قضية طارئة؛ هي أنْ يفهم المسلمون إسلامهم، وعندما أتحدّث عن الوحدة الإسلامية، فإنّي لا أتحدّث فقط عن التقارب بين المذاهب، بل أتحدّث عن أنّ من

حقّ المسلم الشيعي أن يناقش المسلم السنّي في ما يلتزمه من أفكار وأن يُصحِّح له بعض الأخطاء، وأن ينطلق المسلم السنّي للمسلم الشيعي ليُصَحِّح له بعض الأفكار.

إنّ هناك نوعاً من المجاملة، تقضي بأنّه لا يجوز لأصحاب هذا المذهب أن يصحّحوا الأخطاء لدى المذهب الآخر، والعكس صحيح. إنّنا في عالم منفتح على كلّ الفكر، وينطلق على أساس الموضوعية العقلانية. ولهذا فإنّ من حقّ المسيحي أن يجتهد في الإسلام، ومن حقّ المسلم الاجتهاد في المسيحية، وأن يُصحِّح ما أخطأ فيه هذا أو ذاك. وهذا النوع من الحاجز الذي يمنع أصحاب دينٍ من أن يناقشوا الدين الآخر، هو حاجز انطلق من خلال القرون المتخلّفة السابقة.

❋ المهم ألا يصل إلى حدود التكفير؟ أن يبقى ضمن النقاش الفكري؟

– إنّنا ندعو حتّى التكفيريين إلى أن ينفتحوا على الحوار، لنحدِّد ما هي قاعدة الكفر وما هي قاعدة الإيمان، وإنّ مشكلتهم أنّهم يغلقون أبواب الحوار، حتّى إنّني أزعم أنّهم يرفضون حوار أنفسهم، باعتبار شعورهم بالغربة إذا تركوا ما هم فيه.

❋ انتقدتم في بعض المؤتمرات الوحدوية أهل العلم من السنّة والشيعة بأنّهم أوصلوا الأمور إلى هذا المستوى، في تساهلهم غير المباشر في موضوع التكفير المتبادل، والمجاملات في موضوع الوحدة؟

– إنّي أعتبر أنَّ هناك نفاقاً إسلامياً ثقافياً ـ إنْ صحّ التعبير ـ فكلٌّ منهم يكفّر الآخر، ولكنّه يحاول أنْ يستخدم التقيّة، فليس الشيعة فقط الذين يستخدمون التقيّة مع السنّة، بل إنّ السنّة يستخدمون التقيّة أيضاً مع الشيعة في مؤتمراتهم وحواراتهم.

❋ هذا ما قصدته في سؤالي حول النوايا الملتبسة والمسبقة؟

– أنا لا أعتبر أنّها ظاهرة شاملة ولكنّها موجودة.

❋ إلى أيّ حدّ تظهر مسؤولية العلماء عن ظاهرة التكفير؟

– إنّ العلماء يخضعون غالباً لثقافتهم، ومن الطبيعي أن لا يركّزوا بعمق مسألة قاعدة الكفر وقاعدة الإيمان.

*** ألا يستدعي ذلك نوعاً من التجديد؟**

– هناك طليعة في الأوساط الإسلامية قد لا تكون كبيرة العدد، تنفتح على هذا الاتجاه، وأعتقد أنَّ الجيل الجديد يمكن أن ينفتح على مثل هذا المُناخ، لأنّ الجيل الجديد الذي تثقّفه الجامعات، والذي يقرأ الأبحاث المتنوّعة، والذي يناقش مناحي التفكير في الواقع المعاصر، يخرج من هذه الزنزانة التقليدية التي تضيق بالفكر الآخر. إنّي أتصوّر أنّ هذه الموضوعية التي تمثّل أسلوب العصر وذهنيّته، يمكن أن تعطيَنا في المستقبل جيلاً مثقّفاً جديداً، سواء من الجيل الذي يمثّل الفئات الدينية أو غيره، ويمكن أن يصل إلى الاعتراف بالآخر وإلى دراسة الأمور بشكل موضوعي، وتحديد مصطلحات الكفر والإيمان والضلال والهدى، بطريقة يمكن أن تفسح المجال للتفاهم على قاعدة مشتركة.

*** إضافة إلى كلّ مؤسّساتكم التي أنشأتموها في المجتمع الإسلامي، لماذا لا تبادرون إلى إنشاء مركز أبحاث أكاديمي يختصّ بتحديد وتعريف المصطلحات المستجدّة؟**

– هناك نوعٌ من التخطيط لإنشاء مركز إسلامي ثقافي أكاديمي أرجو أن يبصر النور قريباً.

*** حول مسألتَيْ العنف والمسايرة في العالم العربي والإسلامي، هل هذا العنف وهذه المسايرة يساعدان هذا العالم على إيجاد مكان له في الألفية الثالثة؟ وأين نحن؟**

أنا لا أخاف من أيّ تطوّر في الثقافة والفكر أو في نهج الحياة ولا أشعر بالإحباط أمام تيارات جريئة تواجه ما لدينا من قيم وخطوط فكرية ومنهج حياة، لأنّ أيّ صاحب فكر، عندما يدخل ساحة الصراع، لا بدّ من أن يكون مستعداً للتسلّح بالسلاح الثقافي العقلاني الموضوعي في ما يملك من فكرٍ وخطٍّ ومنهجٍ، بحيث يعيد النظر حتّى في مسلّماته، ليكتشف نقاط الضعف فيها كما نقاط القوّة، لأنّ كثيراً ممّا يُعتبر في الفكر عامة ـ ومنه الفكر الديني ـ من المسلّمات، قد لا يكون ممثّلاً للمسلّمات البديهية، بل ربّما تنطلق صفة المسلّمات من خلال هذا النوع من أنواع السير التاريخي الذي يُقلِّد فيه جيلٌ جيلاً آخر، حتّى يكاد يتصوّر بأنّ هذا هو الحقيقة! وكم من مسلّمات كانت تؤمن بها المجتمعات التاريخية أصبحت أخطاءً.

لذلك علينا ألاّ نصاب بالإحباط، بل أن نعيد النظر في ما عندنا لنوثّقه ونؤكّده، ولنصلّب مواقفنا من خلال الالتزام به، مع إعطاء أنفسنا فرصةً لأن نستمع للآخر، فربّما نكتشف أنَّ هذا

التطوّر في الجانب الثقافي أو المنهج، يمثّل حقيقةً أخطأنا في فهمها، وربّما أيضاً نكتشف الكثير من نقاط الضعف.

إنّنا نعتبر أنفسنا في كلّ مراحل الواقع المثقل بالأفكار وبالثقافات وخطوط الحياة، جزءاً من هذا الصراع، وقد كنت أتحدّث أنَّ على الإنسان الذي يدخل في ساحة الصراع أنْ يعيش حسّ المعاصرة، بمعنى أنْ يفهم العصر في كلّ تقلّباته وتطوّراته وغير ذلك. ونحن نستوحي هذا من الحديث الشريف عن الرسول (ص): «**إنّا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم**»، أن نكتشف عقول الآخرين، ونحاول أن ندخل إلى هذا العقل لنعرف أبعاده وعمقه، ونوجّه أفكار ما نحمل من عقلٍ إلى العقل الآخر، المهمّ ألا نسقط أمام الضّعف الذي قد يحكم الآليات والوسائل التي يمكن أن تخدم هذا الفكر أو ذاك.

إنّي لا أخشى من أيّ تطوّر، بل أعتبر أنَّ التطوّر الثقافي يفتح لي، حتّى في ثقافتي الخاصة وفي انتمائي، يفتح آفاقاً أخرى يمكن أن أطلق فيها التفكير في توسعة ما أؤمن به وأفكّر فيه بطريقة قد أغتني بها في الفكر الآخر...

*** هذا لا يمنع من أنَّ هناك أزمة يعيشها العالم الإسلامي، تبعاً للمستويات المتفاوتة بين الأفراد، لأنّه ليس كلّ الأشخاص على مقدرة واحدة لتلقّي هذا الآخر؟**

- من الطبيعي جداً أنّ المعركة المتعدّدة الأبعاد لا بدّ من أن يهزم فيها البعض وينتصر البعض الآخر. علينا المعرفة الجيّدة بأنّ الحرب تتعدّد فيها المعارك، ولذلك فإنّنا إذا خسرنا معركة فليس معنى ذلك أنْ نخسر الحرب. لقد مضى على الإسلام خمسة عشر قرناً (دخلنا فيه)، وقد انطلقت التحدّيات للإسلام حتّى كاد يسقط تحت ضربات هولاكو، ولكنّ الإسلام كان في كلّ مرحلة ينطلق ويتجدّد ويتحرّك من أجل أن يفرض فكره على الواقع. إنّني أعتبر أنه في الفكر لا موت، ولكنّ الفكر يضعف ويقوى، وبقدر ما نحرِّك الفكر في الاتجاه العقلي المنفتح الحرّ، بمقدار ما نستطيع، لا أن نثبت، بل أن نقتحم.

*** هل يحتاج الحوار إلى حوار في حال عدم التكافؤ، ليغدو عندها وكأنّه نوع من الترف الذهني؟**

- أنا أعتبر مسألة الحوار هي مسألة متنوّعة، فربّما نجد أناساً لا يملكون مستوى الحوار

في الجانب الثقافي، ولكنّهم يملكون مستوى الحوار البدوي، أو يملكون مستوى الحوار المتخلّف، علينا مخاطبة كلّ إنسان وَفْق ما يمكن أنْ نفتح من خلاله عقله، أنْ نختار المفردات، أنْ نختار الأساليب، حتّى في إقناع الأطفال. إنّ علينا معرفة مفردات الواقع المتحرّكة المتجدّدة المتنوّعة، وعلينا أن نملك ثقافة هذا التنوّع الإنساني، وثقافة هذا الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، وعندها يمكننا حوار كلّ الناس.

*** هل أنتم بمفردكم مذهب إسلامي قائم بذاته؟**

– أنا لا أدّعي ذلك، ولكن أتصوّر أنّي أؤمن بالحريّة، وأنّ الله خلق العقل حرّاً، وقال له ليس هناك ما يقيّدك، ولكن تحمّل مسؤولية قرارك في ممارسة هذه الحريّة.

*** تقارب المذاهب الإسلامية أو الوحدة، ليس من باب إلغاء أحدهم للآخر، بقدر ما هو وضع المصلحة العامة الإسلامية فوق كلّ اعتبار. صراع الكنائس كان عنواناً لندوة حوار فكري وديني جرى في الآونة الأخيرة، تحت عنوان الخوف من الانحسار الثقافي المتوقّع للغرب، كما ورد في عنوان الندوة التي أقيمت في الولايات المتحدة الأميركية. ففي خضمّ كلّ الأزمات، أليس من الأجدى ترك خلافات الدين لتكون السياسة أقرب عامل للوحدة؟**

– هناك نقطة يمكن استيحاؤها من الحديث في السؤال، وهي أنَّ الأساس المادي للحضارة الغربية، أبعد المسيحية عن أن تكون ذهنية الإنسان الغربي، إلا بما يمثِّل الجانب الشكلي في طريقة الذهاب إلى الكنيسة، كما أنَّ هذا النوع من اللقاء البروتستانتي والكاثوليكي لم يصل إلى المستوى الذي يمكن أنْ يحقّق لقاءً قريباً، لأنّ البروتستانتية مختلفة، والبروتستانتيون في الشرق لهم مآخذ على البروتستانتيين في أميركا، فعندما ندرس المقارنة بين الواقع الإسلامي في العالم الإسلامي والواقع المسيحي في العالم المسيحي ككل، قد نجد أنَّ العالم المسيحي يتميّز بالمؤسّسات، فهناك حالة مؤسّساتية من أروع ما يكون، بينما العالم الإسلامي حتّى الآن لم يصل إلى واقع المؤسّسة، ولا يزال الواقع واقع الأفراد، سواء المرجعيات المبنية على أسس شخصية، أو المؤسسات التي تسيطر عليها الأنظمة، لأنّه لا استقلال لها.

ولكن في المسألة الدينية، نجد أنَّ العالم الإسلامي يتميّز بالالتزام الديني، حتّى «الفوضوي»، فنحن نجد بالنسبة إلى المنهج الإسلامي في العبادة، أنّ المسلمين يمارسون

خمس مرات الصلاة، وينطلق النداء المعبّر عن العقيدة الإسلامية في الأوقات الخمسة، وحين يأتي شهر الصوم، نشعر بتغيّر في العالم العربي والإسلامي، وأنّ هناك نشاطاً في العالم الإسلامي على جميع المستويات والأعمار والفئات، ما يعمِّق الإحساس الوجداني لدى الإنسان المسلم، وعندما يأتي موسم «الحج»، نجد ملايين الحجّاج في الحجّ، بالرغم من كلّ الصدمات التي يواجهها العالم الإسلامي والواقع الإسلامي، فلا أتصوّر أنّه سيأتي وقتٌ يمكن أن ينحسر فيه هذا المدّ الديني الالتزامي، بالرغم من أنّه يملك بعض نقاط الضعف في فهم العبادة هنا أو هناك، في الوقت الذي نعرف أنَّ العالم المسيحي يملك الكثير من الإمكانات والتي يستطيع من خلالها التبشير، لكنّني أعتقد أنَّ العالم الإسلامي سيبقى، ولن تستطيع أيّة هزّات ثقافية إسقاطه. وإنّ التنوّع المذهبي لن يسقط العنوان الإسلامي، وهذه إيجابية مهمّة يجب أن ندرسها، إنّها تمثّل غنىً إسلامياً، فحتّى العلمانيون في بعض مراحل حياتهم يذهبون إلى الحجّ.



ما بعد 11 أيلول

الديمقراطية وأهل الذمّة

22 ـ 8 ـ 2005

*** أودُّ أن أحصر أسئلتي بمسائل استأثرت بالاهتمام الواسع مع بداية الألفية الثالثة، ولاسيما بعد أحداث 11 أيلول، منها الديمقراطية، حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، المجتمع المدني، حقوق المرأة. وفي الوقت نفسه، نجد مرادفات لها في الدين الإسلامي، كالشّورى، حقوق الناس، والاقتصاد. في هذا السياق، ما الذي يضير المسلمين لو قبلوا بهذه القيم الإنسانية الشاملة، وهي مفردات سياسيّة تجتاح ثقافتنا حديثاً؟**

– لعلّ آفاق المشكلة التي تتحرّك سياسياً وثقافياً واجتماعياً في الساحة الإسلامية، هي من خلال هذه الأجواء التي يثيرها الغرب، ولاسيّما بعد الأحداث التي فرضت نفسها على الواقع في مُناخ العنف، كأحداث 11 أيلول ومدريد وانتهاءً بلندن... عندما ندرس هذا الأفق، نلاحظ أنَّ هناك مسألة لدى الغرب، وهي أنّه يريد أنْ يُسجّل على الواقع الإسلامي في المجتمعات الإسلامية، السلبية الواسعة بقدر ما يتعلّق الأمر بإنسانية الإنسان، سواء أكان ذلك من خلال حقوقه الإنسانية، أو من خلال العناوين الأخرى، كالاعتراف بالآخر، وكالانفتاح الإنساني؛ انفتاح الإنسان على الإنسان، ومن خلال حقوق المرأة، لكنّه كان يُثير هذه المفردات من خلال المناسبات التي يمكن أن تخلق سلبيةً هنا أو هناك، ليسجّل نقطة على العالم الإسلامي من خلال حركة الواقع، حتّى يشعر الناس بأنّهم يتحدّثون من منطق واقعي، لا من منطق عسكري أو هجومي...

نحن لا نتصوّر أنّ المجتمع الإسلامي بريءٌ من هذه السلبيات، فنحن نعرف أنّ هناك

الكثير من الخطوط المتّصلة بالتنكّر لحقوق الإنسان وحقوق المرأة بالذات، أو مسألة العصبية ضدّ الآخر، أو الاعتراف بالآخر. ولكنّ القضية لدى الآخر ـ الغرب لم تكن قضية الدراسة للواقع من أجل تغيير هذا الواقع، بل هي لتسجيل النقاط على الواقع الإسلامي، من أجل بعض الخلفيات السياسية التي تريد أن تُثير العناوين الحادّة لدى المسلمين، لإسقاط وجدانهم الإنساني في هذا المجال، وللوصول بذلك إلى نوع من أنواع التدخُّل في قضاياهم على أساس إصلاح هذه المفردات باعتبار تأثيرها على الإنسان العربي والإسلامي، أو تأثيرها على الشعوب الأخرى، ونحن نسمع بين وقتٍ وآخر الرئيس بوش وهو يتحدّث عن الخطر على أميركا من خلال بعض أوضاع العنف التي يُتَّهم بها العالم الإسلامي، أو من خلال بعض المشاريع النووية التي قد يُتّهم بها بعض المواقع الإسلامية بأنّها تتّجه إلى إنتاج السلاح النووي أو غير ذلك.

إنّ الدراسة لكلّ الاستراتيجية الغربية، توحي لنا بأنّ المطلوب هو تسجيل النقاط على مواقع العالم الإسلامي بطريقة وبأخرى، ولا نقول بأنّهم يسجِّلون النقاط في قضايا ليست موجودة، ولكنّهم يستغلّون هذه القضايا الموجودة لمصالحهم السياسية والاقتصادية وما إلى ذلك.

*** أشرتم في حديثكم إلى وجود سلبيات في سياق يومياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، في موضوع المرأة والإنسان، والغرب يجتاحنا بهذه المفردات السياسية، نحن في أنظمة حكم لا تعتمد تطبيق الشريعة الإسلامية، هل يضيرُ المسلمين لو طبّقت الديمقراطية بما هي تمثيل سليم يعرف من خلالها كلّ مواطن ما له وما عليه؟ وسؤالي: هل يمكن لأهل الذمّة في عصرنا هذا أن يقبلوا التعامل كأهل ذمّة بعيداً عن مفهوم المواطنة؟**

– أولاً وثانياً وثالثاً، المسألة مَن الذي يحكم المسلمين؟ إنّ الذين يحكمون المسلمين هم الذين وظّفهم الغرب ورعاهم ودعمهم ليكونوا حرّاساً لمصالحه، وليمنعوا أيّ نوع من أنواع الانفتاح على حقوق الإنسان أو مسألة الاعتراف بالآخر أو مسألة الشورى، وهو ما اعترف به الرئيس بوش عندما قال إنّه منذ ستين سنة هناك تخطيط غربي لدعم الديكتاتوريات في العالم الإسلامي.

لهذا نحن عندما ندرس الاتجاهات التغييرية، سواء اليمينية واليسارية أو الإصلاحية، نجد أنّ الشعوب تتوق لذلك، وليس من الصحيح أنَّ المسلمين لا يريدون ذلك، وحتّى إنّنا

عندما ندرس الأبحاث التي أثارها المفكّرون المسلمون، سواء كانوا علماء دين أو علماء فكر إنْ صحّ التعبير، نجد أنّها تتحدّث عن حقوق المرأة وحقوق الإنسان، ولكنّهم عندما يقتربون من التنفيذ، فإنّهم يجدون هذا الواقع الضاغط إضافة إلى وجود بعض حالات التخلّف التاريخية في هذا المجال... إنّي لا أتعاطف مع كلمة: لماذا يعمل المسلمون كذا؟ هناك وضع فيه تراكمات تاريخية وسياسية في هذا المجال.

*** الإسلام كدين يختزن فكرة الدولة وإقامتها، فلو أنّ دولةً ما اعتمدت نظاماً ديمقراطياً يُحترَم فيه الناس بخصوصيّاتهم الإنسانية، فهل ترون أيّ تناقض؟**

– عندما يقول الإسلام: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى:38]، فإنّه يعتبر أنّ الشورى في كلّ قضايا المسلمين في أوضاعهم الخاصة والعامة، هي العنوان الكبير الذي يشمل كلّ النشاط الإسلامي في علاقات المسلمين بعضهم ببعض، حتّى ارتفع الإسلام إلى المستوى الذي يطلب من النبيّ أنْ يُشاور الناس من حوله، وهو نبيّ الله، مع أنّنا نلاحظ كيف أنّ القرآن ركّز مسألة الحوار مع كلّ النّاس، مع أهل الكتاب والمشركين والملحدين والمنافقين، ومع الناس كلّهم في هذا المجال... أمّا مسألة الذمّة، فهناك النقطة الأولى، وهي أنّ الذمّة لو فُهمت فهماً دقيقاً، فهي من أكثر القوانين حضارية بالنسبة إلى الأقليات، لأنّ الأقليات الدينية لا يُفرض عليهم ما يُفرض على المسلمين من ضرائب، ولا يفرض عليهم أن يحاربوا الأشخاص الذين يلتقون معهم في الدين عندما تحدث هناك حربٌ بين المسلمين وغيرهم، ولا يأخذون منهم إلاّ ضريبةً معينة في هذا المجال.

إضافةً إلى ذلك، فإنّ مسألة الذمّة ليست القانون الوحيد الذي يحكم غير المسلمين، بل هناك قانون المعاهدة الذي طبّقه النبيّ عندما جاء إلى المدينة، حيث عقد معاهدة بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين واليهود، وجعل لليهود ما للمسلمين، ولهذا فمسألة المعاهدة تمثّل هذا النوع من التوافق الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم من الأقليات.

*** هل إنّها تشبه العهدة العمرية أثناء دخول المسلمين إلى القدس، حيث يوجد المسيحيون أيضاً؟**

– وهكذا لاحظنا كيف أنّ الخليفة عمر رفض أنْ يصلّيَ في كنيسة القيامة حذراً من أن يستغلّ المسلمون ذلك ليسيطروا على كنيسة القيامة.

*** أليس إنكاراً للانتماء الإنساني والوطني لهذا الذمّي، لأنّني لا أريده أن يحارب معي العدوّ، وهذا العدوّ أليس مشتركاً؟ وحتّى لو أنّ الحكم قائم على مفهوم ديني، فلماذا التشكيك بهذا «الذميّ»؟ وألا يساعد ذلك بدفعه إلى التعاون مع قوى الخارج؟ ألسنا في عصر اختراق السيادات؟**

– تارةً تكون المسألة هي مسألة قيام الدولة على أساس ديني مثلاً، وتارةً يكون قيامها على أساس وطني، في مثل هذه المسألة، الإسلام لا يفرض عليه أن يحارب، ولكن يقبل منه أن يحارب لو اختار الحرب، وهو ما طبّقه الإيرانيون في جمهوريّتهم الإسلامية، حيث إنّهم قبلوا أن يدخل الأرمن في الجيش الإيراني ليحاربوا الجيش العراقي أثناء الحرب. فليست المسألة أنّهم يُمنَعون من ذلك، بل إنّهم لا يفرض عليهم ذلك حفاظاً على مشاعرهم عندما تكون المشاعر غير منسجمة مع هذه الحروب أو تلك. فلا نتصوّر أنّ المسألة تبتعد عن حقوق الإنسان.

*** من يشغل بالك أكثر، ومن أين تأتيك الشكاوى أكثر؛ من المسلم المقيم في بلد كالسويد، حيث ما له وما عليه، أم من المسلم في باكستان والعراق؟**

– في المنظور الإسلامي، العدل هو الأساس في التعامل مع الإنسان. كنّا نقول ولا نزال، إنّه لو فرضنا أنّنا لم نستطع إقامة الدولة الإسلامية، فإنّ علينا أن ندافع عن كلّ موقف عدل في العالم، بقطع النظر عن الدين الذي ينتمي إليه هذا الشعب أو ذاك الشعب، حتّى إنّي ذكرتُ أنّ هناك نصّاً دينياً يقول: «**إنّ الله أوحى إلى نبيٍّ في مملكة جبّار من الجبارين أن ائتِ هذا الجبار وقل له: إنّي إنّما استعملتك** ـ أي أبقيتك ـ **في ملكك لتكفّ عني أصوات المظلومين، فإنّي لن أدع ظلامتهم ولو كانوا كُفّاراً...**». فالعدل لا دين له، فعلينا العدل مع كلّ الناس، والظلم لا دين له، فعلينا الابتعاد عن الظلم مع كلّ الناس.

إنّي أعتبر أنّ الإنسان المسلم وغيره، الذي يعيش هنا وهناك وينال حقوقه، أفضل من واقع المسلم في العراق أو غيره ولا ينال حقوقه. وهذه الدولة تعيش وتمارس الإسلام العدل عملياً، بينما الدولة تلك تمارس الكفر، لأنّ القضية أنّ الله أرادنا أن نعمل ونقوم بالقِسْط والعدل والإحسان.

*** هناك الجملة الشهيرة للأمير شكيب إرسلان في كتابه لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم الغرب، يقول في كتابه، إنّه عندما زار الغرب، رأى فيه الإسلام ولم يرَ فيه المسلمين، وهو ما يعتبر**

مكمّلاً. فاسكندنافية فيها عدل أكثر بكثير من بلدان يعيش فيها مليار مسلم؟

– نعم، صحيح، عندنا أن الإيمان اعتقادٌ بالجَنان (بالقلب) وإقرار باللسان وعملٌ بالأركان، العمل التطبيقي للإسلام هو جزء من الإيمان.

*** مولانا، هناك حركات إسلامية استطاعت الوصول وإقامة نظام حكم، وأخرى تسعى إلى ذلك، وحركات يظهر عليها مظاهر السلطة دون تمكّنها من ذلك... هذا التنوّع الذي شهدناه خلال السنوات الماضية، إذا أخذت إيران نموذجاً كدولة إسلامية قائمة على مذهب شيعي منفتح قائم على مبدأ الاجتهاد ـ وقد كنت من أشدّ المتحمّسين لهذه الثورة والحكم ـ لم نلاحظ أنّها أقامت المدينة الفاضلة، ولم نلاحظ أن هذه الحركات، استلمت أو لم تستلم، تثير الاطمئنان فضلاً عن بعض الحركات التي تثير الرعب. هناك فرق شاسع بين الشعار و«الحداثة»، مسؤولية من عدم النجاح؟ الأفراد؟ المؤسسات؟ الإسلام كفكرة غير قابلة لقيام دولة؟**

– هناك نقطة، وهي أنّ القول بأنّ إيران التي أعطت نفسها عنواناً إسلامياً في الدولة، وبأنّها دولة إسلامية بالمطلق ليس صحيحاً، وليس الحديث عن أنّها ليست إسلامية بالمطلق أيضاً صحيحاً. علينا ألاّ ننسى أنّ إيران عندما انطلقت بالثورة عاشت حصاراً على أكثر من مستوى، هناك حرب ثماني سنوات دمّرت إيران، وهناك حصار أميركي ومعه بعض الحصار الأوروبي، وهناك تاريخ طويل في الساحة الإيرانية فيه التخلّف وفيه التقليدية وفيه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. لهذا، فإنّ إيران عندما انطلقت، تعثّرت في الكثير من المشاكل الحقيقية في هذا المجال. هناك إيجابيات في إيران وهناك سلبيات، وهذا أمر طبيعي. أمّا مسألة الحركات الإسلامية، بقطع النظر عن إيران وغيرها، فالحركات الإسلامية تمثّل بشراً لهم أخطاء البشر. والله حدّثنا عن نماذج الذين أخذتهم العزّة بالإثم وفسدوا. القانون لا يحمي نفسه، إنّما يحميه الإنسان، وهذا ليس بدعاً في الواقع الإسلامي، إذ نلاحظ أنّ الكثير من الدول التي تضع الديمقراطية وحقوق الإنسان في عنوانها الكبير، تتنكّر لكلّ هذا، حتّى في أميركا وأوروبا وغير ذلك.

*** أريد حصراً الحديث عن هذه التجارب التي سألتُ عنها، هناك شيء لا يشجِّع ولا يثير رغبة الآخرين بأنْ يكون هناك نظام حكم إسلامي؟**

– هم لا يريدون نظام حكم إسلامي، لأنّهم لا يؤمنون بالإسلام، ولأنّهم تثقّفوا بثقافة معيّنة

في طريقة الحكم أو في مفردات القانون وغيره، وهذا هو الذي يحكم الكثيرين من أصحاب الاتجاهات العلمانية.

*** هل السبب هو عدم نجاح هذه الحركات الإسلامية بعد أنْ استلمت حكماً؟**

– أنا أقول هذا، إنّ هذه الحركات الإسلامية صحيحٌ أنّها لم تنجح من خلال ظروف داخلية محيطة بها ومن خلال المشرفين على الحركات الإسلامية، وخارجية تمنعها من الانفتاح على الساحة بالطريقة التي تستطيع فيها أن تبرمج مشاريعها بشكل جيّد، لكن لا بدّ لنا في هذه المسألة من أن لا ننظر إلى الصورة في السطح، بل أن ندرس الظروف المحيطة بالصورة بكلّ مفرداتها وخطوطها. ونحن الآن نجد الكثير من الديمقراطيات في العالم تنكّرت للديمقراطية في أميركا مثلاً، حيث الشركات الاحتكارية تحكم أميركا، وحيث الانتخابات لا تمثّل رأي الإنسان الأميركي، بشكل دقيق، وهناك الكثير من القوانين التي يعترض عليها الإنسان الأميركي كما في القوانين التي قُنِّنت بعد 11 أيلول، وكما في القوانين التي تسعى بريطانيا إلى تقنينها بعد التفجيرات الأخيرة. إنّ المسألة لا تقتصر فقط على التجربة الإسلامية.

*** طالما أنّ هذه الحركات الإسلامية تؤمن أنّ هذا الدين الإسلامي فيه كلّ مظاهر الدولة، فما المانع لذلك؟**

– هناك مسافة بين الفكر والواقع، وكثير من النّاس يفكّر بطريقة ويتحرّك بأخرى، وهذا أمر لا يقتصر على الدولة، بل حتّى بالنسبة إلى القيم، ومنها الدينية التي يمارسها المؤمنون.

تجربة الحكم الإسلامي

*** كنتُ أفترض أنّ المذهب السنّي هو مذهب جامد يدعم السلطات والاستبداد ولا يريد التقدّم، وأنّ المذهب الشيعي ثورة وتمرّد، لكنّي فوجئت بالتشابه من حيث الأداء في ممارسة المسؤولية، وبأنّ هذه الحركة لم تنجح ولا تلك أيضاً؟**

– ليس هناك ما يمنع إلا الضعف الإنساني أمام أطماع الإنسان والخطوط التي تحكم ذهنيّته ووجوده في هذا المقام.

*** في سلوك غالبية المسلمين ما يتناقض أحياناً مع أركان الإسلام الخمسة، التي هي صلب العقيدة الدينية، إذ بتنا نرى شهر رمضان المبارك، والذي هو شهر الزهد والإحساس مع المحروم والفقير، وقد تحوّل إلى شهر التبذير والاستهلاك والمظاهر الاجتماعية، كما لم يفلح موسم الحجّ، الذي يفترض أنّه بمثابة مؤتمر سنوي لمناقشة أمور المسلمين، في تخطّي الأمور العبادية التقليدية، في حين ينقاد البعض طوعاً في دفع ما يتوجّب عليه من ضرائب، ويتهرّب خفيةً من واجبات الزكاة والتكافل الاجتماعي. حتّى مسألة النظافة التي هي من الإيمان، نراها وكأنها علامة فارقة في المناطق التي يقطنها المسلمون. ماذا يعني كلّ ذلك؟ ومن هو هذا الإنسان المسلم الذي تعملون على بنائه وَفْقاً للمسلّمات الدينية؟ وهل القانون الوضعي له من الضوابط عليه أكثر مما يتوافر له في القانون الديني؟**

– لستُ مع إعطاء الرأي بالمطلق، فالآن نجد الكثير من المؤمنين في العالم الإسلامي يدفعون الزكاة والخمس، حتّى في حالات الضيق الاقتصادي، نجد أن المؤمن وبمختلف أنماط عمله يقدِّم ذلك كقيمة. وهناك الكثيرون ممّن يتقرّبون إلى الله بدفع الحقوق والكفّارات، وهناك من يعمل على دفع الصدقات والتبرعات، فلا نستطيع الحكم على العالم الإسلامي كما لو كان عالَماً سقط تحت تأثير بعض الأوضاع السلبية التي قد تحكم بعض أخلاقه. كلّا، هناك عالم إسلاميّ يتحرّك على أساس القيم. وأمّا قضية أنّه عندما ينطلق الحكم، فقد قلنا إنّ الإنسان عندما يكون في ساحة الثورة شيء، وعندما يكون في ساحة الحكم شيءٌ آخر، وخصوصاً أنّ مسألة الحكم، ولاسيما في التطورات السياسية الموجودة في العالم، والتي تحيط بها الجوانب الأمنية والاقتصادية، تضغط على أي برنامج إسلامي، خصوصاً أنّ الناس أدمنت البرامج غير الإسلامية، واختلطت عليها تصوّرات في هذا المجال أو ذاك.

*** في واقعنا العربي والإسلامي، أليست هذه المذاهب الإسلامية هي وليدة هذه النزعات ذات الجذور القبلية القائمة على العصبيات، والمتناسلة من رحم هذا المجتمع؟ لماذا لا يُصار إلى الفصل بين ما هو ديني عبادي، وبين ما هو دنيوي من خلال علاقة المواطنيّة؟**

– ليس من الضروري ذلك، قد تكون هذه المذهبية حالةً ثقافيةً أو فكريةً، وبعد أن كانت حالة ثقافية، ربّما التراكمات التاريخية التي حوّلتها إلى حالة عصبيّة، فلماذا نتحدّث عن المذهبية الإسلامية؟ ماذا عن المذهبية الماركسية؛ عندما كانت روسيا تتبنّى الماركسية

بطريقة، ويوغسلافيا الرئيس الراحل تيتو كان يتبنّاها بطريقة أخرى، وكان هناك الماركسية الفرنسية والماركسية الصينيّة؟ فقضيّة التنوّع المذهبي في الفكرة الواحدة تنطلق من حالة ثقافية، وقد تختلط الحالة الثقافية بالحالة السياسية، ثمّ تتحوّل بعد ذلك بفعل الممارسة السلبية إلى حالة من العصبيّة.

*** حين تحكم الحركات الإسلامية، وبعضها عانى من عدم النجاح، فهل بسبب الأشخاص، وقد أشرتم إلى الضّعف الإنساني؟ ألا نحتاج في عالمنا الإسلامي إلى فكرة المؤسسات، أي مأسسة الواقع الذي من خلاله ننطلق في الحياة وفي المجتمع؟**

– المشكلة أنّه ليس هناك حركات إسلامية حكمت في العصر الحديث، عندنا إيران. السعودية حكمت بعنوان إسلامي، ولكن انطلقت من الجانب التقليدي، الذي هو نوع من «الإسلام البدوي». فليس هناك حركات إسلامية استطاعت أنْ تحكم، هناك حركات ربّما انحرفت خطوطها وعاشت بعض المشاكل بين بعضها البعض، هذا صحيح، ولكن ليس عندنا حالة إسلامية حركية حاكمة.

*** وفي السؤال مولانا ما يتعلّق بالتجربتين الجزائرية والتركية، سواء التي وصلت أو تلك التي لم تستطع الوصول إلى الحكم؟**

– التجربة الجزائرية لم تكن تجربة حكم إسلامي، بل تجربة حزب إسلامي انحرف عن الخطّ الفكري، فالتزم العنف، وربّما يتحدّث بعض الناس عن أنَّ التجربة الجزائرية كانت تتحرّك من خلال الأجهزة الأمنية التي كانت تستغلّ هذه الخطوط السياسية التي كانت تدير الصراع على أساس الصراع الأميركي الفرنسي.

*** من خلال متابعتكم للحركات الإسلامية الموجودة على الساحة، سواء المعلن منها أو الكامن، أو المتحرّك التابع لطريق الدعوة أو الجهاد أو غيره، ما الذي تلاحظونه في سلوك هذا التنوّع؟ ما هو المفبرك منها وما هو المشتبه فيها؟**

– عندما ندرس الحركات الإسلامية، نجد أنّها كانت تحمل بعض الإيجابيات في جانب من جوانب الحركيّة، فمثلاً في لبنان، حزب الله، ومع مناقشة بعض الخطوط المتعلّقة بالجانب الفكري والثقافي، لم يمارس دور الحُكم إلاّ أخيراً، ولكنّه نجح في مواجهة العدو، أي

مسألة المقاومة. ومن الممكن عندما ندرس بعض تجارب الإخوان المسلمين، فقد عاشت هذه التجارب الكثير من الحالات السلبيّة، ولكنّها الآن بدأت تتعقلن وتتحرّك سياسياً وغير ذلك، فقد نسجّل لها النجاح في هذه المرحلة في هذا الخطّ. وهكذا بالنسبة إلى الحركات الإسلامية الأخرى، كما الحركات الإسلامية في العراق، والتي ربّما بدأت تتخبّط نتيجة ضغط الاحتلال الأميركي وانفتاحها على مسألة الحكم. علينا دراسة الحركات الإسلامية، فقد نسجِّل لها بعض النجاحات في بعض الجوانب، ولكن لا نستطيع الحديث عن نجاحات شاملة أو كاملة أو مطلقة.

*** هل تتواصلون مع هذا التنوّع من الحركات الإسلامية على كافة مستوياتها المذهبية والفكرية؟**

- نحاول دراسة كلّ حركة إسلامية في ظروفها الموضوعية، وفي أدائها الحركيّ في هذا المجال، لنسجِّل نقداً هنا ونقداً هناك، ولنرى أنّها سقطت في موقع أو نجحت في آخر.

*** ألا يوجد اتصالات مع القيادات الموجودة على الساحتين المصرية والعراقية؟**

- بحسب الظروف التي أملكها، هناك نوع من أنواع الاتصالات بكثير من هذه الحركات الإسلامية.

*** هل السلطة تضعف أيّة حركة مهما كان مستواها، ومهما كان مستوى النقاء الذي تتمتّع به؟**

- من الممكن جدّاً للسلطة أن تخترق الإنسان في أخلاقياته، فيعيش في داخل شخصيّته هذا الصراع بين القيمة الأخلاقية، وبين الذاتيّة الشخصانيّة في هذا المجال.

*** هل هناك الكثير من الحركات الإسلامية المفبركة على الساحة الإسلامية للإساءة إلى الإسلام والمسلمين؟**

- من الطبيعي أنّ أميركا قد تصنع بعض الحركات الإسلامية، وقد تستغلّها، كما لاحظنا في بداية الحرب على أفغانستان ضدّ الاتحاد السوفياتي، أنّ أميركا صنعت «القاعدة» ودعمت «حركة طالبان».

*** هل الحركات الإسلامية تعيش أزمة سلطة أم أزمة فكر؟**

– ربّما تكون أزمة فكر، بلحاظ الذهنية التقليدية التي تحكم أكثر الحركات الإسلامية من ناحية ثقافية، وربّما تكون مسألة سلطة، بلحاظ بعض الناس الذين يحملون طموحات في انتمائهم لهذه الحركات الإسلامية أو تلك، وهذا لا يختص بالحركة الإسلامية فحسب، بل بغيرها أيضاً، كالماركسية والقوميّة.

*** ما الذي ترونه في التجربة التركية حالياً مع حزب العدالة والتنمية الذي وصل إلى سدّة الحكم في تركيا؟**

– أتصوّر أنَّ هذه التجربة تحمل شيئاً من الواقعية السياسية التي تحاول أن تتحرّك في سطح الواقع للتخفّف من ضغط الجيش الذي يحاول أن يلاحق أيّة حركة إسلامية بتهمة أنّها تضادّ العلمانية، كما عمل مع رئيس حكومة تركيا الراحل «أربكان»، لذلك فإنّ الحركة الإسلامية في تركيا تعيش نوعاً من أنواع الاهتزاز بين مفاهيمها وبين الواقع.

*** هل المطلوب بما نحن عليه اليوم في هذا العالم الإسلامي بأزماته والضغوط المحيطة به، أن يكون أكثر واقعية وأكثر تفهّماً للواقع؟**

– إنّ العالم الإسلامي لا يزال يعيش الانتماء الإسلاميّ بشكل قويّ وواسع، فكيف نفسّر واقع تركيا التي مضى عليها عشرات السنين في العلمانية، والتي تحاول اضطهاد كلّ شيء ديني، كيف نفسّر هذا الاجتياح الإسلامي للانتخابات؟! فهذا أمرٌ صدم حتى العلمانيين المسيطرين على الواقع، وكيف سقطت كل الأحزاب العلمانية، وكيف خضع الجيش لهذه الحقيقة في هذا المجال؟! وهكذا عندما نلاحظ بعض المواقع، فلو أعطيت الحرية للإخوان المسلمين في مصر لسيطروا على مصر(*)، لأنّ الشعب المصري شعب متديّن، وهذا ما لاحظناه بالنسبة إلى العراق.

*** لماذا يتعاطى الإسلام والمسلمون مع الواقع السياسي في العراق بحرفيّته أكثر من غيره؟**

– هناك بعض المفردات الموجودة ممّا انتقدناه على الحركات الإسلامية، ولعلّ المشكلة في موضوع العراق، أنّ الأميركيين يحيطون بكلّ أوضاع الحكومة، ولا يملك الإسلاميون،

(*) وصلوا إلى السلطة عام 2012م.

سواء في حزب الدعوة أو في المجلس الأعلى، لا يملكون الحرية الكاملة في هذا المجال، ولكنّهم استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على الواقع.

وإنّني أتحدّث بهذه الطريقة، لأؤكّد أنّ الواقع الإسلامي الشعبي لا يزال ينفتح على إسلامه، فحين نتحدّث عن حزب الله في لبنان، مع تحفّظاتنا مثلاً في هذا الجانب أو ذاك، نجد أنّ هناك اجتياحاً جماهيرياً في تأييد هذه الحالة، معنى ذلك أنّ المسلمين لا يزالون يحتضنون الخطّ الإسلامي، وغاية ما هناك، أنّه ليس احتضاناً ثقافياً واعياً، بل هو احتضان شعوري وجداني.

*** يغلب علينا دائماً التعاطي العاطفي لا العقلاني، بدليل تعاطينا مع مسألة فلسطين، حتّى التظاهر لم نعد نقوى عليه؟**

– صحيح، لماذا؟ لأنّ للقضيّة الفلسطينية جانبين: الأول هو أنّ الحركات، سواء الإسلامية أو القومية أو اليسارية، تعبت من القضية الفلسطينية حتّى وصلت إلى ما يشبه اليأس، وثانياً، أنّ الأنظمة تمنع الشعوب من الحركة في هذا الاتجاه، إضافةً إلى الهجمة العالمية التي تحاصر القضية الفلسطينية في داخل فلسطين في هذا المقام، وهناك العالم العربي الذي بدأ يزحف نحو إسرائيل، حتّى وقف وزير خارجيّتها ليقول إنّ هناك عشر دول تنتظر عقد علاقات دبلوماسية معنا.

*** ذكرت وسائل الإعلام هذا المساء، أنّ القوى في العراق توصّلت إلى أن يكون نظام الحكم قائماً على الفدرالية، ما هو شعوركم؟ وماذا يعني لكم عراق فيدرالي؟**

– لقد ركّزت في أحاديثي، ومن زمن، وأنا أركّز دائماً أنّني ضدّ الفدرالية، لأنّها صنعت من أجل الأكراد.

*** يعني من أجل تقسيم العراق؟**

– هو هذا، لأنّ الأكراد كانوا يطالبون بحقّ تقرير مصيرهم بما لم يقبله العراقيون في كتابة الدستور، أمّا ما طُرح من فدرالية في الجنوب، فقد ذكر في أنّه ردّ فعل على تلك الطروحات، وهي وسيلة ضغط فحسب. السنّة العرب هم ضدّ الفدرالية، ولا أتصوّر أنّهم إذا بقوا على ذلك أن تقوم الفدرالية.

*** هل يستطيعون؟**

– هذا الدستور سيخضع للتصويت.

*** هم ليسوا الغالبية، ولاسيّما أنّ الأكراد مع الفدرالية، وكذلك بعض أحزاب الشيعة؟**

– ليس كلّ الشيعة، هناك جماعة الصدر وغيرهم ممّن لا يوافقون على ذلك، وهو ما يحتاج إلى مراقبة دقيقة للوضع العراقي.

*** هل تشعر بالحزن إذا تمّ تقسيم العراق؟**

– طبعاً، لأنّ هذا يضعف العراق ويضعف العرب، وقد يمتدّ إلى العالم العربي الذي يمكن أن يقسَّم على أساس فيدرالي.

*** لماذا هذا الالتباس الذي حصل عند العراقيين بالنسبة إلى مفردات الاحتلال الأميركي؟**

– علينا أن نقرأ التاريخ، ولا ننسى أنّ الشّعب العراقي الشّيعي والعراقي الكردي عاشا نوعاً من المقاومة الوحشية لم يعشها الآخرون، وهم حين يتحرّكون سياسياً فإنّ أمامهم هذا الهاجس، بأنّه يمكن أن يرجع جماعة صدّام أو غيرهم إلى الحكم. فالقضية تعيش كحالة نفسية عندهم أكثر ممّا هي حالة سياسية.

*** لديهم الحقّ في هذا التخوّف، وهل ستخضع الحالة للتبدّل؟**

– في العالم السياسي لا استقرار.

*** تسعون، وأنتم أحد كبار المراجع الدينية والفكرية في العالم الإسلامي والإنساني المفتقد لأشخاص قيّمين، تسعون لإيجاد إجابات على أسئلتنا، هل تُخضِعون مخيّلتكم وأسئلتكم لسقفٍ أم تحاولون إعطاءنا مهدِّئات روحيّة في هذا العالم الآخذ بالتوحّش؟ بماذا تحسم: بالطرق العقلية والتفكير، أم بالإيمان والتسليم المطلق؟**

– أنا أتابع دراسة الإسلام ودراسة الواقع في حركة الإنسان، ودراسة كيف يمكن التوفيق بين القيم الإسلامية والواقع، لهذا حين أفكّر، أفكّر واقعياً لا مثالياً، وأحاول أن أفهم الإسلام كخطّ فكريّ ثقافيّ ديني يحاول أن يواكب حركة الإنسان في الواقع، وأقرأ في هذا المجال دعوة الإسلام للحياة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾

[الأنفال:24]. فالإسلام هو دعوة للحياة.

❊ وفي سياق التفكير مع ذاتكم؟

- أنا لا أفكّر مثالياً، بل أفكّر واقعياً.

❊ وهل تحسم الأمور بالعقل أو بالإيمان أو بالتسليم المطلق؟

- قد تُحسم بالعقل، وقد تُحسم بالواقع. ولهذا فنحن نواكب حركة الحياة في ذلك.

29 ـ 8 ـ 2005

❊ لديّ مجموعة أسئلة حول فترة ما بعد حادثة 11 أيلول، وعن قضايا لطالما أكثر الغرب في هجومه غير العسكري علينا بها، وأيضاً لديّ أسئلة حول نقاط الضعف وكيفية تعاطينا معها، ولكن قبل ذلك، هناك مشهد بدا لافتاً للانتباه هذا الأسبوع، هو مشهد الرئيس الأميركي جورج بوش وهو محاصر في مزرعته في تكساس بمجموعة أمّهات قُتل أولادهنّ في العراق، وبمشهد آخر رأينا فيه العراقيين يسعون بخطوةٍ ما نحو بناء بلدهم، في ما يتعلّق بمسودّة الدستور. بوش المحتلّ للعراق في أزمة، والعراقيون الساعون لحلّ في بلدهم في أزمةٍ أيضاً، من منهما ذاهبٌ أكثر إلى أزمةٍ أكبر؟

- في تصوّري، أنّ الأزمتين متداخلتان، لأنّ الرئيس بوش إنّما انطلقت مسألة احتلاله للعراق من مزاجه الذاتي والموقع السياسي في عملية استعراض القوّة أمام العالم، ولاسيّما بالنسبة إلى الأمم المتحدة. فهو حاول منذ أحداث 11 أيلول أنْ يؤكّد للعالم أنّ أميركا هي الدولة التي تريد وتحقّق ما تريد، كردٍّ فعل لأحداث 11 أيلول التي أعطت نوعاً من الانطباع لدى الرأي العام الأميركي، ولدى العالم، بأنّ أميركا ليست الدولة التي لا يمكن إيقاع الهزيمة بها من الداخل ولو بطريقةٍ وأخرى.

لذلك كانت ذهنيّة الرئيس بوش استعادة هذا العنفوان الأميركي الذي يقول للعالم: أنا القوّة والقيادة التي لا يملك أحدٌ أن ينال منها، ونعرف ذلك من خلال احتلال أميركا لأفغانستان، البلد الأكثر ضعفاً بين البلدان، حتّى إنّ طالبان كانت لا تملك القوّة التي تستطيع فيها مواجهة أميركا وجهاً لوجه. ولذلك فقد حشد حلف الأطلسي لاحتلال أفغانستان،

ليدلِّل من ناحية نفسية على أنّ الحلف الأطلسي هو الحلف الذي يتحرّك لأجل دعم السياسة الأميركية.

وهكذا لاحظنا كيف أنّ الإدارة الأميركية من خلال ما يُسمّى بالصقور الذين خطّطوا لاحتلال العراق قبل أفغانستان، دفعوا بمسألة احتلال العراق إلى الواجهة، من خلال لعبة سياسية دولية حول مسألة العنوان الكبير، وهو أسلحة الدمار الشامل، تلك الكذبة الكبرى واللعبة التي استطاعوا من خلالها مصادرة مجلس الأمن في خديعةٍ إعلامية سياسية مكشوفة في هذا المجال.

لكنّ المشكلة بالنسبة إلى الرئيس بوش وإدارته، هي أنّهم خطّطوا لاحتلال العراق من خلال القوّة الهائلة التي يملكونها، ولكنّهم لم يخطّطوا لإدارة هذا الاحتلال، والتفكير في إمكانية انطلاقة مقاومة ضدّ الاحتلال، والأخطاء التي وقعت فيها في قضية الفوضى التي مارسها موظّفوها، وخصوصاً في إلغاء الدولة بالكامل، كإلغاء الوزارات عدا وزارة النفط، والجيش والأمن، ما جعل أميركا تعيش داخل المأزق ولا تزال، بالرغم من كلّ الاستعراض السياسي والعسكري.

أمّا بالنسبة إلى الشعب العراقي، فإنّ المسألة هي أنّ هذا الشعب ليس موحّداً، لأنّ هناك المسألة الكردية التي تمثّل تاريخ الطموح الكردي منذ زمنٍ طويل في التخطيط للقومية الكردية في اتجاه الوحدة؛ وحدة الدولة الكردية الموحّدة، سواء من خلال أكراد تركيا أو سوريا أو إيران أو العراق. وهذا ما كان يُفسَّر بالحركات الكردية التي قد تضعف في موقع وتقوى في موقع. وهذا ما لاحظناه في مسألة حزب العمّال الكردستاني، أو بعض الحركات الكردية في إيران، وبعض التحرّك الكرديّ في سوريا، إضافةً إلى الحركة الكرديّة في العراق.

إنّ الحركة الكرديّة تعمل على أساس الانفصال، وقد حاولت أن تستفيد من الظلم الذي أصاب الأكراد من خلال حكم الطاغية صدام حسين، للتنظير بأنّ الأكراد لن يشعروا بالأمن والحماية في أيّة دولة مركزية، ما جعلهم يفرضون بطريقة وبأخرى على المعارضة في مؤتمراتها التي سبقت سقوط النظام العراقي، أنْ تلتزم بالفيدرالية، من دون أن يكون هناك أيّ صورة واضحة للخطوط الإدارية والسياسية لهذه القضية.

وهكذا لاحظنا أنّ الأكراد بعد سقوط النظام، اندفعوا إلى داخل الوضع العراقي ليضغطوا

عليه وليسيطروا على العراق بشكلٍ عام، فرئيس الجمهورية كرديّ، ونوّاب الرئاسات أيضاً من الأكراد، ووزير الخارجية كردي، وما ساعد الأكراد في كلّ هذا، هو الحماية الأميركية لهم في مدى السنين الماضية قبل سقوط النظام، والتي استطاع الأكراد من خلالها أن يركّزوا استقلالهم رغم المشاكل بينهم؛ بين حزبي جلال طالباني ومسعود البرزاني، لكنهم استطاعوا أن يصنعوا دولة بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى.

وقد تطوّر الأمر إلى أنْ تحرّكت المسألة الكردية في استفتاء للأكراد في مسألة الانفصال، حتّى بلغت النتائج ما يقارب 98 ٪، وقد طلب الأكراد ممّن كتبوا الدستور، أن يؤكّدوا في الدستور حقّ تقرير المصير للأكراد، وهو الاستقلال، ولكنّ هذه المسألة لم تصل إلى مستوى النضج الذي يتقبّله العراقيون، ولذلك سحبوا هذا الطلب، وقال بعضهم: لسنا بحاجة إلى إدخال هذا في الدستور، لأنّ الأمم المتحدة تعطي الشعوب حقّ تقرير المصير، ولذلك يمكننا المطالبة بالانفصال من خلال قرارات الأمم المتحدة.

ولا تزال المسألة الكردية تفرض نفسها على الواقع، حتّى إنّ السنّة العرب الذين رفضوا الفيدرالية بالنسبة إلى المناطق الأخرى، أكّدوا أنّهم مع الفيدرالية الكردية، ولكنّهم ليسوا مع فيدرالية في الجنوب أو ما أشبه ذلك، وهو ما يدلّ على أنّ مسألة الفيدرالية الكردية هي من المسائل التي أجمع عليها العراقيون، ومحسومة حتّى عند الرافضين للفيدرالية. وستبقى المسألة الكردية مشكلةً للعراق في مسألة كركوك من جهة، وفي مسألة كثير من الامتدادات الكردية الجغرافية في الموصل. وهكذا دخلت المسألة الكردية لتخرج العراق كدولة من الجامعة العربية من كونها دولة عربية، واعتبرت أنَّ الشعب العراقي في العراق هو جزءٌ من الشعب العربي.

ومن الطبيعي أنّ هذا قد انعكس سلباً على الوضع العراقي في كتابة الدستور، باعتبار أنّ مسألة الفيدرالية طُرِحت من قِبَل المنطقة التي يغلب عليها الشيعة مثلاً، والتي أثارت الكثير من الجدل، هذا إضافة إلى التدخّل الأميركي الضاغط، وذلك من خلال السفير الأميركي الذي كان يتدخّل في مسألة كتابة الدستور بشكل لا يخلو من الضغط، إضافة إلى نداءات الرئيس بوش الذي يريد تقديم مسألة كتابة الدستور كما قدّم مسألة الانتخابات، بأنّه يمثل المشروع الأميركي في دمقرطة العراق بالطريقة التي يمكن أن تكونَ واجهةً للمنطقة

ولمشروع الشرق الأوسط الكبير أو ما شابه في إصلاح المنطقة.

إنّ المسألة الآن هي أنَّ هناك مأزقاً أميركياً من خلال هذا الواقع العراقي الذي يواجه الخلل الأمني بشكل وحشي، وأيضاً في عدم نجاح الاحتلال الأميركي في إدارة شؤون الناس في توفير الخدمات الحياتية، كالكهرباء والماء وغير ذلك. فالعراق الآن يُعاني معاناةً في ظلّ الحرّ اللّاهب، من عدم وجود خدمات كالكهرباء والماء، حتّى إنّ لبنان يتميّز عن العراق في قضية التقنين. والعراق بلد نفطي، وهكذا بدأت الفضائح التي تنشرها الصحف الأميركية، في أنّ الشركات الأميركية تتسلّم مشاريع وهمية تصل إلى المليارات التي تسرقها من ميزانية العراق.

إنّ أميركا لا تزال تعيش مأزقاً أمنياً بالنسبة إلى جنودها، وأيضاً حياتياً بالنسبة إلى الواقع في العراق ونظرة العراقيين إلى الاحتلال الأميركي الذي كانوا يتصوّرون أنّه سيجلب لهم المنّ والسّلوى، ولكنّه في الواقع لم يقم بشيء في هذا المجال. وقد أثّر هذا الواقع الأميركي الذي يمثّل مأزق هذه الدولة الكبرى على الرأي العام الأميركي، ولهذا فإنّ خطاب الرئيس الأميركي أصبح مُوجّهاً إلى الرأي العام الأميركي أكثر ممّا هو مُوجّه إلى العالم في هذا المجال، لأنّه يريد إقناع الشعب الأميركي بأنّ احتلاله في العراق لم يكن خطأ، وخصوصاً أنّه بدأت المسألة تثور عند أمّهات وآباء الجنود الأميركيين القتلى في العراق، إضافةً إلى تراجع نسبة الشباب الأميركي المقبل على الخدمة العسكرية.

نحن نعتقد أنّ الشعب العراقي يعيش في مأزق من خلال طبيعة أوضاعه الحياتية والأمنية وخلافاته السياسية، والتي ربّما تتطوّر إلى أوضاع غير متوازنة، وذلك عندما يدخل السنّة والكثيرون ممّن لم يشاركوا في الانتخابات في الاستفتاء، فقد يخذلون هذا الدستور، وذلك بأنْ يصوّتوا ضدّه، وعند ذلك ستختلط الأوراق في الواقع العراقي.

❊ إذاً الصورة ملتبسة لدى الطرفين، إذا أردنا قول ذلك للسنوات المقبلة؟

– أنا لا أجد هناك نقطة ضوء في المستقبل العراقي لدى الطرفين، وإنْ كان البعض يتصوّر، سواء من خلال خطوط السياسة الأميركية أو الحكومة العراقية، أنَّ نجاح الدستور ربّما يؤدّي إلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى الواقع الأمني في العراق، ولكنّي أعتقد أنّه ما دام الاحتلال الأميركي في العراق، فلن يهدأ الأمن فيه.

استراتيجيّة أميركا بعد 11 أيلول

*** في هذا الفصل، أعتقد أنّ السؤال يمكن أن يطرح على الشكل الآتي: هناك حديث أنّ أميركا تبحث دائماً عن عدوّ لأهداف عديدة، قبل «11 أيلول»، كانت أميركا تبحث عن عدوّ بعد زوال الاتحاد السوفياتي كقوّة، فاختيار الإسلام كعدوّ لم يأتِ عبثاً، والأحداث التي جرت، وبصرف النظر عمّن قام بها، أو إذا ما كان لأميركا نفسها أثرٌ فيها، جاءت لتخدم هدفية أميركا في تكوين عدوّ، فلنبدأ هنا؟**

- كنّا نتحدّث عن العراق، وعن أميركا في المأزق العراقي، وعن العراق في المأزق الأميركي، أمّا عندما نريد دراسة السياسة الأميركية الجديدة، فإنّ أحداث 11 أيلول التي يزعم البعض أنَّ الإدارة الأميركية خطّطت لها بشكلٍ سلبي، ومن خلال بعض المعلومات التي قُدّمت للإدارة ووزارة الدفاع وللمخابرات، بأنّ هناك شيئاً ما سوف يحدث، ولكنّها لم تعطِ هذه المعلومات أيّة أهمية، إضافة إلى ما أُثير أثناء11 أيلول من علاقة الموساد الإسرائيلي بالمسألة، ولذلك لم يسقط أحد من اليهود في مركز التجارة العالمي، وأُغلق الملف بشكل سريع جداً، حتّى إنّ الإعلام الأميركي الذي يفضح كلّ شيء، لم يتحدّث عن هذا الموضوع كلّيةً. لذلك، فإنّ النتائج التي حصلت، جعلت الإدارة الأميركية تملك مبرراً وحُجّة على أن تحرّك سياستها التي ربّما كانت مخطّطة منذ الثمانينيات في سبيل مواجهة الحرب ضدّ الإرهاب، والتي كانت تتحدّث بها، ولكن بشكل خافت في هذا المجال.

لهذا، فإنّ قضية الحرب ضدّ الإرهاب تمثّل الاستراتيجية الأميركية للسيطرة على العالم، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي وروسيا، لأنّ هذا العنوان يمكن أن يخلق حالةً من القلق والخوف، باعتبار أنّه لم ينطلق من حالة أميركية، بل إنّ الحدث الأميركي انطلق من خلال حالة عالمية، ولاسيّما في المنطقة الإسلامية. ونحن نعرف أنّ أميركا تريد إنتاج المنطقة العربية والإسلامية إنتاجاً جديداً، يمكّنها من السيطرة على كلّ ثرواتها، ولاسيّما البترولية من جهة، ويخلق لها ساحة تملك من خلالها إسقاط كلّ الخطوط المعارضة للسياسة الأميركية، وأيضاً محاصرة السياسة الأوروبية التي تريدها أميركا سائرةً وراءها، كما حدث في مسألة بريطانيا وبعض الدول الأوروبية، كإيطاليا وإسبانيا، وقد أربكت حتّى الدول الأوروبية التي شعرت بالخطر في خطوط السياسة الأميركية، ولكنّها لم تستطع أن تمنعها، كفرنسا وألمانيا،

والتي واجهتها أميركا بطريقة قاسية فظّة عندما تحدّثت عن أوروبا العجوز.

نحن نقول إنّ أميركا تبحث عن عنوان يمكن أن تُخضِعَ له كلّ الدول، سواء كانت أوروبية أو روسيّة أو حتّى صينيّة، وحتّى الدول الإسلامية والعربية ودول العالم الثالث باعتبار أنَّ الطريقة الأميركية في إدارة المسألة السياسية في العالم العربي والإسلامي، هو الضغط على كلّ الدول العربية والإسلامية التي ربّما كانت تتحرّك لدعم المسألة الفلسطينية أو المسألة العراقية، من أجل إخضاعها لسياستها. ولذلك فإنّنا نعتبر أنّ أميركا قد استطاعت أن تحقق شيئاً من الانتصار في مسألة الحرب ضدّ الإرهاب، تماماً كما كانت الحرب ضدّ الاتحاد السوفياتي في الماضي.

*** ولكنّكم قلتم إنّ استراتيجية الإسلام ـ وحسب فهمكم ـ هو مصادقة العالم، في حين أن أميركا تعمل على استعداء العالم، إذاً هناك استراتيجيتان، ورغم ذلك، فنحن متّهمون بالإرهاب، وأميركا تشنّ حرباً على الإرهاب؟**

– نحن نقول إنّ حرب أميركا هي على عنوان الإرهاب، لأنّها ليست مستعدة أنْ تناقش مفهوم الإرهاب أو مضمونه السياسي والثقافي. لقد بدأت حربها على الإسلام بطريقة فيها شيء من الضبابية، فبينما نجد أن الرئيس بوش يتحدث عن الإسلام بشكل إيجابي في كلماته، نراه يخطّط ويعمل ويدعم كلّ السلبيات التي توجّه إلى الإسلام والمسلمين، ويحاول أنْ يتحرّك مع الدول العربية والإسلامية من أجل أنْ يربك حركتها في المضمون الإسلامي، من خلال التدخل في القضايا المتعلّقة بالأعمال الخيرية، ليمنع كلّ الجمعيات الخيرية من مساعدة الفقراء واليتامى والمساكين في العالم الإسلامي، بحُجّة أنّها تدعم الإرهاب، أو بالنسبة إلى المسائل الثقافية والتربوية، وذلك بالتدخل في الثقافة الإسلامية وفي المدارس الإسلامية في طريقة عرض الإسلام وإثارة العناوين الكبرى التي تتّصل بقضايا الرّفق والعنف وغيرها.

لذلك نحن نقول، إنّ هذه الحركة الأميركية بدأت تتحرّك وتجتذب إليها بعض المثقّفين المسلمين ممّن يسقطون أمام أيّة هجمة ثقافية غربية، لأنّهم يشعرون بأنّ هناك نقاط ضعف ثقافية موجودة لدى الإسلام، ولهذا يستغلّون هذه الهجمة الغربية أو الأميركية من أجل الدعوة إلى إعادة النظر في كلّ ما عندنا من تراثنا، دون التفاتٍ إلى طبيعة الخلفيات التي تكمن وراء هذه المسألة، لأنّنا نحن نؤمن بحاجتنا إلى الإصلاح، ولكن لا على أساس السير

في الخطوط الأميركية التي تحاول التخطيط للمسألة وَفْقاً لسياستها هنا وهناك.

إنّ نقطة الضعف الموجودة في السياسة الأميركية في هذا الاتجاه، هي أنّها تتعامل بمساعدة الأنظمة الديكتاتورية التي وظّفتها في هذا المجال، بكلّ وسائل الضغط، لكن في الوقت نفسه، نلاحظ أنّ هذه الحملة الأميركية ضدّ الإسلام والمسلمين، بدأت تخلق ردّات فعل لدى الشعوب، ما يجعل الشعوب العربية والإسلامية، وحتّى شعوب العالم الثالث، تقف في مواجهة السياسة الأميركية والحركة الأميركية، ولقد رأينا الكثير من الأميركيين يطرحون هذا السؤال: لماذا يكرهوننا؟ ونجد أنَّ الإدارة الأميركية تعمل الكثير لتوجّه الإعلام لتحسين صورة أميركا لدى العالم الإسلامي في هذا المجال، أو القيام ببعض المساعدات لجمعيّات خيريّة هنا أو هناك أو غير ذلك.

*** هل تدرّجت قراءتكم لحادثة 11 أيلول؟ أيْ هل كان لديكم قراءة معيّنة ذاتية يوم وقوع الحادثة، وبعد سنوات على مرورها، هل لمستم أنّها حادث مختلف عمّا قدّمه الأميركيون، وعن الحديث الذي قدّموه للعالم؟**

– كنّا نعيش أمام هذا الحادث حالةً نفسية مضادّة، لا من جهة أنّنا نتعاطف مع أميركا الدولة، ولكن لأنّنا كنّا نشعر ولا نزال، بأنّ هذا الحدث قد أعطى أميركا فرصةً للسيطرة على العالم نفسيّاً وسياسيّاً، بحيث دخلت أميركا العالم كلّه، بما فيه الاتحاد الأوروبي، من الناحية العاطفية، حتّى إنّنا في تلك اللحظة، رأينا بعض الدول الأوروبية، وأظنّ أنّ منها بريطانيا، كانت تتحدّث عن أنّه علينا مواجهة الإرهاب بغير هذه الطريقة لا بالحرب، ولكنّهم تراجعوا عن ذلك، لأنّهم لم يجدوا تجاوباً حول هذا الموضوع. لذلك كنتُ أقول في ذلك الوقت، إنّ أميركا لو صرفت مئات مليارات الدولارات على أنْ تحصل من خلال هذا الحدث على ما حصلت عليه من خلال الحدَث، لما استطاعت الوصول إلى ذلك.

*** هل صرتم تعيشون هاجس الدفاع عن صورة الإسلام في الغرب بعد 11 أيلول؟**

– أنا أطلقت الفتوى والتعليق بأنّ ما حصل لا يقبله شرعٌ ولا عقلٌ ولا دين، لأنّي أردتُ القول للشعوب الغربية، إنّ الإسلام لا يشجّع هذه الطريقة في المواجهة السياسية، لأنّنا لسنا في خصومة مع الشعب الأميركي، وحتّى إنّنا إذا أردنا محاربة الإدارة الأميركية، فلا نحاربها بالطريقة التي تسيء إلى الشعب الأميركي، ولاسيّما أنَّ منطقة مركز التجارة العالمي

يضمّ الكثير من الشعوب، ومنهم المسلمون. ولهذا كنت أخاف على الإسلام من خلال هذا الحدث، كما من خلال ما تبعه من أحداث في مدريد والبلاد العربية والإسلامية، وفي لندن وشرم الشيخ.

*** هذا ما قصدته بالتدرّج في قراءة الحَدَث، ولاسيّما أن تنظيم القاعدة الذي تبنّى العملية، هو تنظيم درّبته وأوجدته وأنشأته وسلّحته وصرفت عليه المخابرات الأميركية، لكنّ ذلك كلّه أدّى إلى أن يتصرف أسامة بن لادن بهذه الطريقة ويقوم بهذا الحادث، فالحادث أعطى فرصة خيالية لأميركا لتبرّر تصرفها تجاه العالم، ولا ننسى الانتفاضة الفلسطينية التي كانت في أوجها المعنوي السياسي، هذه الخدمة التي قُدِّمت لأميركا، هل الذين ربّتهم هم من قدّمها لها، أم قدّمتها هي لنفسها لتبرّر العمل؟ وهل يُسمح لنا بالتشكيك، وأنا لا أقول إنّ أميركا ضربت نفسها؟**

- نحن لا نستطيع ـ إذا كنّا ساذجين ـ أن نقول إنّ أميركا هي التي دبّرته، ولكن أميركا ساهمت في مُناخه وفي بعض آلياته، ولكن نحن نقول إنّ أميركا استفادت فائدة كبرى في هذا المجال، ولكن ردّة الفعل الأميركية في احتلال أفغانستان، واحتلال العراق، والامتداد في التأييد المطلق لإسرائيل، وتحوّل المسألة الفلسطينية إلى المسألة التي تندرج تحت الإرهاب التي تمارسها إسرائيل بدعم أميركي ضدّ الفلسطينيين، إنّ هذا كلّه استطاع إرباك العالم، بحيث إنّنا عندما ندرس النتائج السياسية والتعليقات التي تتحرّك هنا وهناك، سواء في أوروبا أو في غيرها، وخصوصاً إسبانيا بعد حادثة التفجير في مدريد ولندن، نرى أنّ المسألة تبدو كما لو أنّ أميركا أعلنت حرباً عالمية ضدّ ما تسميه الإرهاب، فهؤلاء الناس ـ بقطع النظر عن رأينا فيهم ـ استطاعوا أن يقولوا للعالم إنّ هناك حرباً عالمية لا يمكن أن توفّر أحداً، وقد هدّدوا أوروبا ونفّذوا تهديدهم في لندن، ورأينا أنّ كلّ الدول الأوروبية تعيش حالة طوارئ في قوانينها التي تتنافى مع القيم الأوروبية الإنسانية في قضايا الحريّة، وهو ما يشمل كلّ الواقع الموجود، وإنْ كان العنوان لها مواجهة المسلمين. لقد استطاعت هذه العمليات أن تُربك القيم الأوروبية في هذا ا لمجال، كما أربكت القيم الأميركية في ما تقرّره من قوانين وغيرها.

إنّ المشكلة الآن ليست مشكلة العالم لجهة الحرب الأميركية، وإنّما أصبحت مشكلة

العالم من خلال حرب هؤلاء الذين يُسمّون المتطرّفين أو المتشدّدين أو غير ذلك... إني أعتقد أنّ العالم دخل الآن في مرحلةٍ جديدةٍ تضغط على كلّ الشعوب التي تتّصل بالذهنيّات التي يفكّر فيها هؤلاء الناس، من جماعة القاعدة أو غيرها، بما فيها الشعوب الإسلامية التي قد تكون موضع اتّهام لهؤلاء. إنّ العالم دخل في حالةٍ من الفوضى على جميع المستويات.

❊ ألاَ يقترب هذا ـ مولانا ـ من تشخيص ابن لادن بأنّ العالم انقسم إلى فسطاطين بعد 11 أيلول؟

– لا أريد استخدام هذه التعابير، ولكنّي أقول إنّ العالم قد دخل من خلال السياسة الأميركية وطريقتها في معالجة هذا الواقع في مأزق سوف يرتدّ على أميركا وعلى أوروبا وحتّى الدول العربية والإسلامية التي تخضع لأميركا ولغيرها، وأنا أتصوّر الآن أنّ المسألة ستصل إلى إسرائيل.

❊ أتراها تتطوّر؟

– تتطوّر وستصل إلى إسرائيل من الداخل، وليس من الضروري من منظّمات الانتفاضة كمصطلح.

❊ هل تعتقد أنّ أسامة بن لادن أو تنظيم القاعدة قد أربك أميركا وأوروبا، وربّما لاحقاً إسرائيل؟ هل لديه مرجعية، أم إنّه يعمل بخلاف ذلك؟

– لا أعتقد أنّ ذلك انطلق من تخطيطهم، ولكنّي أعتقد أنَّ تتابع الأحداث أدّى إلى هذه النتيجة.

❊ ولكن عندما يضطرب النظام الأمني في العالم، يضطرب النظام الاقتصادي، وبالتالي تصبح حتّى السياسة رهينة فيه؟!

– من الطبيعي أنّنا سوف نواجه الكثير من المشاكل كشعوب العالم الثالث، عربية وإسلامية، ولكن عندما تتطوّر الأمور، فإنّ الآخرين أيضاً سوف يتأثّرون في هذا المجال، وعندما نجد أنَّ هؤلاء الناس الذين قد يطلقون عليهم اسم المقاومة أو السلفيين في العراق، يفجّرون مواقع النفط فيه، فما المانع من أن يفكّروا في تفجير مواقع نفط أخرى؟

*** هل ترون في مثل هذه الأعمال إيجابيات؟**

– أنا لا أعتبرها إيجابيات، ولكنّي أقول إنّ أميركا عندما انطلقت بهذه الوسائل، لم تستطع حماية نفسها أو حماية العالم الذي تقوده، ولكنّها خلقت عدوّاً لم يكن بهذه الشمولية، وإنّما كانت الأحداث تدفعه إلى المواجهة، وهو ما نلاحظه في الموقف العراقي.

*** إذاً، المأزق الأميركي لم يعد فقط في العراق، صار على أكثر من مساحة وأرض؟**

– إنّنا نلاحظ أميركا تتّهم سوريا وإيران، وربّما في بعض الحالات قد تحذّر من تركيا ومن الخليج، حيث يأتي أغلب هؤلاء منه، ويدخلون إلى سوريا مستغلّين مسألة أنَّ سوريا لا تفرض تأشيرة دخول على العرب في هذا المجال. إنّني أعتقد أنّ هذا كلّه سوف يجعل أميركا تعيش مشكلةً وقلقاً من خلال هذا الانتشار، حتّى في المناطق التي تُعتبر حليفةً لها.

*** هناك نظرية تقول: بقدر ما تخرج إسرائيل خارج فلسطين تتورّط أكثر، والآن أميركا انجرّت إلى حقول النفط وتورّطت أكثر، فهل أنتم مع هذه النظرية، كلّما تورّط العالم الأكبر بمشاكل العالم الأصغر صار أكثر ضعفاً؟**

– طبيعة الواقع الإنساني في العالم كلّه، أنّه ليست هناك مشكلة تُفرض على جهةٍ إلاّ وتخلق مشكلة للّتي فرضتها، وهو أمرٌ لاحظناه في كلّ تاريخنا. إنّ إسرائيل انطلقت لتفرض مشكلة على الشعب الفلسطيني، وحتّى على جيران فلسطين، ولكنّ إسرائيل الآن تعيش مأزقاً قد يختلف الناس في حجمه، ولكنّها لا تعيش الاستقرار، وحتّى إنّ المفكّرين الإسرائيليين قد يتشاءمون ممّا يواجهون به المستقبل.

*** من المفارقات الملفتة للنظر ـ مولانا ـ أنّ الإعلام الغربي، وتحديداً السياسيين في أميركا، يتعاطون بمفهومهم للأحداث، فعندما يصطدم عناصر من «تنظيم القاعدة» مع القوى الأمنية السعودية، يقولون في الإعلام الغربي: حادث أمني في السعودية، ولكن عندما يحصل الحادث الأمني نفسه في أوروبا أو أميركا، يقولون إنّه عمل لتشويه الحضارة؟**

– هم يعتبرون أنَّ شعوبنا ليست حضارية، وأنَّ الحضارة عندهم، فهم ينظرون إلينا باحتقار، وهم لا يقوِّمون ما يحدث لنا في المسار العالمي أو السياسي.

5 ـ 9 ـ 2005

نيوأورليانز وجسر الأئمة

*** تعليقاً على ما حصل في مدينة «نيوأورليانز» الأميركية التي ضربها إعصار كاترينا. فلو كنتم، سماحتكم، تتحدّثون إلى وسيلة إعلام أميركية، فما الذي تقولونه لهم بما يتعلّق بمعالجة نتائج هذا الإعصار؟ فلا بدّ أنّكم سمعتم عمّا قيل من تمييز عنصري، ولا مبالاة مطلقة بالمساعدات الإنسانية في إهمال الأغنياء للفقراء في عمليات الإنقاذ، وبالتالي فإنّ الدولة والحكومة تصرّفتا بكثير من التقصير، وقد ذُكر اليوم في وسائل الإعلام، أنّ عدداً من عناصر الدفاع المدني الأميركي أطلقوا الرصاص على أنفسهم وانتحروا لشدّة المآسي العنصرية والتمييز العنصري الذي شاهدوه بأعينهم. ربطاً لذلك بالحادثة والمأساة الإنسانية التي شهدها جسر الأئمة في العراق، لا بدّ من أنَّ هناك ما يُقال حول التضامن الإنساني الذي شاهدناه. هل من كلمة تودّ قولها للشعب الأميركي؟ وما نظرة الإسلام إلى مآسي الآخرين؟ هل يشمتُ بهم أم يتضامن معهم؟**

– في البداية، عندما يكون السؤال الذي يمثِّل خلفية هذه الأسئلة في 11 أيلول، فالانطباع الأول هو هشاشة النظام الأميركي، ولاسيما المخابرات المركزية الأميركية (CIA)، التي كان العالم يتحدّث عنها بشكلٍ شبه أسطوري، باعتبار أنّها المخابرات التي تمتدّ أذرعها إلى كلّ مفاصل العالم، وأنّها لا يمكن أن تغفل عن شيء، وأنّها تستطيع أن تكتشف المشكلة في أيّ مكانٍ قبل أن تحدث، كما أنّها قادرة على أن تخلق مشكلة في كلّ مكان، فكانت أحداث 11 أيلول المفاجئة التي دلّلت على أنّ هذه المخابرات المركزية لا تملك حماية أميركا من تداعيات هذا الحدث أو نتائجه، كما أنّها استطاعت أنْ تعطيَ انطباعاً بأنّ الإدارة الأميركية عاشت لحظات من الرعب والخوف، بحيث إنّ المسؤولين شعروا بأنّه ليست هناك أيّة حماية لوجودهم، ما جعلهم يختبئون هنا وهناك ويفرّون خلال الحدث.

إنّنا عندما نقارن بين الواقع الذي عاشته أميركا في كلّ الانطباعات والمشاعر والأحاسيس التي حشدتها أميركا تُجاه هذا الحدث، وبين ما يحدث الآن في أميركا، نرى الأمور مختلفة تماماً، ونحن الآن في أيلول وأجوائه التي جعلت أميركا تُشغَل بالنتائج المأساوية للإعصار «كاترينا» الذي اجتاح ثلاث ولايات بالطريقة التي بدت فيها أميركا عاجزة عن احتواء نتائجه

المأساوية، حتّى إنّ أميركا ولأول مرّة تطلق الصوت عالياً لتطلب المساعدة من الدول العربية والأوروبية، ومن المضحك المبكي أنّ أفغانستان الفقيرة تبرّعت بمئة ألف دولار مساعدة في هذه المأساة. وقد لاحظنا أنّ هناك من تحدّث بأسلوب الشماتة، وهو ما قرأناه في تهنئة الزرقاوي لأسامة بن لادن والظواهري والملّا عمر على هذا الحدث الذي قد يصوّره البعض، كما في النظرة الدينية التقليدية، أنّه غضبٌ من الله على أميركا، وأنّ هذا ينذرُ بأنَّ هناك غضباً من السماء يُصَبّ على أميركا من خلال غضب الله، ما يؤدّي إلى انهيارها، كما صرّح البعض في هذا المجال. ونحن لسنا مع هذا المنطق، وذلك من موقع إيماننا وإسلامنا ونظرتنا إلى الأمور من خلال القاعدة الإسلامية:

1 ـ إنّ هناك فرقاً بين الجرائم التي تقوم بها الإدارة الأميركية بكلّ خطوطها ومواقعها وبين الشعب الأميركي.

2 ـ إنّ قضية الأحداث الطبيعية التي تتمثّل في الزلازل والبراكين والمدّ البحري والفيضانات والعواصف، فهي أمور طبيعية تنطلق من خلال القوانين الطبيعية الموجودة في الكون، فالله سبحانه وتعالى عندما خلق هذا الكون، زوّده بالقوانين التي قد تنتجُ بعض المآسي وقد تنتج بعض الإيجابيات، وليس من الضروري أن يكون كلّ حدَث من هذا القبيل يمثّل غضباً إلَهياً أو عذاباً لهؤلاء الناس، ولهذا فنحن لا نفسّر ما يحدث من الزلازل ومن البراكين، وحتّى ما حدث في «تسونامي»، لا نفسّره بالعذاب الإلَهي وبالغضب الإلَهي.

(مقاطعة): يعني لا يوجد قصاص للبشر في الأرض قبل الآخرة مثلاً؟

– ليس من الضروري أن تكون هذه الأحداث منطلقةً من حالةٍ مفصولةٍ عن القوانين الواقعية، لأنّها عندما تُدرس بأسبابها الطبيعية، نجد أنّها تنطلق من خلال القوانين الطبيعية الموجودة في الكون، فلا تحدث الزلازل والبراكين والفيضانات إلا بأسبابها. وقد نلاحظ أنّها تحدث في مناطق المستضعفين أكثر مما تحدث في مناطق المستكبرين في هذا المجال، كما حدث في الولايات المتحدة الأميركية، وكما حدث في «تسونامي»، إذ أغلبهم من الفقراء. ولذلك فهي جزءٌ من النظام الكوني الذي قد يرى الناس فيه عنواناً للكارثة، ولكنّنا عندما نشهد هذه الظواهر التي تحمل الكثير من السلبيات، نجد أنَّ هناك إيجابيات تتّصل بحركة الإنسان وحياته.

لهذا نحن كمسلمين، لا نفسّر ذلك تفسيراً غيبياً، وإنّما تفسيراً طبيعياً، انطلاقاً من قول الله سبحانه: ﴿**إِنَّا كلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:49]، ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ [الطلاق:3]. ومن ناحية أخرى، فإنّه ليس من الطبيعي أنْ نشمَتَ بهذه الأحداث، لأنّ الله أراد للإنسان المسلم أن يعيش الرحمة في قلبه، حتّى إنّه يقول: ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾[البلد:17]، وأراد الله لنا أن نذكره بالرحمة ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام:12]، وأنْ نذكر رسوله أيضاً بالرحمة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:107]، وأنْ يعيش الناس أيضاً الرحمة فيما بينهم ﴿**رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح:29].

ولهذا، فنحن انطلاقاً من هذه القيمة؛ قيمة الرحمة، لا بدّ من أنْ ننفتح على الإنسان كلّه، ولاسيّما المستضعفين، وأنْ نتعامل مع هذه الكوارث ومع هذه المأساة بالرحمة والمحبّة، وإذا استطعنا أنْ نساعد في هذا، فنحن نشعر أنّه من قيمنا مساعدة الناس بالجهد الشخصي أو غيره. لكنّنا نلاحظ، من خلال تسجيل نقطة على الإدارة الأميركية، كما سجّلها كُثر من الأميركيين، أنّ هذه الإدارة لم تتعامل مع هذا الحدث بالمستوى المطلوب، كما يمكن أن تتعامل مع مثل هذه الكوارث عندما تكون في المناطق الغنيّة، أو عندما تحدث لدى الشركات الاحتكارية والاقتصادية، ما قد يوحي ـ وكما أثير ـ أنّ أغلبية سكّان هذه الولايات كانوا من المستضعفين، سواء من السود أو من غيرهم.

لهذا، فإنّ المسألة قد تُسجّل نقطة سوداء على الإدارة الأميركية، في الذهنية العنصرية الطبقية التي تعاملت بها مع هذا الأمر، في تمييزها بين الأغنياء والفقراء، ولعلّ ممّا نستذكره على الهامش في مثل هذه القضايا، هو أنّ هناك حديثاً يرى أنَّ أغلبية الجيش الأميركي هي من الفقراء في أميركا، وأنّ القلّة من الجيش الأميركي هم الذين يملكون مواقع الثراء والغنى.

إنّنا نؤكّد في هذا المقام، أنّ الصورة التي نخرج بها من أميركا الآن، هي أنّ أميركا التي عاشت الضعف في أحداث 11 أيلول، هي نفسها تعيش الضعف في «أيلول الكارثة المائية والإعصار»، وأنّها أصبحت تواجه هذه الكارثة بالضعف في إدارة مثل هذه الأحداث، مع أنّها كانت تشمتُ بالاتحاد السوفياتي عندما حدث زلزال أرمينيا. وهكذا نرى أن أميركا الضخمة التي كانت تتحدّى الاتحاد السوفياتي، عاشت أيضاً هذا النوع من الضعف، بحيث أنّها لم تستطع السيطرة على كارثة من هذا القبيل.

*** هذا الجانب الذي عبّر عنه المجتمع الأميركي في هذه المأساة، كيف نقارنه مع جانب من كارثة جسر الأئمة، حيث لاحظنا التعبير الإنساني في التفاف الناس على بعضهم من التبرّع بالدم، إلى التبرّع بالمال، إلى عمليات الإنقاذ؟**

- إنّنا نلاحظ أنَّ الحدث الكارثة على جسر الأئمة، استطاع أن يخلق وجداناً عراقياً تجاوز كلّ الحساسيات الطائفية والعرقية، حتّى شعرنا بأنّ هذه الكارثة استطاعت أن تحقّق شيئاً من الوحدة، ولكنّنا في الوقت الذي قرأنا أو سمعنا بعض الكلمات في الغرب، لم نجد هناك موقفاً إنسانياً في مستوى هذا الحدث المأساوي، ما قد يوحي بأنّ الغرب في هذا التحجُّر الإنساني لا يعيش مآسي الشرق المستضعف، وخصوصاً أمام بعض العناوين التي يتّخذ الغرب منها موقفاً سلبياً، كالعنوان العربي والإسلامي والعالم الثالث، وإنّما نجد حالةً من الفوقية التي تشبه العنصرية في موقف الغرب من مآسي الشرق...

*** هناك ما يسترعي الانتباه، وهو أنَّ من تداعيات 11 أيلول، وبدء النظرة الأميركية المختلفة إلى الآخر، وتحديداً إلى الجهات التي اتّهمتها، والتي هي الإسلام في الدرجة الأولى، أخذوا بالتركيز على الإسلام العربي، ولم يتحدّثوا عن الإسلام في ماليزيا أو في مواقع أخرى بهذا النوع من الهجوم، لماذا في رأيكم؟**

- لأنّهم يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مع العرب، ونحن نلاحظ أنَّ الأميركيين مثلاً، الخاضعين للعنصرية الإسرائيلية أو اليهودية، يواجهون مشكلة حادّة مع العالم العربي، ولاسيما في العراق، فهم يواجهون مشكلة حادّة في العراق بما لم يواجهوه في أفغانستان، وإنْ كانت هناك مواجهة تحت عنوان إسلامي في أفغانستان، كما أنّهم يواجهون هذا النوع من الحركة المضادّة في أكثر من موقع عربي.

ولهذا نجد أنَّ الأميركيين يصدرون لمواطنيهم قرارات الاحتراز وعدم الذهاب إلى هذه البلدان بما لم يصدروه في أماكن أخرى، حتى إنّنا نرى أنّهم لا يصدرون هذه التعليمات مثلاً بالنسبة إلى إيران أو باكستان، إلا بشكلٍ محدود جداً، بينما نجد حديثهم عن تحذير الأميركيين من زيارة السعودية أو اليمن وحتّى لبنان... فهناك حرب بين العرب وبين الأميركيين بما ليس موجوداً بالمستوى الحركي الحربي الحادّ بين أميركا وبين الدول الإسلامية الأخرى.

❊ هل لأنّهم يعتبرون مثلاً أنَّ المنهج التكفيري الأخير نشأ من مدرسة عربية؟

– ممكن ذلك، ولهذا هم يعتبرون الإسلام عربياً، وأنّ هذا الفكر التكفيري ربّما انطلق من فهم عربي، كما هو الحال في تنظيم «القاعدة» التي انطلق فكرها من الوهابية في السعودية أو غيرها.

الجهاد

❊ من جملة حملات الغرب ضدّ الإسلام والفكر الإسلامي وما يحمله الإسلام من أفكار ومبادئ وقناعات كانت أولى المفردات التي تمّ التركيز عليها هي مفردة الجهاد، إذ اعتبر الغرب بمراكز أبحاثه وسياسيِّيه ومفكّريه، أنّه طالما يقتنع المسلم بكلمة الجهاد فهذا يعني ثقافة الإرهاب، وكنتم من أوائل من تصدّى لهذا الاتهام ورفضه؟

– أنا أعتقد أنّ العلماء المسلمين، ومنذ النهضة وأيام جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما، وامتداداً إلى كلّ هذا الخطّ الثقافي المتواصل، قد تحدّثوا عن أن الجهاد في الإسلام ليس عدوانياً، بل هو دفاعي من جهة، ووقائي من جهةٍ أخرى، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة:190]. وإذا كان البعض يتحدّث عن بعض الآيات التي تقول: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ [البقرة:191]، وما إلى ذلك، فهذه آيات وردت في تفاصيل حركة الحرب، ولم ترد في إعطاء الخطّ العام للحرب. ومن الطبيعي أنّه عندما تكون هناك حرب بين المسلمين والكافرين فإنّ الإسلام يشجّع المسلمين ليكونوا في مواقع القوّة ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال:60].

فهذه في تفاصيل حركة الحرب عندما تدور الحرب، وهذا أمرٌ موجود في كلّ الحضارات، في ما يزوّد به قادة الحرب جنودهم، بأنْ يكونوا في موقف القوي الذي يُهيّىء الواقع للانتصار. ولكنّ المشكلة هي أنّ الغربيين، وبالرغم من كلّ هذه الدراسات التي شملت العالم الإسلامي لا يريدون للمسلمين أساساً أن يقفوا في خطّ المعارضة حتّى على مستوى الدفاع، وهم لا يريدون أن تكون هناك حالة ممانعة للمسلمين ضدّ الذين يصادرون

ثرواتهم ويحاربونهم. لهذا فإنّهم يصرّون على إعطاء كلمة الجهاد كلمة العدوانية، وأنّ المسلمين يحملون سيفاً ضدّ الآخرين دون مناسبة. إنّهم يريدون ألاّ يقف المسلمون في مواجهة خططهم للسيطرة على العالم الإسلامي.

❊ مولانا، هل نفتقد في خطابنا الإسلامي لغة العقلانية ونعتمد الخطاب «المؤدلج» العام إلى حدّ الفوضى؟

– لا أعتقد ذلك، هناك في المسلمين خطّان:

الانفعالي، تماماً كالموجود في الغرب، أليس هناك في الغرب متطرّفون يدعون إلى قتل المسلمين؟ أليس هناك اليهود الذين يعتبرون المسلمين حشرات وأفاعي؟ ونحن لدينا في المسلمين أشخاص يعيشون الانفعال تُجاه ما يقوم به الغرب ضدّ الواقع الإسلامي كلّه مثلاً.. والعقلاني بحيث هناك شخصيات كبيرة جداً، لعلّها تشمل أكثر العالم الإسلامي، تعيش العقلانية في قضايا الحرب والسّلم، وفي المفاهيم الإسلامية بالنسبة إلى الآخر، والعقلانية في أساسية الحوار.

❊ هل استطعنا الدفاع عن أنفسنا تُجاه هذه الحملة التي شملت واقعنا؟

أنا أعتقد أنّنا استطعنا. إنّ وجود فرضية مليون مسلم، وهو عدد غير واقعي، ممّن يسمونهم الإرهابيين، لا يمكن أن نعتبر أنّه يمثّل الظاهرة الإسلامية التي يتمثّل فيها مليار ومئة مليون مسلم؟ لقد استطعنا أن نقدّم الفكر الإسلامي العقلاني الموضوعي، وأنْ ندفع الكثير ممّا يثيره الآخرون من اتهام الإسلام بالإرهاب أو العنف، ولكنّ الآخرين الذين يملكون أكثر وسائل ومواقع الإعلام والدراسات، لا يزالون يعملون على أساس أنْ تبقى آذانهم في صَمَم، وعقولهم في غياب أمام هذا. إنّهم يصرّون على الخطوط التي تشوّه صورتنا، لأنّهم يريدون أن يخضعوا كلّ ما عندنا في الجانب الثقافي والسياسي والعملي لمخططاتهم في هذا المجال.

❊ بعض الأصوات الأوروبية تعتبر أنّ المشكلة القائمة ناتجة عن أنّ الأوروبيين نظروا إلى الإسلام كعدوّ، ومع أنَّ هذه الأصوات قليلة العدد، إلاّ أنَّ العرب والمسلمين لم يلتقطوا هذه الأصوات، ولم يحاولوا تجييرها إعلامياً؟

– أنا أعتقد أنّهم التقطوا ذلك، فعندما انطلقت مسألة الاستعمار والمستشرقين الذين ساروا

بمعظمهم في خطّ تهيئة المُناخ للاستعمار، وتهيئة الرأي العام الغربي عامّة لدعم خطط المستعمرين والمستكبرين، وقف المسلمون المثقّفون والمعتدلون ضدّ هذا، ولكنّ المسألة أنَّ القوم لا يريدون مناقشة الأمور موضوعياً وعقلانياً، وإنّما يريدون تسجيل المقولة التي خطّطوا لإسقاطنا من خلالها، ولتعبئة الرأي العام ضدّك حتّى لو عرفوا الحقيقة، فهم لا يريدون الحقيقة، بل التركيز على الخطط السياسية التي تحاول قمعك سياسيّاً وثقافيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً.

*** هل تقصدون التعميم أم بشكل مخصّص؟**

– نحن نتكلّم عن الظاهرة، وليس حديثنا عن كلّ الغربيين، ولكنّنا نتكلّم عن الظاهرة التي تصنعها الإدارات الاستعمارية الغربية.

*** من هذا المنطلق، هناك ميدانان تحاول أميركا اقتحامنا فيهما كثقافةٍ وهوية، وهما موضوع التعليم والبرامج والدعوة إلى تغيير البرامج التعليمية، وموضوع إثارة مسألة الهويّات الثقافية عند العرقيات المختلفة، ونحن في مشرقٍ متنوّع ومتعدّد، ما مدى خطورة هذين الميدانين في رأيكم ونظرتكم ومتابعتكم؟**

– نحن نعتقد أنّهم أولاً يريدون إلغاء أصالتنا، نحن لا نعتبر أنَّ الأصالة هي العنف، ولا نعتبرها كلّ هذا الركام من التخلّف الذي يعيشه النّاس في فهم النصوص، أو فهم الإسلام، فنحن لا نعتبر أنّ هذه هي الأصالة، ولكنّهم يريدون تجريدنا حتّى من العناوين التي تركّز حركة قوّتنا في مواجهة التحديات المعاصرة. حتّى إنّهم لا يريدون أن نكون مثلهم، بل يريدون تحويلنا إلى صورة مشوّهة لا تحتفظ بما لديهم من عناصر التقدّم، ولا نحتفظ بالأصالة التي انطلق منها الإسلام في جذوره القيميّة والثقافية، وهكذا يحاولون إرباك كلّ الواقع في هذه التمزّقات العرقية، والتي ربّما تمزّق البلاد لتجعلها مِزَقاً متناثرة لا تملك أيّ موقع من مواقع القوّة، وهكذا تعمل أيضاً على استغلال بعض جوانب التخلّف، وخصوصاً في الخلافات المذهبية وفي الحوار الموضوعي والعقلاني في ما نختلف فيه.

إنّهم يعملون على إرباك الواقع كلّه لمصلحة مخطّطاتهم السياسية، وهو ما استمعنا إليه من الرئيس بوش، عندما كان يتحدّث عن الفوضى البنّاءة أو الخلّاقة، حيث يريد خلط كلّ الواقع وكلّ أوراقه، حتّى يستطيع أن يحقّق مصالحه الاستراتيجية من خلال الفوضى التي تمنع الناس من التفكير بطريقة موزونة هادئة.

*** هل نشأ بعد 11 أيلول، مؤسّسات إسلامية سعى المسلمون والعرب في الغرب من خلالها إلى الحوار، وهل تابعتم ذلك؟ وهل تتواصلون مع مؤسّسات كهذه؟**

– نحن كنّا ولا نزال من قبل أحداث 11 أيلول ومن بعدها، نطلق الحوار كوسيلةٍ إنسانية لتفاهم الشعوب، وكنّا من أوّل من تحدّث عن حوار الحضارات، لأنّنا نعتقد أنّ الحوار هو الأسلوب الإنساني الذي من خلاله يلتقي بالإنسان في ما يختلف فيه النّاس من فكرٍ ومن واقع، ولكنّ المسألة هي أنّنا بعد 11 أيلول، أصبح العالم العربي والإسلامي يعيش في حالة طوارئ ممّا قد يشبه حالة الجنون السياسي والأمني وغير ذلك... الأمر الذي منع من التخطيط الدقيق للمواجهة، إضافةً إلى أنّنا لا نملك ما يملكه الغرب من الوسائل التي يمكن أن تقدّم ما لدينا من فكرٍ حداثوي منفتح على الإنسان كلّه، وهو فكر الإسلام، ما يجعل أكثر الناس، ولاسيّما في الغرب، لا يعرفون شيئاً، وخصوصاً من خلال الحصار الغربي والحصار العربي والإسلامي، والذي هو امتداد للسياسة الغربية التي تدعم كلّ هؤلاء الحكّام الديكتاتوريين الذين يضيّقون على الأمّة خطواتها في حركة المواجهة.

نحن نقول: لقد كانت المسألة مسألة الحرب الشاملة، والتي يملك الغرب الكثير من أدواتها وأسلحتها ممّا لا نملكه نحن بحسب الواقع المتخلّف عندنا، وما فرضه الغرب علينا. إنّنا لم نستطع المواجهة في هذا المجال. إنّ الغرب يحاصرنا بكلّ هذه الخطوط السياسية والأمنية والاقتصادية، لكنّنا استطعنا الحصار للغرب في بعض المواقع، كمقاومة الاحتلال وإرباك حركته في هذا البلد أو ذاك.

*** لكن ألسنا بحاجة إلى إحداث تغيير في الثقافة والتربية؟**

– لم تكن مشكلتنا مع الاستعمار مشكلة ثقافية. هناك مشكلات سياسيّة واقتصاديّة وأمنية، هناك بعض المشكلات الثقافية التي أُثيرت، لا من جهة حاجتنا إلى إصلاحها، ولا من جهة أنّها شكّلت مشكلة عندنا في الداخل، بل من جهة أنّها شكّلت مشكلة للذين يريدون السيطرة علينا.

*** وماذا بالنسبة إلى حوار الحضارات؟**

– هناك حضارات ترتكز على أساس الفلسفة المادية، وهناك حضارات ترتكز على الفلسفة

التي تجمع المادة والروح، وهي الحضارة الإسلامية. لا يزال هناك مجال لأن نتحدّث عن حوار الحضارات.

*** هذا الكمّ الهائل من المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك، دون أن تؤدّيَ إلى نتيجة، إذ نرى كثرةً في الكلام ونقصاً في الفعل، فلماذا نقدّم أنفسنا كمن يقتحم هذا الغرب؟ هل لأنّنا لا زلنا الأضعف بسبب اقتحام الغرب العسكري وغيره لنا؟**

- أمّا أنّنا الأضعف، فهذه ناشئة من خلال الحركة التاريخية التي واجهت العالم الإسلامي في صراعه مع الأقوياء من العالم الآخر في هذا المجال، ولكنّ المؤتمرات استطاعت أنْ تجعل هناك نوعاً من المُناخ لدى الكثيرين ممّن يحضرون هذه المؤتمرات التي تُعقد في الغرب، ما جعل هناك نوعاً من أنواع المناخ التغييري لبعض المفاهيم التي كانت غير واضحة، واستطاعت هذه المؤتمرات أن توضحها بطريقة وبأخرى. ومن الطبيعي أنَّ حجم التحدّي هو أكبر من كلّ هذه المؤتمرات، ولكن لا مانع من التحرّك خطوةً خطوة لنستطيع أنْ نغيِّر شيئاً من بعض المُناخات السلبية الموجّهة ضدّ الإسلام، وعلينا أن نعمل لنبدأ الخطوة الأولى في طريق الألف ميل.

*** هل يحسنون في الغرب اختيار من يريدون محاورتهم، أم يختارون من يريدون ليسمعوا ما يريدون؟**

- ليس الغرب واحداً، ففي الغرب فريق من المفكّرين المنصفين الذين يحاولون أن يقتحموا واقع المسلمين ليحاوروه أكثر وليفهموه أكثر، ولذلك علينا عدم النظر إلى الغرب كفريق واحد، بل هناك عدّة أفرقاء، قد نجد في بعضهم من يمكن أن يواجه الحقيقة بطريقة عقلانية حوارية، كما أنّ العرب والمسلمين ليسوا فريقاً واحداً، فهناك من يحاول دراسة الأمور بطريقة علميّة موضوعيّة، وهناك من يعمل على إثارة المسائل بطريقة الانفعال.

*** يُركّز «الغرب» على مقولة أنّ شعوب الصين واليابان، وهم أصحاب إرث تاريخي ومجتمعات محافظة وتقليدية، استطاعوا المواءمة بين الحفاظ على تاريخهم وتراثهم، وبين عيش التجربة في الحداثة والتطوّر الاقتصادي ومفهوم المواطنة، وهي حالة لم نعشها نحن، وهو ما يعيبه الغرب علينا؟**

- هناك فَرْق بيننا وبين اليابان، فهي عندما خسرت الحرب خضعت للغرب ولم تقف في

موقف التحدّي له، وتركها الغرب بعد أن أسقطت كلّ خطّتها العسكرية والدفاعية، ولهذا فهي لم تعد تمثّل مشكلة له على الأقل من الناحية العسكرية، وبالتالي من الناحية السياسية، ولذلك عندما انطلقت اليابان وتطوّرت اقتصادياً، بدأ الغرب، وأميركا بالذات، يخطّط للصراع مع الاقتصادي الياباني ومحاولة إضعافه بطريقةٍ وبأخرى، بينما بالنسبة إلينا بقيت شعوب العالم العربي وبعض العالم الإسلامي، تواجه الغرب في استعماره واستكباره. وهناك بعض الدول الإسلامية كماليزيا، استطاعت أنّ تأخذ بأسباب التقدّم. وربّما عندما ننظر إلى بعض التطورات الموجودة في العالم العربي، نجد أنّها استطاعت أن تتقدّم عمّا كانت عليه قبل خمسين سنة أو ستين سنة. المشكلة أنّنا لا نزال في معركة مع الغرب، ولهذا فهو يعمل على الضغط ليؤخّر تقدّمنا إلاّ على طريقته الخاصة.

*** إذا لم يحصل إصلاح ديني، فهل هناك جدوى لأيّ إصلاح اقتصادي وسياسي في عالمنا الإسلامي العربي؟**

– هناك مساحة بين الإصلاح الديني في سلوكية الإنسان وبين الإصلاحات الاقتصادية، فقد يلتقي هذان الإصلاحان، وقد نملك أنّ نتحرّك في الإصلاحات الاقتصادية والأمنية بطريقة أو بأخرى، وقد لا يلتقيان في بعض المفردات في ما يمثّله الإصلاح الديني. ولكن نحن لا نؤمن بالتجزيئية، نحن نؤمن بأنّ الإصلاح يمثّل قاعدة واحدة، لأنّه يمثّل حالة الوعي للإنسان في نظرته إلى واقعه ومستقبله.

*** هل في ذلك فصل للإصلاح السياسي عن الديني؟**

– إنّ هناك بعض المفردات الموجودة في الإصلاح الديني قد لا تلتقي مع بعض الخطوط الواقعية للاقتصاد أو السياسة.

*** أقصد الإصلاح الديني، بمعنى دفع الإنسان المسلم العربي أكثر نحو الجدّية في العمل، بمعزل عن صراع الغرب معنا؟**

– لقد كتبتُ قبل خمسٍ وأربعينَ سنة، أنّه علينا ألّا تكون حركتنا الثقافية محصورةً في دفع الشبهات، لأنّ الذي يثيرُ الشبهات في مواجهتك، يجعلك تعيش المُناخ الفكري الذي عنده. علينا تأصيل بنائنا الفكري، فنحاول فهم الإسلام بطريقة حضارية ثقافية موضوعية، كما لو

لم يكن هناك أيّ شبهة، ثمَّ بعد تأصيل الإسلام في مفاهيمه الثقافية، نلتفتُ إلى ما يُثار من شبهات لنردّها في موقع الأصالة، لا من موقع الضعف أمام ما يثيره الآخرون.

*** هل تخشى «كاترينا» سياسيّة على أساس تفتيت وتقسيم مع ما يحصل في العراق؟ وهل الآتي أعظم؟**

- التاريخ يعيد نفسه من جهة السنن التاريخية التي تحكم مسيرة الإنسان في عالم القوّة والضعف، عالم التخلّف والتقدّم، وهكذا.



الإصلاح الديني

حزب الدعوة

12 ـ 9 ـ 2005

❋ منذ متى لم تزر النّجف الأشرف؟

– لقد عدتُ من النّجف سنة 1966 وزُرتها سنة 1967.

❋ قبل السؤال عن النجف وقم والأزهر، ما هي أوجه التقارب بين البيئتين اللبنانية والعراقية؛ البيئة العراقية حيثُ ولدتَ وترعرعت، والبيئة اللبنانية حيثُ أقمت؟

– النّجف بيئة عربية بشكل عام، من خلال ما تُمثِّلُه، على اعتبار أنّ النجف جزءٌ من العراق العربي، ولكن كان في الحوزة أكثرية إيرانية، وهناك قسم من الأفغان والباكستانيين وغيرهم. إنّ النجف أساساً كانت تمثّل في بيئتها، البيئة العربية في حركتها الثقافية. فالنّجف هي بلد الشعراء، لأنّ أكثرية شعراء العراق هم نجفيّون، ويذكر منهم الجواهري، وعلي الشرقي، ومحمد سعيد الحبُّوبي، والجيل الغرِّي، وجاء بعدهم مثل مصطفى جمال الدين وغيره. حتّى إنّنا كنّا نجد أنّ الشعراء يتتابعون منذ الوفاة إلى الأربعين في قصائد متنوّعة، وهذا الجوّ يجعل لدى الإنسان حالة شاعرية يتنفّس فيها الشعر حتّى لو لم يدرس قواعده.

ولهذا كنت في بداية العمر أنظم الشعر، وقد نظمته في العاشرة، وشاركت في النشاط الاجتماعي عام 1952، أي قبل ما يقارب الخمس والخمسين سنة، وذلك في رثاء الشيخ محمد رضا آل ياسين، وهو من المراجع الكبار. وعندما جئت إلى لبنان سنة 1952، شاركت في رثاء العلاّمة المرجع السيد محسن الأمين في احتفالٍ من أضخم الاحتفالات، وكنت في

عمر ما بين 16ـ17 سنة. وفي لبنان كتبت الشعر، ولي ديوان (على شاطئ الوجدان)، ويشتمل على قصائد نظمتها في لبنان إلى جانب القصائد العراقية.

*** سؤالي عن اختلاف وتقارب البيئتين من جهة التكوين الاجتماعي والنواحي السياسية؟**

– من الناحية السياسية، كانت النّجف في الفترة الأولى التي عشناها هناك في ظلّ حكم العهد الملكي، وتمثّل بالملوك الهاشميين، وبعدها كان الشّخص البارز في الحكومة نوري السعيد، المعروف أنّه من الشخصيات التي كان لها انتماء بريطاني. وهكذا عشنا في ظلّ بروز الأحزاب، ومنها الحزب القومي العربي والحزب الشيوعي، والحزب الوطني الديمقراطي الذي قاده كامل الجادرجي في ذلك الوقت، وقد سادت الساحة آنذاك مظاهرات كانت الحكومة تقمعها بين وقت وآخر. وكان النّاس يفكّرون في الجوانب السياسية، ولاسيّما ما يتّصل بالسياسة البريطانية التي كانت مسيطرة على العراق، كما حصل عندما عقد أحد زعماء العراق، وهو صالح جبر من الشيعة، معاهدة، خرجت على إثرها المظاهرات التي فُسِّرت حينها بالطائفية، إذ لم يكن هناك فرق بين صالح جبر وبين نوري السعيد في الخطّ السياسي، وهناك من فسَّر الموضوع بالصراع بين الحكّام وبين نوري السعيد وصالح جبر، وبعضهم المنتمي إلى هذا الفريق أو ذاك فسّرها كذلك.

ثمّ اشتدّ الوضع حتّى سنة 1958، عندما حصل انقلاب عبد الكريم قاسم ضدّ الحكم الملكي الذي سقط، وكان هذا الرجل من الرجال الذين لا يملكون الحكمة والعقلانية، وفي عهده تسلّط الحزب الشيوعي على العراق ومارس سياسة العنف، وسمّيت مرحلة الحكم الشيوعي على طريقة «المدّ الأحمر»، حيث كانوا يعلِّقون خصومهم على أعمدة الكهرباء، وكانت هناك محكمة المهداوي والقرقوشيّة التي لم يكن لها أيّة علاقة بالعدل...

ثمّ تطورت المسألة حين دخل الاتجاه المصري إلى العراق أيام بروز الأخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف، فكان عبد السلام أولاً، الذي كان وجماعته مرتبطين بعبد الناصر، وكانوا يطلبون الوحدة العراقية، بينما طلب الشيوعيون الاتحاد الفدرالي في تلك المرحلة. ثمّ قتل عبد السلام وجاء عبد الرحمن عارف الذي كان ضعيفاً، وامتدت المسألة إلى حين دخول حزب البعث من خلال أحمد حسن البكر، ومن خلال صدام حسين الذي كانوا يسمّونه حضرة النائب، ودخل العراق في المأساة التي لا تزال مستمرة حتّى اليوم.

*** رافقتم نشاط حزب الدعوة، فكيف كانت البدايات، لاسيما أنّه كان أوّل حزب حركي شيعي، وفي المقابل كان هناك تأسيس للإخوان المسلمين؟**

– كان حزب الدعوة أوّل حزب إسلامي شيعي في هذا المقام، وكان منفتحاً ولم يكن حزباً طائفياً، وكانت له علاقات مع الأحزاب السنيّة والشخصيات السنيّة، وأصدر في ذلك الوقت مجلة «الأضواء»، وقد أشرفنا آنذاك عليها أنا والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد مهدي شمس الدين، ولقد كنّا إسلاميين ومع الوحدة الإسلامية لا طائفيين منذ ذلك الوقت، وقد أدّى ذلك إلى بعض التعقيدات التي أحاطت بنا من خلال الطائفيين.

*** ما مدى الحديث عن انتمائكم إلى حزب الدعوة؟**

– لم أكن منتمياً بالمعنى الحزبي، ولكنّ حزب الدعوة كان يتحرّك مع أفكارنا ولم أدخل التنظيم، ولكن كان الفكر فكرنا، ولهذا كانت افتتاحيّات الأضواء التي أكتبها افتتاحيات إسلامية بشكل عام، إضافةً إلى ما كان يكتبه الشهيد الصدر.

*** نُقل عن الشهيد محمد باقر الصدر قوله: «كُل من خرج من النجف خسر النجف، إلاّ السيد محمد حسين فضل الله فقد خسرته النجف؟**

– لقد سمعت هذه الكلمة من بعض الفضلاء الثقاة الذين كانوا مقرّبين من الشهيد الصدر.

*** كمتابع، كيف تُقوِّم عمل النجف وقمّ والأزهر، هذه الأماكن التي تمثّل العمل الإسلامي؟ وهذه الأماكن ماذا تمثّل الآن؟**

– مدينة «قم» كانت تنفتح على بعض الوعي، ولاسيما الوعي السياسي الثوري، لكنّه لم يكن وعياً ثقافياً معاصراً، ولذلك لم تستطع قمّ أن تدخل العصر من الناحية الثقافية. أمّا في النجف، فقد بدأت المعاصرة فيها بشكل جيّد وملفت، لولا هذا القمع الذي حصل للسيد الشهيد محمد باقر الصدر وحزب الدعوة، ولكلّ الجيل الواعي في هذا المقام، وأمّا الأزهر ـ مصر، فقد كانت هناك طليعة مثقّفة واعية، ولاسيما الذين تحرّكوا من خلال الإخوان المسلمين، وكلّ هذه المرحلة بقيت في دائرة ضيّقة، ولم تستطع الانطلاق في خطّ المعاصرة، لولا بعض المفكّرين والمثقفين الذين انفتحوا على هذا الواقع. ولا ننسى أن نشير إلى دور دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي جمعت الكثير من العلماء المسلمين

من السنّة والشيعة، وأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» التي عرّفت الشيعة ما لدى السنّة من فكر، وعرَّفت السنّة ما لدى الشيعة من فكر.

قُمّ والنجف والأزهر

*** هل كانت هذه المرحلة قبل مرحلة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟**

– قبل عبد الناصر، ويبدو أنّ الظروف التي أحاطت بموضوع عبد الناصر وعلاقته بالإخوان، أدّت إلى وقف إصدارها في ذلك الوقت.

*** هل حوزات النجف وقمّ والأزهر بمقدورها في المرحلة الحالية، القيام بمهمّة التحديث والإصلاح في الجوانب الفكرية والسياسية والدينية؟**

– من الصعب جدّاً أن تقوم هذه الحوزات برسالة المعاصرة، بحيث تدفع الإنسان إلى قلب العصر بالمستوى الذي لا يسقط فيه أمام التحدّيات والانحرافات الموجودة فيه، لأنّ الوسط الإسلاميّ الآن أصبح هو الوسط المشيخي، وهذا الوسط هو وسطٌ تقليدي قد نجد في بعض مواقعه حالة منفتحة، ولكنّها ليست معاصرة.

*** لماذا أخفقت الحوزة في إيجاد نظام إصلاحي؟**

– لأنّ الشخصيات الإصلاحية قمعت، وغلب على هذه الحوزات الشخصيّات التقليدية، حتّى إنّها كانت تقمع الشخصيات الطليعية، ولا تسمح بالحوار ولا بالجدل الفكري، وحالة القمع التي تسيطر عليها الشخصيات الكبيرة في الحوزة والسيطرة التي يملكونها من ناحية القداسة للشخصيات المرجعية ومن يحيط بهم، منعت هذه الجيل الطليعي من أنّ يتطوّر أو يُطوِّر.

*** حصلت بعض نقلات نوعية، كالتي قام بها جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، وغيرهما؟**

– ولكنّها ووجِهت بالحرب التقليدية والسياسية التي حاصرت هذه المواقع.

*** هل هذا يعني أنّه لا يمكن للمرجعيات الدينية أنّ تعمل على التخطيط للعمل الإسلامي بمعزل عن الواقع السياسي؟ وهل العمل السياسي أقوى؟**

- المرجعيات الحالية لا تستطيع التحرُّر من الوضع السياسي، والمرجعيّات على قسمين: في الوسط الشيعي أغلب المرجعيات تقليدية غير خاضعة للسيطرة الحكومية أو سيطرة الدولة، والمرجعيات السنيّة أغلبها خاضع للسيطرة الحكومية وللدولة، ولذلك من الصّعب جدّاً أن تنطلق من حركة طليعية تواجه حركة العالم لتصلح الواقع وتجعله يتقدّم أكثر، وهو ما أعبّر عنه بأنّ الداعية لا بدّ من أن يكون لديه حسّ المعاصرة.

*** مولانا، هل أنتم علامة فارقة مضيئة ـ كما نرى ونقرأ ـ في هذه الحالة الإسلامية التي نعيشها، بمواكبتكم لكلّ القضايا المعاصرة وتفسيركم لها، واجتهادكم بما يتناسب ومستجدّاتها العلمية والعصرية وانعكاسها على واقع المسلمين؟**

- لا أريد أن أعطيَ لنفسي صفة ذاتية كبيرة، ولكنّي أرى أنّي انطلقت منذ البداية، وأنا ابن العصر، فقد كنت إسلامياً بالمعنى الإسلامي المنفتح منذ البداية، ومنذ الأربعينيّات. فمثلاً عندما كنّا في النجف، وفي سنّ مبكرة، كنا نلتقي مع الشيوعيين والقوميين العرب ونتحاور، وعندما جئت إلى لبنان سنة 1952، كنت أعقد الندوات وأتصل بشخصيات معروفة، وحضرت منتدى حسين مروّة، المفكّر الشيوعي، والتقيت بشخصيات مفكّرة في لبنان، أمثال لبيب الرياشي، ولهذا انفتحت بشكل وبآخر، حتّى إنّ الشعر الذي كنتُ أنظمه في تلك المرحلة، كان شعراً منفتحاً على الجانب السياسي والاجتماعي.

*** قلتم في إحدى المرّات، إنّ شعوراً بالمرارة يملأ كيانكم إزاء هذا الواقع الإسلامي، هل أنّ هذا الشعور آخذٌ في الازدياد أم ماذا؟**

- نعم، لأنّ هذا الإسلام الذي استطاع أن يصنع حضارة وقال عنها جواهر لال نهرو «إنّها أمّ الحضارات الحديثة»، بدأ في خلال مئة عام بالتخلّف، فالحركة الإسلامية تخلّفت وكفَّت عن صنع الحضارة من ناحية الفكر والحركة والواقع. والآن كثيرٌ من الحركات الإسلامية استغرقت في الجانب السياسي وتركت الجانب الثقافي تماماً... واستغرقت في الجانب الجهادي الذي يمثّل مظهراً من مظاهر الجانب السياسي، وتركت المسألة الثقافية، فأصبحت في القمة جهادياً، وربّما سياسياً، وتخلّفت عن الركب في المسألة

الثقافية، وقد يفرض الآخرون ذلك بحيث لا يكون لهذه الحركات قدرة على التفكير في الجانب الثقافي.

*** إذا أردت توجيه رسالة إلى رابطة العالم الإسلامي والمفكّرين وغيرهم من المجتمعين في السعودية وغيرها، فماذا تقول؛ ولاسيما أنّكم دُعيتم إلى المشاركة في أعمال المؤتمر الإسلامي في شرم الشيخ؟**

– إنّ مثل هذه المؤتمرات التي تُعقد تحت نظر أيّ دولة، يُراد من خلالها بحث الأمور على أساس إطلاق الشعارات العامة الفضفاضة التي تحتاجها هذه الدولة، فنحن الآن مثلاً نعيش في العالم الإسلامي مشكلة الإرهاب والعنف، والمشاكل التي أوحت بها أميركا في مسألة إصلاح الأنظمة والواقع التربوي، ولهذا فإنّ المطلوب من هؤلاء، ليس دراسة الأمور بالعمق الذي يفتح الآفاق على نظرية إسلامية جديدة، بل إخراج شعارات معيّنة تخدم الواقع السياسي الذي دعت إليه هذه الدولة.

*** غياب أيّ تخطيط استراتيجي في الواقع الإسلامي: هل هو ناتج عن أنّ المسلمين يعيشون حالة انحناء للعاصفة أم دفاع عن النفس؟**

– نحن لا نتّهم المسلمين بشكل عام؛ ولكن أغلب المؤتمرات تعقد تحت إشراف دول، ونحن نعرف أنّ هذه الدول قد تساهم في الكثير من حالات التخلّف، عندما تضطهد المثقّفين الإسلاميين الإصلاحيين، وتمنع أيّ انفتاح إسلامي على مستوى العدالة وحريّة الفكر وغيرهما.

*** هل ننتظر الغيب وما سيأتي به؟**

– هناك في القاعدة الإسلامية الشعبية شخصيات تملك حرية الفكر، وتملك الجانب الطليعي في التفكير، ولكنّها خاضعة للواقع السياسي الذي يقمع مثل هذه الحريات، ونحن نجد أنّ العالم العربي والإسلامي يعيش تحت ضغط قوانين الطوارئ وأجهزة المخابرات، حتّى قلت على سبيل النكتة: إنّ الإنسان المفكّر يخاف أن يضبط نفسه وهو يفكّر بِحريّة، حيث يخشى أن تكتشفه سلطة المخابرات وهو يفكّر، كجهاز كشف الكذب.

*** لماذا لا تبادرون مع أصحاب الشأن من مفكّرين ومثقّفين في منطقة محايدة إلى دراسة واقعنا ووضعنا، فأنتم تمثّلون هذا النموذج النيّر في عالمنا الإسلامي؟**

– أتصوّر أنّ التعقيدات الموجودة في العالم الإسلامي لا تسمحُ بذلك.

*** من أيّة ناحية؟**

– من الناحية السياسية، وحتّى بعض الجهات الإسلامية لا توافق على أن تنطلق أصوات إسلامية معارضة للخطّ الذي تتحرّك فيه هذه الدولة الإسلامية أو تلك.

*** مَن يعارض من المسلمين؟**

– هناك دول تأخذ عنوان الإسلام، وهناك أحزاب إسلامية ربّما فرضت الظروف عليها أن تتحرّك في اتجاه غير إسلامي، كالأحزاب الإسلامية في العراق التي خضعت للاحتلال الأميركي، حيث تحرّكت مع الاحتلال الذي لم يمنحها الحريّة، ولكنّه أعطاها العنوان في الحكم، علماً بأنّها في الوقع لا تملك شيئاً.

*** كسؤال محدّد، ما تقييمك للحركات الإسلامية السنيّة والشيعيّة في العراق، وتحديداً الشيعيّة، وأيضاً لحزب الله في لبنان؟ نقاط الضعف والقوّة لديهم؟**

– لقد استطاعت هذه الحركات أنّ تخلق مُناخاً إسلامياً، ولكنّها في الوقت نفسه ابتعدت عن الحركيّة الإسلامية ما جعلها تستغرق في الجانب الإقليمي والمحلّي والوطني، بعيداً عن الجانب الإسلامي.

*** هل تشعركم حالة اللاتوازن الموجودة في الواقع الإسلامي بشيء من الأسى والخوف؟**

– ليس عندي أيّ خوف أو إحباط، لأنّي أؤمن بالإنسان المسلم وحركة الأجيال، ولكن نحاول تصوير ما نحن فيه من خلال محاولتنا إيجاد مستقبل يمكن أن ينفتح على العصر، لأنّ الحركات الإسلامية في العراق مثلاً استغرقت في الجانب العراقي أكثر منها في الجانب الإسلامي.

العدو

26 ـ 9 ـ 2005

*** يبدو أنّ المشهد العراقي منجرف أكثر فأكثر نحو المأساة؛ مأساة الواقع العراقي الداخلي، ومأساة الاحتلال الأميركي له. أودّ أن أطرح سؤالاً حول مَن هو العدو؟**

– إنّ العداوة، تنطلق أساساً من الحالة الثقافية التي تحاول أن تهدم ثقافتك، أو الحالة النفسية التي تحاول أنّ تصادر إنسانيّتك، أو الحالة المادية التي تحاول أن تقضيَ على مواردك وعلى قضاياك، أو الحالة الدينية التي تحاول أن تتحدّى دينك. العدو هو الذي يريد أن يلغيَكَ ويلغيَ وجودك، ويلغيَ كلّ قضاياك الحيويّة التي تمثّل كلّ عناصر وجودك ومعنى وجودك. وعلى ضوء هذا، نحن نعتبر أنّ المستكبر والظالم عدو، لأنّه يصادر شعباً وأُمّة، كما نعتبر أنّ المحتل عدوّ، لأنّه يسيطر على الأرض ويطرد منها أهلها، كذلك الجهة التي تحاول أن تستنزف ثرواتك لمصالحها الخاصة، وتمنعك من أن تستثمر ثرواتك في هذا المجال، أو التي تحاول أن تسقط إنسانيّتك وقيمك لتجعلك مجرّداً من الإنسانية والقِيَم.

*** إنّه عدو بالمعنيين الداخلي والخارجي إذاً، فهل هذا يرتِّب علينا أولويات لتحديد مَن هو العدو؟**

– علينا أن ندرس أوضاعنا كلّها، فهنالك العدو الأولى بالعداوة، أو الأكثر عداوةً، الذي يريد إلغاء الإنسان في نفسه وفي أنسانيّته وفي قضاياه الحيويّة، كالذي يحاول الاستيلاء على الأرض وإذلال أهلها ومصادرة ثرواتها، وهكذا العدو الذي يحاول أن يتحدّى المقدّسات التي نؤمن بها، فيهاجمها بالطريقة التي يعمل فيها على احتقارها وإسقاطها في نفس الإنسان.

*** إنّنا نعيش في عالمنا العربي إزاء عدو يحاول إلغاءنا في الهُويّة والثقافة والوجود، لكنّنا نعيش شعور العداء في صراعاتنا الداخلية، ما يجعلنا نعيش في حالة من الصراع الخارجي والداخلي، وأقصد هنا ما يحصل في فلسطين والعراق. ألا يستدعي الوضع في هذين المكانين، تحديد أولوية مَن هو العدوّ الأوّل؟**

– من الطبيعي أنّ العدوّ الداخلي يربك الوضع أكثر، لأنّه يدخل في مفاصل الحياة، ويتحدّى

الإنسان في خصوصياته وعناصره الذاتية، ولكنّنا عندما ندرس الواقع الذي نعيشه في المنطقة، نجد أنّ العدو الداخلي غالباً ما يرتبط بالعدوّ الخارجيّ، ويتأثّر به، باعتبار أنّ العدو الخارجي يخطّط للداخل، ليجتذب الذين يمكن أن يتحالفوا معه أو يستفيدوا منه أو يندفعوا معه.

*** في هذا المجال، ربّما كانت صدمةً غير متوقّعة ما عاشته الساحة الفلسطينية التي شهدت انتخابات ديمقراطية، إذ لم يرضَ جزء من الشعب الفلسطيني بنتائجها، وبدا المشهد كما لو أنّ العدو الداخلي أكثر خطراً ممّا هو الاحتلال الإسرائيلي؟**

– أنا لا أتصوّر أنّ المسألة في ضخامتها تخضع للصراع الداخلي بين حركة حماس وحركة فتح، بل المسألة الأساس هي أميركا المتحالفة مع إسرائيل، لأنّها لا تريد للشعب الفلسطيني أنّ يكون له استقلاله بالمستوى الذي يستطيع تأسيس دولة كما هي الدولة. نحن نلاحظ أنّه منذ انطلقت السياسة الأميركية في فلسطين، ربطت المسألة الفلسطينية ـ الإسرائيلية بالمسألة الأمنية، مع أنّ المسألة الأمنية منطلقة من المسألة السياسية، لأنّ رجال الانتفاضة الذين يجاهدون، إنّما يجاهدون من أجل إزالة الاحتلال والحصول على الاستقلال، ولم تكن القضية مجرّد حالة أمنية تدفع الناس إلى القيام بأعمال إرهابية أو بما أشبه ذلك. لذلك، فإنّ أميركا ومعها إسرائيل، عندما أعطيا المسألة بُعداً أمنياً وتبعتهما أوروبا في هذا المجال، وضعوا العصيّ في الدواليب لتعطيل قيام دولة فلسطينية. لذلك نحن نعتبر أنّ نجاح حماس في هذه الانتخابات بالشّكل الساحق، قد أربك هذين العدوّين، وحتّى الاتحاد الأوروبي في هذا المقام، وأيضاً بعض الدول العربية باعتبار أنّها كانت تلعب لعبة سلطة، ولعبة حركة «فتح» كانت في هذا المجال، لأنّها هي التي تتنازل وتقدِّم ما يريده العدو، من أميركا إلى إسرائيل إلى اللجنة الرباعية الدولية. ولذلك، عبرت أميركا وإسرائيل عن عداوتهما للشعب الفلسطيني بالتهديد بمنع المساعدات وما إلى ذلك.

*** ما قصدته بالسؤال حول مَن هو العدو، إنّما هو انطلاقاً ممّا شهدته الساحتان الفلسطينية والعراقية، حيث الأولوية بدت وكأنّها في الصراع الداخلي أكثر، في حين أنّنا لا نلمس حصول مثل هذا الأمر في إسرائيل، التي تشهد عمليات انتخابية وتبدُّلاً في تداول السلطة، باعتبار أنّ هدف جميع الأحزاب في إسرائيل هو بقاء إسرائيل؟**

– بالنسبة إلى العراق، من الطبيعي أنّ هناك حساسيات داخلية، وقد تحوَّلت إلى نوع

من الصراع، لأنّ فريقاً من العراقيين كان في سدّة الحكم بالمطلق، وقد تطوّرت الأمور بالطريقة التي أصبح الحكم فيها لدى فريق آخر. لكنّني أعتقد أنّ لعبة الاحتلال في إدارة هذه الحساسيات والصراعات، هي التي أعطت المسألة هذا البعد الخطير، خصوصاً إذا رأينا أنّ فريقاً من النّاس ممّن يسمون «القاعدة» أو جماعة الزرقاوي، يحلّلون هدر دم المسلمين على أساس المذهبية، وبهذا اختلطت المسألة المذهبية بالمسألة السياسية في هذا المجال، بحيث كانوا يهاجمون المسلمين الشيعة، باعتبار أنّهم فريق محتل وما إلى ذلك. وأنا أرى أنّ الاحتلال هو الذي أعطى القوّة لهذه الارتباكات وهذه الاهتزازات بطريقته الخاصة.

*** من هنا علينا أن نحدِّد أكثر مَن هو العدوّ؟**

– أنا أعتبر أنّ قضية العدوّ أولاً هي مسألة نسبية، وثانياً هي قضية تتحرّك بحسب الظروف المحيطة بالمنطقة، من خلال المؤثّرات التي يتمّ السعي إلى تحريكها على أساس السلبيات التي تنتجها حالة التحدّيات والاهتزازات والإرباكات.

*** هل يعتبر الإسلام أنّ العداوة أصل في الإنسان، أم إنّ ممارسات الإنسان هي محلّ العداوة وليس الإنسان كشخص؟**

– إنّ الإسلام تحدَّث عن الإنسان في الجوانب الواقعية، تحدّث عن الإنسان الشرير وعن الإنسان الخيِّر، ولهذا فالمسألة ليست أنّ العداوة أصل في الإنسان، كما قال الشاعر المتنبي: «والظلم مِن شِيَم النفوس»، بل إنّ الإنسان يخضع للفطرة، وهي تُعتبر عنصر الخير التي تدفع الإنسان إلى الحقيقة، وإلى الإنسان الآخر. ثمّ إنّ هناك عامل الظروف التي تحيط بتربية الإنسان، فالإنسان قد يتربّى تربيةً تثير فيه عناصر الخير أو العكس، فهو عنصر قابل لأن يتأثّر بالمؤثّرات المحيطة به.

*** بصرف النظر عن هُويّة هذا الإنسان ودينه وعِرقه؟**

– الإنسان هو الصفحة البيضاء، يقول الإمام علي: «**إنّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية، كلّ ما أُلقي فيها قَبِلَته**».

*** عذراً لسؤالي، هل ما شهدناه في الأسبوع الفائت إنّما هو ثأر من قِبَل المسلمين لحادثتين وقعتا؛ الأولى تُجاه ما نشرته الصحف الدانمركية من إساءة للرسول (ص)، والثانية ما حصل**

جرّاء تفجير مقام الإمام العسكري في مدينة سامرّاء؟ أي هل إنّ الحجر والحبر على الورق كان لهما القيمة الأولى من الإنسان؟

– ليست القضية قضية الحجر وقضية الورق، وإنّما على أساس أنّها تمثّل شيئاً في الإنسان، فالإنسان عندما يحبّ شيئاً ويقدِّس شيئاً، فإنّ الاعتداء على هذا الشيء إنّما يكون اعتداء عليه، فالقضية ليست مرتبطة بالحجر أو بالورق، وإنّما هي مرتبطة بالإنسان في ما يحمل من مشاعر تُجاه الأمور المقدّسة، والتي قد تتمثّل في إنسان أو نبوَّة أو في إمامة، أو في هيكل معيّن.

*** لا أقصد بالحجر المعنى المادي للكلمة، وإنّما ما أريد قوله وبكلّ براءة، هل أنّ تقديس ما يمثّله الحجر يبلغ بنا حدّ قتل الإنسان؟ وأكرر أنّ سؤالي بالمطلق وليس نتيجة حادثة معيّنة؟**

– في الحروب، نلاحظ تدمير كلّ الرموز الموجودة، والتي تمثّل حضارات الشعوب ورموزها، هذه قضية إنسانية قد تصل إلى مرحلة بحيث تكون هي الإنسان، وقد تصل إلى حالة تكون مجرّد ارتباط بالإنسان، فيحاول أن يواجهها حسب ثقافته وتفاعله مع الأحداث.

*** هل تَرَوْنَ في الطريقة التي عبّر عنها المسلمون تُجاه إساءة الصحف الدانمركية للرسول(ص) إنّما هي الطريقة المثالية لمواجهة مثل هذا النوع من الأمور؟**

– إنّ لذلك خلفيات، ففي خلفية الإنسان المسلم والعربي، أنّ الغرب هو المحتل، الظالم والمستكبر، وما إلى ذلك، فعندما تأتي مثل هذه المسألة، فإنّها تثير كلّ التراكمات التي في نفس الإنسان، لتضيف إليها شيئاً يرتبط بالمقدّسات والحياة والعزّة والكرامة، لذلك تجتمع هذه المسألة مع تلك، أي التراكمات التاريخية مع الأمور المستجدة.

*** هل ترضيكم طريقة التعبير هذه من موقعكم كمرجع ديني؟**

– لقد عبّرنا في كلّ كلامنا وبياناتنا عن المواجهة بالوسائل الحضارية والسلمية، ولكن نحن نلاحظ، أنّه عندما حصلت حادثة 11 أيلول، رأينا أنّ الإنسان الغربي العادي بدأ بالتهجّم على المسلمين وعلى المرأة المحجّبة، وعلى المساجد والمقابر لتدنيسها. هذه مسألة إنسانية، عندما يرتفع الانفعال في نفس الإنسان، عندها يفقد الإنسان الخطوط المتوازنة في طريقة المواجهة للأشياء التي تتحدّى بعض الأمور المرتبطة بذاته.

*** هناك إشكالية تتعلّق باندفاع المسلمين تُجاه أيّة قضية، بأنّه اندفاع حسّي أكثر ممّا هو منهجي عقلاني؟**

– إنّ المسلمين وَفْقاً لأوضاعهم، لا يملكون الكثير من أسلحة الرّد بالمعنى المنهجي، لأنّ الإعلام بيد الغرب، ولأنَّ مراكز القوّة لديه، وحتّى إنّ الأنظمة التي تحكم المسلمين، هي أنظمة خاضعة للغرب، ولذلك لم يبقَ هناك إلاّ الحالة التي يعبر فيها المسلمون أو العرب أو العالم الثالث عن مشاعرهم بهذه الطريقة الانفعالية، ولكن هذه هي المرّة الأولى التي يتوحّد فيها العالم الإسلامي من دون تخطيط، بحيث يندفع اندفاعاً عفوياً في قضية الانتصار للنبيّ(ص)، لذلك نحن نفسِّر ما حدث في سامراء أنّها خطة لها خلفيات سياسية يراد من خلالها إيجاد نوع من الفتنة بين المسلمين تشغلهم عمّا انطلقوا فيه.

*** لماذا شعورنا بالغضب دائماً مؤقت، ألا يستدعي ذلك شعوراً بالغضب المستدام على طريقة التنمية المستدامة؟ وكيف يجب أن يبنى هذا الغضب لكي يكون عنصراً إيجابياً؟**

– يكون ذلك بالثقافة والتوجيه، وقد قال الرسول (ص) لشخص طلب منه أن يوصيه: «**إذا أنتَ هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يكُ رشداً فأمْضِهِ، وإن يكُ غَيّاً فانْتَهِ عنه**». وهناك مثلٌ معروف أنّ الذي يضحك هو الذي يضحك أخيراً. ونحن نقول إنّ هذا يتبع ثقافة الشعوب، ولكن الشعوب قد تعيش بعض الصدمات التي قد تلغي ثقافاتها، كما في الغرب، حيث نلاحظ كيفية مواجهة الغرب لبعض الأحداث التي تفترس أوضاع المسلمين، فلماذا يعيش المسلمون حالة طوارئ مع أنّهم مسالمون ومعتدلون، لمجرّد أنّ عشرة أشخاص أو خمسة عشر شخصاً قاموا بأعمال سيّئة لا دخل للمسلمين بها.

*** في هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى ما صدر عن الفاتيكان حول ردّة فعل المسلمين تُجاه الرسوم المسيئة للنبيّ، واتهامه الإسلام بأنّه دين منغلق، لماذا نُسِبَ الانغلاق إلى الدّين الإسلامي؟**

– هذا غير صحيح، وبشكل مطلق، فالمسيحيون يريدون أخذ حرّيتهم في إخراج المسلمين من دينهم، ولن نوافق على هذه المسألة. على المسلمين أن ينطلقوا مع الغرب لكي يفهم الإسلام، وإذا كان هناك في الغرب من يتقبّل الحوار، ولكن هناك أيضاً خلفيات سياسية تعمل على إسقاط المسلمين في أنفسهم، وإسقاطهم أمام الآخرين. في الغرب يطالبون

المسلمين بالاندماج، ولكن على أساس نزع الهُويّة، فلماذا لا يفعل ذلك من يأتي من الغرب ليعيش في المجتمعات الإسلامية؟! هذه مسألة القويّ والضعيف، هذه عقدة الخواجا والجهة المسيطرة.

النظرة إلى إسرائيل

*** متى كانت بداية اهتماماتكم بالقضية الفلسطينية؟ وكم كان لكم من العمر؟**

– كنت في حوالي الثالثة عشرة من عمري، وكان ذلك في نكبة 1948.

*** وكيف تفاعلت مع هذه القضية؟ هل بكتابة قصيدة كما علمنا؟**

– كنت أقرأ عن هذه القضية، وقد كتبت قصيدة يقول مطلعها: «دافعوا عن حقّنا المغتصب في فلسطين بحدِّ القضب، واذكروا عهد صلاح حينما هبّ فيها». وعندما قرأت هذه القصيدة أمام عدد من المشايخ في النجف، بادرني أحدهم بالسؤال: من أين تعرف صلاح الدين؟ (إشارة إلى صلاح الدين الأيوبي).

*** كيف تَرَوْن مستقبل إسرائيل في المنطقة؟**

– لا يمكننا التحدّث عن هذا الكيان إذا لم نربط ذلك بالحديث عن الولايات المتحدة الأميركية التي التزمت إسرائيل بكلّ استراتيجيّتها المنفتحة على كلّ جرائمها، وكلّ خطوطها السياسية التي تتحرّك من أجل أنْ تنال السياسة الأميركية عطف اللوبي الصهيوني المتنوّع الخطوط والأعمال، بحيث إنّها تعمل على أن تخوض أميركا حروب إسرائيل.

نحن نعتبر أنّ أميركا خاضت حرب إسرائيل في العراق، هي الآن تخوض حرب إسرائيل بالنسبة إلى إيران، وحتّى بالنسبة إلى حلفاء أميركا، مثل مصر والأردن والسعودية وغيرهم، من الصَّعب جدّاً أن نفكّر في أيّ حلّ لإسرائيل كدولة مجرمة وخطرة على الواقع العربي والإسلامي كلّه، لأنّ المسألة هي أنّ الحديث عن مواجهة إسرائيل، هي مواجهة لأميركا وكلّ ما تمثّله أيضاً أميركا في عامل الضغط على الدول الأخرى، بما فيها دول الاتحاد الأوروبي. هناك حالة واحدة، ولكنّها ليست مطروحة في الساحة، وهي وقوف العالم الإسلامي والعربي بكلّ تخطيط من أجل الضغط على أميركا بالمستوى الذي تشعر فيه

أميركا بأنّ هذا الالتزام المطلق بإسرائيل قد يؤدّي إلى الكثير من السلبيات تُجاه علاقاتها مع العالَمين العربي والإسلامي، ولكنَّ المشكلة هي أنّ هذين العالَمين لا يزالان يخضعان للضغوط الأميركية بطريقة وبأخرى.

*** هذا الكيان الذي أوجده الغرب، ويغذّيه دائماً استطاع مساعدة نفسه أيضاً على صعيد التطوّر العلمي والإداري والقوّة العسكرية المبنيّة جميعاً على المجازر بحقّ الشعب الفلسطيني، هل تلحظون نوعاً من التراجع في هذا الكيان؟ أي هل تَرَوْن أنّ بدايات هذا الكيان منذ حوالي الستّين عاماً غير ما هي عليه اليوم؟ وبالتالي أعود وأسأل عن رؤيتكم لمستقبل هذا الكيان؟**

– أنا أتصوّر أنّ المشكلة بالنسبة إلى إسرائيل هي أنّها تتلقّى الدعم الأميركي دون شروط أو تحفُّظ، فأميركا عندما تساعد الدول الأخرى، تفرض عليها شروطاً معيّنة في إنفاق هذه المساعدات، أمّا بالنسبة إلى إسرائيل، فإنّ المساعدات التي قاربت المئة وأربعين مليارا من الدولارات منذ تأسيس إسرائيل حتّى الآن، لا تسأل أميركا عن كيفية صرفها، حتّى إنّ إسرائيل اليوم تلعب ضدّ أميركا عندما تعقد اتفاقات مع الصين وغيرها في الأسلحة الأميركية التي لا تقبل أميركا أن تُعطى لغير إسرائيل من الدول. فما دامت أميركا تعيش تحت تأثير اللوبي الإسرائيلي الذي يسيطر على الاقتصاد الأميركي وعلى الإعلام وعلى مراكز الدراسات وما إلى ذلك، وعلى المحافظين الجدد الذين هم أشدّ شراسة من اللوبي الإسرائيلي، ما دامت المسألة على هذا المستوى، فمن الصعب جدّاً أن تتوازن إسرائيل في هذا المجال. إنّني أتصوّر الآن أنَّ إسرائيل تعيش القلق في المرحلة الحاضرة من خلال حكومة «حماس» وحركة «حماس». من هنا حملتهم عليها.

*** ماذا عن رؤيتكم لحلّ مسألة الصراع مع هذا الكيان؛ هل هو حلّ ديني أم سياسي، أم إنَّ إسرائيل باتت أمراً واقعاً؟**

– لقد أطلقت إسرائيل الحلّ الديني عندما أرادت أن تكون الدولة يهوديّة الطّابع، ولكنّها استفادت من الخطوط السياسية الدولية والإقليمية، كما أنّها استطاعت أن تستفيد من نقاط الضعف الموجودة في المنطقة، لذلك أنا أعتقد أنّه لا بدّ لنا في هذا المجال من أن نستفيد من العنصر الإسلامي من جهة، وأيضاً من العنصر السياسي من جهة أخرى.

❊ لقد قصدت بالحلّ الديني، أي انتظار الأمر الإلهي لإيجاد حلّ لهذا الصراع؟

– إنّ الله أكّد أنّ الكون خاضع لقانون السببيّة ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:49] فلا بدّ من التخطيط، والحلّ الديني ليس هو حلاًّ يعيش في دائرة التجريد وترك الأمور لله، بل على طريقة: إعقلها وتوكّل.

❊ أليس هناك من نصّ ديني يشير إلى مصير هذا الكيان؟

– إنّ الإسلام يريد للمسلمين أن يكونوا أقوياء، وأنْ يُخطِّطوا من أجل الوصول إلى النتائج التي تؤكّد لهم الحريّة والعزّة والكرامة، وهذا الأمر لا بدّ فيه من التخطيط.

❊ قد نتعايش مع الظلم دون أن نعترف بشرعيّته، فهل يمكن تطبيق هذا الشعار على الموضوع الفلسطيني؟

– من الصّعب جدّاً أن نتعايش مع إسرائيل، لأنّ إسرائيل هي ضدّ التعايش الذي يحفظ للناس الآخرين كرامتهم وموقعهم ومصالحهم.

❊ كفقيه إسلامي، كيف تنظرون إلى طروحات الهدنة مع إسرائيل؟

– أنا أعتبر أنَّ الهدنة إنّما هي نوع من التكتيك المرحلي، وأنّ إسرائيل تمثّل السرطان السياسي والديني والاقتصادي والعسكري.

❊ وماذا عن المفاوضات؟

– لقد أثبتت تجربة الفلسطينيين والمصريين والأردنيين مع إسرائيل أنّها تجربة فاشلة، لأنّ إسرائيل لا تلتزم باتفاقاتها وبعهودها، بل تحاول أن تلعب على نقاط الضعف الموجودة عند الآخرين.

❊ هل وصل الوضع إلى انسداد الأفق؟ وهل نقول للفلسطينيين أن يسيروا في مسيرة الانتحار، أو أن نساعدهم؟

– عندما نقول إنّ علينا العمل على أساس التخطيط، فإنّ التخطيط هو تأكيد الاستراتيجية مع واقعية التكتيك.

*** هل يكون الحلّ في المستقبل سياسياً أم عسكرياً؟**

– أن يكون الحلّ عسكرياً وسياسياً، لا بدّ من أن يكون لدينا الإمكانات والمعطيات التي تساهم في الحلّ السياسي أو العسكري، والظّاهر أنّ المعطيات ليست موجودة، إلاّ أنّنا نعتقد أنّ استمرار المقاومة يحاصر إسرائيل كما يحاصر الولايات المتحدة الأميركية باعتبار أنّه يجعلهما تعيشان المأزق كما يعيش الفلسطينيون المأزق.

*** في الجانب الاستراتيجي، هل هناك إمكانية للتغيير من الداخل، أي بالمقاومة الشعبية؟**

– يجب علينا أن ندرس الواقع دراسة مبدئية وأفقية، وأنْ نعمل على تحضير ما يمكننا تحضيره، فلا يمكن في قتال إسرائيل أنْ نتحدّث عن مفردة هنا وأخرى هناك، لأنّها تمثّل كياناً خطراً على كلّ الواقع الذي نعيشه الآن، ولاسيّما مع هذا التحالف مع الغرب كلّه.

*** إنها حرب العالم علينا؟**

– ولكن من الطبيعي أن نعمل على توثيق علاقاتنا مع العالم، حتّى نستطيع أن نجتذب تأييده لقضايانا.

*** هل إنّ شعاراً من نوع إزالة إسرائيل، هو شعار يمكن تحقيقه؟**

– علينا أن نعمل في هذا الاتجاه، وعندما نرى شعوب العالم في الذكرى الثالثة لاحتلال أميركا وبريطانيا للعراق، واعتراضاتها على هذا الاحتلال، نجد أنّ هناك إمكانية لاستثارة الرأي العام العالمي ضدّ قضايا الظلم والاستعمار. لذلك نحن لا نعتبر أنّ العالم أصبح مستهلكاً لكلّ ما تخطّط له إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية.

*** إذا أردت أن تعدّد نقاط الضعف لدى هذا العدو، فأين تراها؟**

– أعتقد أنّها في العنصرية اليهودية التي تحاول أن توحيَ بأنّها تمثّل القومية المنفتحة على المسألة الدينية، والتي تريد أن تحكم العالم. كما قال مهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا السابق)، إنّ إسرائيل تعمل على الاستيلاء على العالم.

*** وهل ترى مستقبلاً لهذا الكيان القائم على العنصرية والقتل؟**

– أنا أعتقد أنّه عندما نكون في مواقعنا الإسلامية نعمل على التخطيط من أجل أن نكون

قوى كبرى في العالم، فعند ذاك لا تعود إسرائيل تمثّل مشكلة كبرى.

❊ هل ترضى بحلّ يقوم على دولتين فلسطينية وإسرائيلية؟

– أنا لا أرضى بذلك، لأنّ إسرائيل دولة غير شرعية، فهي قامت على اغتصاب أرض شعب آخر، وأنا أتذكّر كلمة لـ «بن غوريون» حين قال: «لو كنتُ عربياً لما صالحت إسرائيل».

❊ هل شعار «اللا» الرافض دائماً كان للوصول إلى اللاشيء؟

– نحن عندما نقول بالتخطيط، يعني أنْ نبنيَ الاستراتيجية، ولكن أن يكون هناك مرونة في التكتيك؛ أن لا نقول لا لا، ولا نعم نعم، بل أن نحاول دراسة الأرض والمعطيات التي يمكن أن نحقّقها، ولكن أقول: لن تكون هناك دولة فلسطينية بالمضمون الإسرائيلي.

❊ وإذا وافق الشعب الفلسطيني على خيار التعايش مع هذا الكيان؟

– لماذا نطلق فرضيّات تسقط الساحة والنفس؟

❊ هل زرتم القدس يوماً ما؟

– كلا، لم يحصل ذلك.

❊ بسبب وجودكم في النجف؟

– نعم. ولكن من الطبيعي أن يعيش الإنسان آفاق الأنبياء، آفاق تاريخ كلّ الرسالات والنبوّات.

❊ من خلال نظرتكم الدينية الإسلامية لمدينة القدس، هل تَرَوْنَ أنّ فيها مكاناً لليهود؟ أم إنّها فقط للمسلمين والمسيحيين؟

– إنّ الإسلام أكّد قضية التعايش مع أهل الكتاب، لذا يمكن أن يكون هناك دور لليهود في القدس، ولكن ليس على أساس أن تكون لهم حصّة فيها، فالمسلمون هم الذين ركّزوا القدس وعمّروها وحفظوها وحموها...

❊ هل تتوقّعون لهذا الكيان الوصول في مرحلة زمنية إلى بداية مرحلة الانحدار، عكس بدايات القوّة التي انطلق على أساسها؟

– لا يستطيع الإنسان أن يتحدّث بالمطلق في هذه القضايا، بل أن يتابع التطوّرات الموجودة.

كاد الفقر...

17 ـ 10 ـ 2005

*** وَفْقاً لتقرير التنمية الإنسانية الصادر عن الأمم المتحدة، هناك حوالى مليار إنسان في هذا العالم، يعيش الفرد منهم بأقل من دولار واحد في اليوم، هل هذا الاتّساع في الهُوّة، في اللامساواة بين الفقير والغني، سيؤدّي إلى مزيد من اللاإنسانية؟**

- أنا أعتقد أنَّ الاستكبار العالمي المتمثّل بالدول الغنية، سواء كانت الدول السبع أو الثماني، يرى من خلفياته الاستكبارية، أنّ كلّ ثروات العالم الثالث هي ثرواته، ولذلك فإنّهم يمنعون العالم الثالث من الحريّة في إدارة ثرواته، ويمنعونه حتّى من تحديد أسعار هذه الثروات، وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة، عندما ارتفعت أسعار البترول إلى ما يقارب السبعين دولاراً، أنّ أميركا بما تملك من ثروات بترولية، لم تحاول تحديد إنتاجها، أو زيادة إنتاجها، بل كانت تفرض على الدول العربية وغير العربية المنضوية في منظمة أوبك، الزيادة الهائلة التي تخفض أسعار البترول. ونلاحظ أنّه عندما تفعل ذلك، فإنّها تعمل على الضغط على هذه الدول وعلى دول العالم الثالث بزيادة أسعار البضائع والصناعات التي تنتجها، حتّى لو فرضنا أنّ أسعار البترول قد انخفضت.

لهذا نعتقد أنّ الأساس في إفقار هذه الشعوب، هو أولاً مصادرة ثرواتها، ومنعها من التحكّم بها، ثم منعها من استخدام الثروات النقدية التي تحصل عليها كأثمان لثرواتها، لتكون مجرّد أرصدة لبنوك الدول الكبرى لتستثمرها في مصالحها، وربّما حتّى في حروبها ضدّ العالم الثالث. نحن نعتقد أنّ سرّ مشكلة الفقر في العالم، هو الخطط التي تتحرّك بها هذه الدول الثماني، ولهذا رأينا كيف تتظاهر الشعوب، بما فيها الشعوب الأميركية والأوروبية، بما يشعرنا بأنّ هناك مشكلة حادّة تفترس كلّ واقعهم، على أساس أنّهم يعتبرون أنّ هذه العولمة التي يسيطر عليها هؤلاء المستكبرون، هي التي تنتج الفقر للفقراء في العالم.

*** عندما يقول الإمام علي (رضي الله عنه) «كاد الفقر أن يكون كفراً». هذه الشجاعة في الوصف، وفي التعبير، بالدعوة والتحريض على هذه الحالة التي هي الفقر، ألا يشبه ذلك**

حاجتنا إلى القول إنّ هذا القيد السياسي الذي يعيشه هذا المجتمع العربي والإسلامي، والذي يؤثّر على مستوى الحريّات، والإبداع، والتنمية فيه، إنّ هذا القيد السياسي هو كفر؟

– نحن نعتبر أنّ الإمام عندما تحدّث قال: «كاد»، لأنّ الإنسان عندما يفقد حاجاته الحيويّة، وعندما يعيش الاضطهاد في كلّ أموره وقضاياه، ينسى ربّه، ويبتعد عن التوازن في حركة التفكير في هذا المجال، لأنّه عندما يعيش الجوع والمرض والحرمان، ينسى كلّ شيء، ويتعطّل تفكيره وتتعطّل نظرته إلى الواقع وإلى الكون، خصوصاً عندما يرى المسافة الهائلة بينه وبين الذين يصادرون ثرواته، وهذا ما يوحي إلينا بأنّ الإسلام يحاول دائماً أن يربط بين الإيمان وبين الاكتفاء الذاتي في حاجات الإنسان، حتّى إنّنا نروي عن بعض الأئمة تشجيعاً للإنسان أن يضمن حاجاته، لأنّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنّت.

*** ولكن ما نعيشه من واقع، بدا فيه المسلمون وكأنّهم خانوا الإسلام كمبادئ وكقيم. فالأميّة مرتفعة في صفوفهم، الحريّات نعيشها كحالة فرديّة ونحرم منها كحقّ عام، وما إلى ذلك؟**

– نعم، صحيح، لأنّ المسلمين عاشوا الفوضى الثقافية في فهم الإسلام.

*** ... وما زالوا؟**

– وما زال الكثير منهم يتحرّكون من أجل أن يعيشوا على فتات ما يقدّمه لهم الآخرون، لأنّ الآخرين يخلقون الحاجة، ويحاولون أن يستغلّوا هذه الحاجة في ما يفرضونه على الواقع الإسلامي من شروط سياسيّة وأمنية وثقافية وما إلى ذلك.

*** ما هي الظروف التي تجعلكم تُقدِمون على إصدار الفتوى؟**

– إنّ مسألة الفتوى في أمور، كالفقر والغنى والاستكبار، تحتاج إلى خطوط واعية، وأن لا نكون مجرّد صوت ينطلق في الهواء من دون أن يجد ما يؤكّد حركته في الواقع.

*** بالمعنى التجريدي؟**

– هناك الكثير من الفتاوى التي تدفع النّاس إلى القيام بدفع الضرائب الإسلامية، كالخُمس والزَّكاة والصدقات، سواء على مستوى الأفراد أو المشاريع، والأعمال التي تنفع حاجات الناس بشكل يمكن أن يلبّيَ الكثير منها، هناك فتاوى كثيرة، ولكنّ المشكلة أنّ العالم الإسلامي يعيش ما يشبه الفوضى في كلّ شؤونه وأوضاعه، سواء بالنسبة إلى الذين يسيطرون

عليه، أو الذين يستعمرونه من الخارج، وحتى إنّ الواقع الإسلامي الشعبي يصطدم بكثير من الانحرافات التي تجعله يحاكي هؤلاء المسيطرين والمستكبرين... نحن بحاجة إلى إغناء الفتوى بالمعنى الاجتماعي والمعنى الإنساني، لأنّ المشكلة أنّ التوجيه أصبح يقتصر بالفتوى على الأمور المحدودة فيما هي الزكاة والخُمس. إنّنا نقرأ في القرآن ما يتخطّى قضية الزكاة والخُمس، ليكون عطاء الإنسان من نفسه لكلّ ما يحتاجه الآخرون، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:19]، إنّ هذا هو ما يعطيه الإنسان من نفسه.

❊ لماذا علينا دائماً أن نسأل لكي نعمل؟

– إنّ الإسلام يريد أن يربّيَ الإنسان، وأن يعمِّق إنسانيته وانفتاحه على الآخر، وإغناء حاجات الناس، لكن الكثير من الخطّ التقليدي في الفتوى يجمِّد هذه الأمور في قضايا محدودة، بحيث لا تتعمّق في عمق الإنسان...

❊ أليست الفتوى هي لمواكبة الاجتهاد والأمور الطارئة؟

– هي نتيجة الاجتهاد من أجل إصلاح الواقع.

❊ لهذا كان سؤالي، فما هي آلية الإصلاح لواقعنا، ولاسيّما أنّ الأرقام عندنا مخيفة بالنسبة إلى مسألة الأمن الغذائي مثلاً، والأُميّة، وقيمة المواد الاستهلاكية المستوردة؟

– إنّ المشكلة في الواقع الإسلامي لا تنطلق من بُعد واحد، ولكن لها أبعاداً متعدِّدة، بحيث إنّنا إذا أصلحنا جانباً، فإنّ هناك جوانبَ أخرى كثيرة قد تعطّل هذا الإصلاح.

❊ هناك حادثة لطالما أردِّدها لما فيها من قيمة حضارية تدهشني، إذ إنّه ومنذ سنوات عدّة، أصدرت الحكومة اليابانية مرسوماً قضى بأن يعتمد كلّ مواطن ياباني إلى الاستفادة من «بلكونة» منزله ليزرع فيها نوعاً معيّناً من الخضار، وذلك لأسباب عدّة كما ذكر المرسوم، منها حماية البيئة، التخفيف من استيراد المواد الغذائية (الخضار)، من أجل تخفيض الأعباء المالية المترتّبة على الاستيراد، وثالثاً من أجل ممارسة نوع من أنواع الرياضة. وقد التزم المواطن الياباني بذلك، وأثمر التزامه إيجابيات عدّة كما قرأنا لاحقاً... أين نحن من ذلك؟

– عندنا نصٌّ دينيّ عن الإمام الصادق يقول فيه: «**إنّ القصد أمر يحبّه الله، وإنّ السرف**

أمرٌ يبغضه الله، حتّى طرحك النواة فإنّها تصلح لشيء، وحتّى صبُّك فضل شرابك». إنّ الإمام يقول إنّه حتّى النواة الموجودة داخل الثمرة أو حبة الزيتون، على الإنسان أن يحاول استثمارها والاستفادة منها من أجل التنمية، وأيضاً عندما يشرب الإنسان الماء، قد يشرب نصف الكأس ويرمي الباقي، وهكذا بالنسبة إلى الأطعمة التي يهدر الكثير منها، وهذا يعتبر إسرافاً، والإسراف محرّم في الإسلام.

*** يعني الموضوع تربوي، إنساني في شخصيّة هذا الإنسان المسلم؟**

- نعم، هو بهذا المعنى يمكن أن يجعل الإنسان المسلم ألاّ يصرف أيّ طاقة إلاّ في حاجاته.

*** ولكن هل المسلمون يطبّقون مبادئ الإسلام؟**

- نحن نقول، إنّ المسلمين لم يفهموا الإسلام، ولم يعيشوا آفاقه، وإن تخلّفهم الحضاري والثقافي انعكس على مسألة فهمهم له، ولذلك جمّدوه. وهنا لا أتحدّث عن الناس العاديين، ولكن عن الذين يعطون أنفسهم صفة العلماء والموجّهين للإسلام.

*** انطلاقاً من واقع الحكّام الذين نصَّبوا أنفسهم حرّاساً للتخلّف والقمع، نلاحظ أنّكم تركّزون دائماً في خطبكم وأحاديثكم على مسألة النهي عن عبادة الأشخاص، ولكن هذا ما نعيشه من مأساة في واقعنا العربي، مهما كان لون الحكم، ثورياً أو رجعياً. سؤالي: كيف السبيل إلى الخروج من هذه العقلية؟ ولماذا نحن نعبد الأفراد؟**

- السبيل هو في توعية الناس بأنْ لا يقدّسوا إلاّ الله، وأن نؤسّس لثقافة لا تعطي الإنسان الهالة التي يستطيع من خلالها أن يسيطر على عقول الناس وعلى حياتهم. وأنا أعتبر أنّ الإنسان قادر على أن يتحدّى أيّ شخصية، وأن ينقدها، وأن يقف في مواجهتها في هذا المجال. إنّ الإسلام لم يجعل لا للخليفة ولا لأيّ حاكم السيطرة المطلقة على الناس، بل جعل من مسؤولية الناس أن تنقده وأن تسقطه.

*** أيّ مجتمع في هذا العالم يعجبكم، أو يلفت انتباهكم؟**

- «ما عندي». ولكن أنا أقدِّر المجتمعات الغربية.

❊ إنّها شجاعة رائعة منكم أن تقولوا هذا الرأي؟

– أنا أقدِّر المجتمعات الغربية لأنّها مجتمعات تحمل عمقاً إسلامياً في أنّ الأشخاص الكبار في الدرجات العليا، لا يملكون المناعة من أن ينتقدهم الناس، ويمكن لأصغر شخص في أميركا وفي أوروبا أن يقف أمام رئيس الولايات المتحدة ويقول له أنتَ أخطأت، أو أنْ يدَّعي عليه ليجلبه إلى المحكمة مثلاً.

عندنا في تراثنا حديث في بعض الكتب يقول: «**إنّما أهلك من كان قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وأيم الله، لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**».

❊ كيف يمكن لنا أن نستحضر اللمحات المضيئة في تراثنا؟

– الإمام علي قال لأحد ولاته: «**والله لو أنّ الحسن والحسين فعلا كما فعلت لما كان لهما عندي هوادة**». أعود وأقول إنّ علينا أن نبيِّن كلّ شيء، ولكن كبار القوم، حتّى من العلماء، يسيرون على مبدأ: كيف تنتقد؟ كيف تحاسب؟ كيف ترتفع فوق عن الحاجب... إلى ما هنالك.

❊ للسنة الرابعة على التوالي، تحتلّ بلاد النروج المرتبة الأولى بين دول العالم في الدول الأكثر نموّاً ورفاهيّةً وهي ليست دولة إسلامية، ما هو موقف الإسلام من مسألة رفاهيّة الفرد؟

– إنّ المسؤولين في هذه الدول يشعرون من خلال رقابة الشعب عليهم، أنّ الشعب قادر على أن يسقطهم، لذلك يعملون على أن يكون موقعهم في خدمة الشعب، وهم يشعرون أنّهم يكبرون وينجحون من خلال ذلك، ولذلك، فإنّ الشعوب في الغرب تُسقط حكّامها، وتُسقط أحزابها.

❊ هل المجتمع العربي ـ الإسلامي يحمل بذور وأد الحريّة منذ بداياته؟

– نحن نتربّى في البيت على أساس أن لا يكون لأفراد البيت حريّة أمام الأهل، ونتربّى في المجتمعات العشائرية، أن لا يكون لأفراد العشيرة حريّة إلاّ لزعيم العشيرة.

مدخل الإصلاح

7 ـ 11 ـ 2005

*** تكادون تكونون من القلائل ممّن يواكب إصدار فتاوى فقهية تتعلّق بالتطورات العلمية. لقد شهدت السنوات الأخيرة انقلاباً في تطوّر الحياة البشرية، وقد واكبتم هذه الأمور من منطلق ديني وشرعي. في المقابل، هناك تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي صدر في العام 2004، وأحدث ضجّة كبرى شرح فيه الواقع العربي وأسماه بدولة الثقب الأسود، كما ركّز على نقاط أساسية في حياتنا، منها إرجاع الدين إلى موقعه السليم، وأيضاً تحفيز باب الاجتهاد، وهذا ما تنادون به. هل ندخل من هنا إلى الإصلاح؟**

- إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الذي يمثّل الحقيقة الإسلامية، والذي يريد للناس أن يتحرّكوا من أجل إنتاج كلّ الخطوط التي تنفتح عليه، فعندما نقرأ فيه مثلاً سورة نزلت على النبي: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:1 إلى 5]. فمعنى ذلك أنّ العلم في المفهوم الإسلامي هو هبة إلٰهية، بحيث إنّ الله يتدخّل في أن يعطيَ الإنسان هذا الأفق الذي يستطيع من خلاله أن ينفتح على كلّ خطوط العلم، وهذا أيضاً يتحرّك في اتجاه الدعوة للإنسان لكي يأخذ بأسباب العلم، وإلاّ كيف يمكن أن يقرأ كلّ النتاج الثقافي الذي كتبه المفكّرون والمثقّفون والفلاسفة في العالم، هذا الذي كتب بالقلم.

ثمّ عندما ندرس بعض المفردات في الآيات القرآنية، نجد أنّ الله يقول: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:53]. هنا يدعو الإنسان إلى أن يقوم بجولة حول كلّ الآفاق الكونية من أجل أن يكتشف أسرارها التي تغني تجربته، وتفتح له الكثير من أسرار المعرفة، وتقوده من خلال هذه الخبرة العلمية الناشئة، ومن خلال هذه الجولة العلمية الواسعة في آفاق الكون، ليعرف الله من خلال ذلك، من أجل الإيحاء للإنسان بأنّ قضية الإيمان تنطلق من خلال العلم، وأنّها لا تنطلق من خلال الحالات النفسية التي يمكن أن يعيشها الإنسان، تماماً كما هي بعض المقولات في بعض الأديان التي يعتقد

أصحابها أنّ الإيمان فوق العقل.

فالإسلام يؤكّد أنّ العقل في إنتاجه العلمي، هو الذي يؤكّد الإيمان من خلال دراسة النظام الكوني، ثم يدعو الإنسان إلى أن يتجوّل داخل نفسه، ليستكشف كلّ الأجهزة التي تمثّل حركة الحياة في وجوده، حتّى يعرف الإنسان كيف يستخدم هذه الأجهزة استخداماً يرتفع به في المجال الروحيّ وفي المجال العقلي وفي المجال الواقعي الذي يغني للإنسان حركته.

ونقرأ أيضاً: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً**﴾ [آل عمران:191]، ثمّ بعد ذلك نجد القرآن يؤكّد للإنسان أن يبقى في خطٍّ تصاعديّ إلى أبعد مدى في مسألة الأخذ بأسباب العلم ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه:114]. إنّه يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى في انفتاحاته الروحية، ليدفعه إلى أن يزداد في العلم، كإيحاء بأنّ مجالات العلم لا تقف عند حدّ، وأنّ على الإنسان أن يتابع ارتفاعه في خطٍّ تصاعديّ حتّى يصل إلى أعلى الدرجات في العلم، في كلّ مجالاته، من دون أن يتحدّد في دائرة ضيّقة، كما يفسّر بعضهم في أنّه يقتصر على علوم الشريعة. إنّه في كلّ مجالات العلم، ليكتشف الإنسان نفسه وطاقاته والنظام الكوني، وكلّ مفردات الواقع وخطوطه في هذا المجال، وكلّ ما يهيّئه العلم على مستوى التأمّل أو على مستوى التجربة.

وعلى ضوء هذا، نعرف أنّ مسألة الدين، مسألة الإسلام، هي مسألة عقل ينتج العلم، ومسألة علم يخطّط للواقع وينظّمه ويغني إنسانية الإنسان، ويصنع من الواقع الكوني كوناً جديداً، من خلال النفاذ إلى كلّ عناصر هذا الكون، في ما يمكن للإنسان أن يصنعه وينظّمه ويستخدمه في كلّ مواقع التطوّر على مستوى حاجات الإنسان وتطلّعاته.

*** ولكن للوصول إلى كلّ هذا العلم، نحن بحاجة إلى كلّ هذا الإصلاح الديني أولاً؟**

– إنّ دور الدين هو أنّه يتحرّك في مواقع العلم ليدخل القيمة في هذه المواقع، باعتبار أنّ العلم هو خير كلّه في ما يكشفه من أسرار الكون، ومن أسرار الإنسان، لأنّ النفاذ إلى داخل أسرار الكون والإنسان، هو أمر يمثّل معنى إيجابياً في الحياة، ولكنّ استخدام هذه الأسرار وهذه العناصر التي يكشف عنها العلم، فإنّه يحتاج إلى القيمة. فمثلاً، عندما ندرس مسألة اكتشاف العنصر النووي في كلّ الخطوط التي تمثّل هذه الطاقة النووية، لا نجد فيها شرّاً

في ذاتها، فهي استطاعت أن تكشف لنا طاقة لم نكن نعرفها في هذا المقام، ولكنّ استخدام الطاقة يحتاج إلى القيمة، فعلينا أن نستخدم هذه الطاقة فيما يغني حياة الإنسان، بدلاً من أن نستخدمها في ما يدمِّر حياته. إنّ السلاح الذي يستخدمه الإنسان يمكن أن يستخدمه في سبيل الخير، ويمكن أن يستخدمه في سبيل الشرّ أيضاً. وهكذا نجد أنّ الإنسان عندما يملك السكين، فإنّه يستخدمها في حاجاته، ولكن قد يستخدمها في قتل الناس الآخرين. لذلك نقول إنّ العلم بحاجة إلى أن يختزن في داخله القيمة الروحية والأخلاقية والحياتية والإنسانية، حتّى يمكن أن يكون عنصر ارتفاع للحياة وتطوير لها، بدلاً من أن يتحوّل إلى عنصر دمار وانحطاط لها.

*** هل ينظر الإسلام إلى العلم كنتيجة تراكميّة؟**

– ليس للعلم انتماء بلحاظ المصدر الذي تنطلق منه نتاجات العلم، نحن مثلاً عندما نقرأ الحديث الشريف: «**اطلبوا العلم ولو في الصين**»، فإنّ الصين لم تكن في ذاك الوقت تملك انتماءً إسلامياً أو دينياً. ولذلك، فإنّ مسألة العلم هي أنّه نتاج العقل الإنساني، وليس هناك فرق في أن يصدر العلم من مسلم أو من غير مسلم. العلم لا دين له، بمعنى اكتشافه للأسرار، ولذلك كنّا نقول إنّ المؤمن وغير المؤمن يجلسان أمام المختبر وينتهيان إلى نتيجة واحدة في تحليل الظاهرة وتفسيرها، ولكنَّ الفرق بينهما، أنّ المؤمن يُرجع هذه الظاهرة إلى خالقها، إلى الله سبحانه، أما غير المؤمن، فلا يتجاوز ذلك إلى الحالة التي خلقت هذه الظاهرة.

*** ما هي فتاواكم الشرعية في مسألة الطاقة النووية، في مسألتي إنتاجها واستخدامها؟**

– نحن عندما ندرس المسألة، علينا أن ندرسها في جانبها الوجودي، إذا صحّ التعبير. في المبدأ، نحن نرفض إنسانياً ودينياً إنتاج أيّ سلاح لا دور له إلاّ تدمير الإنسان، كالسلاح النووي الذي ليس له أيّ دور سوى إبادة البشرية وإعطاء المستكبرين الفرصة من أجل السيطرة على المستضعفين، كما حدث في استخدام أميركا للسلاح النووي في هيروشيما وناكازاكي، وهكذا المسألة بالنسبة إلى الأسلحة الجرثومية والكيميائية التي لا دور لها إلاّ الإضرار بالبشرية.

أمّا إذا انتقلنا إلى واقع آخر، فإنّه عندما يملك الآخرون السلاح النووي، ويعملون على تهديدنا كمسلمين ومستضعفين بهذا السلاح، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويعملون

على أن لا تمتلك الشعوب المستضعفة أيّة قوّة، لكي تبقى القوّة المهيمنة والمسيطرة على العالم من دون أن يواجهها أي شعب من الشعوب بمثل هذا السلاح، عندما تكون المسألة بهذا المستوى، فإنّنا قد نجد أنّ هناك شرعية لإنتاج هذا السلاح، لا لنستخدمه في تدمير الآخرين، ولكن لنوازن مركز القوّة، وهذا ما نستوحيه من قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال:60]. والمقصود هو أن تحاولوا أن تحصلوا على القوّة التي تستطيعون من خلالها أن تحقّقوا توازن الرعب، بحيث يمتنع الآخرون عن العدوان عليكم، عندما يرون ما تملكونه من مواقع القوّة. في هذا المجال، لا مانع من ذلك، ولكن شرط ألاّ نستخدمه إلاّ في الدفاع عن النفس.

*** أينطبق ذلك على أسلحة الدمار الشامل؟**

- ليس هناك فرق بين سلاح وسلاح، فإذا كان هناك من يعمل على تدمير الإنسان، وعلى خنق حريّاته والسيطرة عليه بمثل هذه الأسلحة، فإنّ علينا أن نملكها. أمّا في غير هذه الحالة، فإنّنا ندعو إلى أن نستخدم هذه الطاقة في الأغراض السلمية التي تبني للبشرية كيانها وتطوّرها وتقدُّمها.

نحن نعرف أنّ هؤلاء الذين يملكون سلاح الدمار الشامل، يستنزفون الطاقة الاقتصادية لشعوبهم من أجل إنتاج هذه الأسلحة، بل إنّهم في سيطرتهم على اقتصاد الشعوب المستضعفة، يستخدمون هذا الاقتصاد الذي يسرقونه أو يدمّرونه من أجل صنع هذه الأسلحة، ولو أنّهم لم يصنعوها، واستعملوا ذلك في ما يبني الحضارة والحياة، لما احتجنا إلى كلّ ما يتحرّك به العالم من صراع المستضعفين والمستكبرين. إنّنا نلاحظ أنّ الدول الكبرى التي تتحدّث بسلبية مفرطة عن أسلحة الدمار الشامل، لا توافق على أن تدمّر تلك التي تملكها، وهذا ما لاحظناه في المباحثات بين أميركا والاتحاد السوفياتي سابقاً، ثمَّ مع روسيا لاحقاً، إذا بقي لكلٍّ ترسانته من الأسلحة النووية.

*** في تقرير التنمية الإنسانية العالمي للعام 2005، والصادر عن الأمم المتحدة، يقول «إنّ أغنى خمسمائة شخص في العالم يملكون ثروة تفوق ما يملكه 416 مليون إنسان». أيّ شعور ينتابك مولانا عندما تسمع هذا الكلام، وأنتم من يتحدّث عن احترام إنسانية الإنسان؟**

- هناك كلمة للإمام عليّ (ع) يقول فيها: «**ما جاع فقير إلاّ بما مُتّعَ به غني**»، وحتّى إنّه قال:

«**كاد الفقر أن يكون كفراً**»، «**وإذا دخل الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك**». فمن الطبيعي أنّه عندما ندرس الوسائل التي تنمِّي الثروة عند هؤلاء من أصحاب الشركات الهائلة، كشركات البترول والسلاح، وتلك التي تستنزف طاقة الشعوب وتصادر ثرواتها، أو الذين يستخدمون الوسائل الاحتكارية الخبيثة في إفقار الشعوب الأخرى، عندما ندرس كلّ ذلك، نعرف أنّهم يمثّلون المشكلة للإنسانية كلّها في هذا المجال. وإذا كان هؤلاء يملكون الثروة التي تساوي حاجات الملايين من الفقراء في العالم، فإنّنا نجد هناك أثرياء من الدرجة الثانية أو الرابعة قد يملكون حاجات العالم كلّه، لأنّ هؤلاء إذا كانوا يملكون المليارات، فهناك من يملك الملايين.

21 ـ 11 ـ 2005

*** ما يلفتني في خطاباتكم وكلامكم، ما يتعلّق بموضوع الإنسان واحترام إنسانيّة الإنسان، وأحبُّ أن يكون هذا محور كلامنا في حلقة اليوم. قلتم إنّ الخرافة بدأت تزحف إلى عالمنا، ودعوات المسلمين للقيام بدورهم والثورة على هذه الخرافة، وفي مكان آخر «أنّك دعوت الإنسان العربي والمسلم ليكون حُرّ الفكر». فمن أين يستمدُّ الإنسان حريّة الفكر في غياب كلّ أسباب الحرية؟ وكيف يوجد الفكر إذا كان الأحرار في علاقتهم بأنفسهم كأحرار يتناقصون عدداً بسبب الاضطهاد أو الحاجات؟ وكيف يمكن أن تكون هذه الثورة؟ وكيف سيتم بناء هذا الإنسان؟**

– عندما ندرس الإنسان في دائرته الذاتيّة، من خلال عناصر شخصيته، نجد أنّ الإنسان هو حالة عقل، باعتبار أنّ الله خلق للإنسان هذه الطاقة الجوهرية التي تدفعه إلى التأمّل والتفكير، سواءً في قضاياه الخاصة عندما يحاول تحريكها في حياته، أو من خلال طبيعة وجوده التي تدفعه إلى التساؤل: من أين؟ وإلى أين؟ وهذا التساؤل الذي تدفع إليه فطرة الإنسان، هو عبارة عن الحالة الخفيّة التي تثير التساؤلات لديه عند كلّ شيء يراه أو يسمعه أو يعيش تجربته أو يتأمّله.

لهذا نقول إنّ الإنسان هو عقلٌ، والعقل ليس مجرّد حالة كامنة في الدماغ، بل هو عبارة عن كلّ المنطقة الداخلية. وبذلك لا نستطيع أن نقول إنّ هناك عقلاً وعاطفة، لأنّ العاطفة،

وحسب عناصرها، تدخل في حركة العقل عندما ينفتح على الآخر أو ينفتح حتّى على الغريزة أو الحياة من حوله في هذا المقام. ولهذا نعبّر بالقول إنّ العقل هو منطقة الوعي الداخلي الذي تشارك فيه الكثير من العناصر المرتبطة بالحسّ، والمرتبطة بالواقع. ونحن نلاحظ أنّ العقل ليس مجرّد حالة تجريدية مطلقة، بل إنّه يتموّن بالحواس الخمس؛ بالمرئيات والمسموعات والمشمومات والملموسات والمذوقات، وهي تموِّن العقل بالمفردات التي ينطلق منها تفكيره، وهناك منطقة في عالم التجريد، وهي تكمن في داخل الدماغ الإنساني، وهي حالة التأمّل.

وعندما نتحدّث عن التجربة، فهي تنطلق من كلّ هذه العناصر، والتجربة لا يمكن أن تتحرّك في إعطاء أيّة نتيجة إلاّ من خلال العقل الذي يحاول أن يجمع كلّ ما تحتويه التجربة، ثمّ يعطيها الامتداد، لأنّها محدودة في نطاق معيّن، ولكن حين يدرس أنّ هذا النطاق يلتقي مع المواقع الأخرى، فإنّه يعطي التجربة حالة شمولية، وهذا ما يُعبِّر عنه الفلاسفة بأنّ «حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد».

نقول إنّ الإنسان حالة عقل، فهذه الحالة قد تتحرّك وتنتج وتبدع حتّى داخل الزنزانة، لأنّ المسألة ليست حركة ماديّة تطلق للعقل مجاله، فربّما يكون الإنسان في الزنزانة، لكنّه يملك الفكر الحرّ والكثير من العناصر التي اختزنها في داخله من خلال تجاربه الحياتيّة أو الكليّة في هذا المجال. فلذلك من الممكن جدّاً للإنسان أن يعقّل الكون من حوله دون أن تكون له حريّة الحركة. فجانب الحريّة بالنسبة إلى العقل هو جانب حركة العقل في الواقع عندما يكون الإنسان حرّاً، سواء في الحريّة المادية التي تجعله قادراً على أن يقوم بأكثر من جولة في الواقع، أو أكثر من تجربة مع الإنسان الآخر، أو فيما ينتجه من فكر أو يعترض عليه من موقف غيره.

فمن الطبيعي أنّ الحرية تجعل حركيّة العقل أكثر فاعلية وأكثر إنتاجاً وإبداعاً في هذا المجال، وهو ما يُبقي الإنسان قادراً على أن يعيش ويخلق لنفسه عالماً من خلال ما يختزنه من عناصر الوعي الداخلي، وذلك من خلال ذكرياته وتجاربه السابقة، وهذا ما نلاحظه من أنّ الكثيرين من المبدعين استطاعوا أن يصنعوا الكثير من حالات الإبداع وهم في داخل السجون وداخل المواقع المحدّدة التي تحجزهم عن الواقع، ما يعني أنّ العقل يملك حريّته

وحريّة حركته في داخله، ولا يستطيع أحدٌ أن يقيِّد حريّته. ولذلك كنّا نقول، وإنْ كان غريباً في بعض أوساطنا ما نقول: إنّ الله لم يحدِّد حريّة العقل، ولم يجعل أمامه أيّة حواجز، بل ترك له حريّة التفكير في أيّ شخص، أو في الله، أو في الكون... أن يفكّر في كلّ ما يحيط به ويقدَّم إليه... إنّ الله قال له خُذ حريّتك في كلّ ما تفكّر فيه، ولكن تحمّل مسؤولية حركة هذه الحريّة.

لهذا، لن يستطيع أحدٌ أن يقيّد العقل، ولكنّ البعض قد يستطيع تقييد حركيّته في بعض المواقع التي يحتاج الإنسان فيها إلى أن يرى ويسمع ويعيش التجربة بطريقة وبأخرى، ويدخل في عقله مع عقل الآخر عندما ينطلق الحوار بينهما.

الخرافة

*** وعن موضوع الخرافة؟**

– وعلى ضوء هذا، فإنّ المسألة في زحف الخرافة إلى الفكر الإنساني، تنطلق من بعض الأوضاع المحيطة بالإنسان، والتي تعطّل على العقل حركته، وذلك كالبيئة المتخلّفة التي تعشعش فيها الخرافة، والتي تحاول أن تُهيِّئ المُناخ لها بإعطائها بعض حالات التقديس التي تمنع الآخرين من أن يناقشوها، وبذلك تمنع العقل من أن يقتحمها ومن أن يصادرها ويبيّن زيفها. ولذلك، فإنّنا نجد أنّ الخرافة تنتشر في مجتمع اللاعقل، وهو الذي يرفض للإنسان أن يفكّر، وللمجتمع أن يعيش حوار العقل مع العقل، أو أن يناقش، باعتبار أنّ هذه الأمور قد تتحوّل فيها الخرافة إلى مقدس، ما يجعلها هي الحقيقة، ويجعل الحقيقة هي الخرافة.

*** من هنا كانت دعوتك المسلمين إلى ما يشبه الثورة على زحف هذه المفاهيم الخرافية المتخلّفة، وهذا الاستسلام لمنع العقل من أخذ دوره الريادي؟**

– إنّنا نلاحظ أنّ الإسلام جعل نوعاً من الجدليَّة بين العقل والعلم، ولذا أراد للعلم أن يُموِّن العقل، كما أراد للعقل أن ينتج العلم، من خلال بعض المفردات التي تتحرّك في داخله. لذلك فإنّ المسألة هي أنّ زحف الخرافة إلى المجتمعات ينطلق من فقدان هذا المجتمع العلم الذي يبيّن أسرار الكون وأسرار الإنسان، ويدفع إلى استنطاق التجارب الإنسانية.

ولهذا فإنّ الخرافة تنمو في المُناخات التي يسيطر عليها التخلّف، هذا التخلّف الذي قد يحمل الكثير من أساطير الماضي، ومن دخول العناصر المتخلّفة في الدين، بحيث إنّهم يحاولون الاستفادة من العنصر الغيبيّ في الدين، ليشحنوا هذا العنصر الغيبيّ بكلّ ما لديهم من الأساطير، مستغلّين عدم مواجهة هذه الأفكار بشكل حسيّ، لأنّ عالم الغيب هو عالم اللامكان وعالم الاستحالة وعالم اللاحِسّ، ما يجعل هناك تفكيراً بإبعاد الإنسان عن فهم القوانين التي تحكم إنسانية الإنسان وحركته ومسيرته، كما تحكم العالم كلّه، وهذا ما يتصوّره البعض في كلّ مناحي التفسير الديني للحياة وللواقع وللتاريخ.

وقد قرأت قبل مدّة طويلة لبعض الباحثين العرب، وهو د. قسطنطين زريق في كتابه «نحنُ والتاريخ»، في تفسيره للتفسير الديني للتاريخ، يقول: إنّ التفسير الديني يختصر التفسير للتاريخ بأنّ كلّ شيء من الله. حيث يعزل الدين عن قانون السببيّة الذي يعني أنّ لكلّ شيء سبباً وأنّ للحياة قوانين وأسراراً. وقد كتبتُ في ذلك الوقت ردّاً عليه، وسلّمته إياه قبل وفاته، وقلت إنّ القضية ليست كذلك، فنحن نؤمن بقانون السببيّة، فالله يقول: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:49]، ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ [الطلاق:3]، ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد:11]، ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [الروم:41]. فالدين تفكير يفسِّر الواقع من خلال طبيعة الأسس التي يرتكز عليها هذا الواقع، سواء واقع النظام الكوني، أو الواقع الإنساني. أمّا الغيب، فندرسه باعتقادنا بالله الذي خلق الأسباب، وهو الذي قدّر القوانين. لذلك فالعقيدة بالله لا تمنع من تفسير الكون تفسيراً مادّياً، باعتبار ربط المسبّب بالسّبب، وتفسير المسيرة الإنسانية تفسيراً واقعياً من خلال طبيعة حركيّة الإنسان المعاصر التي تحكم الإنسان في تفكيره وكلّ حركته.

*** أحد أسباب تغلغل الخرافة في مجتمعاتنا نابع من عدم وجود ضوابط لفهم الدين، ولا وجود تحقيق في هذه الأمور، ولا وجود نظم معيّنة ليقال هذا خرافة وهذا غير ذلك؟**

– لا أعتقد أنّ المسألة بهذا المستوى، لأنّ الخرافة تدخل من خلال بعض العناوين. فالدين واضح، لكنّها تستغل بعض العناوين، مثل مسألة الغيب. فنحن الآن نجد أنّ كثيراً من الأشياء، كالنصر والهزيمة، والتقدّم والتخلّف، تفسّر تفسيراً غيبيّاً، بأنّ الله هو الذي هزمنا وهو نصرنا، من دون دراسة العناصر التي جعلها الله أسباباً للنصر والهزيمة، وللتقدّم والتأخّر. وكثير من

الناس يفسّرون بعض الهزائم بأنّها عقاب من الله، وحتّى بعض الظواهر الطبيعية باتت تفسَّر بهذه الصورة، مع أنّها جزء من طبيعة النظام الكوني، تصيب المؤمنين وغيرهم.

إنّ البعض يحاول تفسير الأشياء بالعناصر الخفيّة الكامنة في الخفاء وفي الظلام، وبهذا جاءت قضايا السحر والتنجيم وتفسير الصدمات العصبية للناس، لتفسّر تفسيراً غيبياً من خلال إدخال الناس في المناطق الخفيّة التي لا يعرفها أحدٌ ولكنّه يتصوّرها تصوّراً ضبابياً. ولهذا يلجأ الناس إلى ما يقوم به الخرافيّون المتخلّفون الذين يكتبون في الحبّ والبغضاء.

*** تتكاثر عوامل الخرافة وعالم السحر والتنجيم والقضايا الروحانية، في المجتمعات التي يتكاثر فيها الاضطهاد السياسي والكبت الاجتماعي والأزمات الاقتصادية، وهذه سمة تاريخية في العالم العربي الإسلامي؟**

– هناك مسألة، وهي أنّ الإنسان عندما يعيش الاختناق والاضطهاد والسقوط النفسي والاقتصادي والسياسي، بحيث يشعر بالحصار، فإنّه يحاول أن ينطلق إلى الجوانب الغيبيّة. وهي على قسمين:

1 ـ ما أكّده الخطّ الديني، وهو الرجوع إلى الله، ولكن بالاستعانة بهذه القوّة القاهرة والقادرة والرجوع إليها، لأنّ الله يجعل المخرج حيث لا مخرج، ولكن بشرط أن يهيِّئ الإنسان من نفسه كلّ الوسائل التي توصله إلى النتائج، ثمَّ يطلب من الله أن يهيِّئ له النتائج الإيجابية في ما لا يستطيعه. وهذا هو معنى التوكّل في الإسلام. والتوكّل غير الاتّكال، فالتوكّل هو أن يعمل بكلّ ما لديه من مسائل للوصول إلى المقصد والغاية الإنسانية المرادة، ثمّ يقف المرء أمام المستقبل ليقول لله: يا ربِّ، هذا ما أستطيع فأعنّي على ما لا أستطيع. وعن الصادق (ع): «**المتوكّلون هم الزرّاعون**»، أي إذا أردت نموذجاً للمتوكّل، فانظر إلى الزَّارع كيف يقوم بعمله، وعندما تأتي العواصف، فإنّه يطلب من الله أن يصرفها عنه. هذا هو الجانب الإسلامي الذي يربط بين الواقعية والغيبيّة وبين الجهد الإنساني والجانب الروحاني.

وهناك حالة أخرى، وهي أن يجلس الإنسان في بيته ويركن إلى الدّعاء: «اللهم ارزقني»، أو أن يترك الأسباب التي بين يديه ويدعو بالنصر والغلبة على الآخرين، أو يحاول اللجوء إلى تفسير الظواهر المحيطة فيما يرجع إلى أسباب معيّنة، فيحاول أن يهرب من مناقشة هذه

الأسباب أو دراستها إلى الأمور الخفيّة، ليفسّر جانب العجز بأنّه لوجود أشياء خفيّة غير مرئية، أو ليفسِّر بعض الجوانب الصّحية بالأمور الغيبيّة، وهو ما يفسح المجال للخرافة، وهو الإغفال الإنساني عن الأسباب الطبيعية للظاهرة الكونية والحياتية. إنّها عملية هروب من الواقع.

❊ لأنّ هذا الواقع مليء بالأخطاء سياسيّاً واجتماعيّاً...

– إنّ الإنسان عندما يشعر بعجزه عن مواجهة الأشياء، يحاول الهروب من المواجهة التي قد تكلّفه الكثير، فيرجع إلى الأشياء الخفيّة أو التي تولّد الخرافة، وتجعل الإنسان يشعر بالسقوط أمام الأساطير.

❊ من الواضح أنّ الإسلام تصدّى للخرافة، كما في تصدّي الرسول لظاهرة الكسوف الشمسي حال وفاة ولده إبراهيم؟

– لقد أراد النبيّ إبعاد التصوّر العام للمسلمين، عن أنّ القضايا الكونية الخاضعة لأسباب في النظام الكوني، قد تخضع لموت شخص أو ما إلى ذلك. ولعلّ ذلك لا يزال باقياً في أدبياتنا، فعندما يفقد الناس شخصاً عظيماً، فإنّهم يقارنون ذلك مع ظواهر الطبيعة.

❊ أليس هناك من مسؤولية ملقاة على العلماء، لأنّ اتّساع مفهوم الخرافة يغلب عند الناس، إذ إنّهم يفسِّرون الظواهر كلّها على هذا النحو، وهنا تقع المسؤولية على العلماء في تحقيق التاريخ؟

– المشكلة أنّ بعض العلماء تربّوا على الخرافة، فموقعهم يحوِّل الخرافة إلى حقيقة.

❊ في خطبةٍ لسماحتكم وصفتم الأمة العربية والإسلامية بأنّها أمّة الانفعال والارتجال، لماذا استخدام هذا الوصف؟

– لأنّنا نجد أنَّ تاريخنا هو تاريخ القيادات التي تحاول استخدام عناصر الإثارة لتوجيه الشعب إلى موقع معيّن أو هدفٍ معيّن، فنلاحظ أنَّ الشعب يتحرّك من خلال عناصر الإثارة أكثر ممّا يتحرّك من خلال عناصر العقل. ولهذا تتغلّب عناصر الانفعال على عناصر العقل. ولو فرضنا أنّ إنساناً أراد أن يُثير الناس، فنجد أنّه يستخدم الجانب الغرائزي، الطائفي، العصبيات، العشائرية، من دون أيّة حالة عقلانية تدفع إلى التفكير، حتّى إنّنا نجد أنّ

المثقّفين عندما يتحرّكون سياسياً، فإنّهم لا يحرّكون العناصر الثقافية في الخطاب السياسي والاجتماعي، بل يعملون على استعمال العناصر الانفعالية في هذا المجال.

*** غالباً ما يولِّد النقاش مع رجال الدين قناعة بأنّهم يعتبرون أنّ كلّ ما هو في الدين سليم ولكنّ التطبيق خطأ، في حين يؤدّي النقاش مع رجال السياسة إلى تحميلهم الآخرين المسؤولية. فلماذا هذا التمادي وهذا التنقل عبر التاريخ بين الارتجال والانفعال لدى الإنسان العربي المسلم، فأحياناً يرتفع منسوب التخلّف، وفي ظلّ غياب العقل، ولماذا سِمَة إلغاء الآخر فكريّاً حين يمسك أحدهم بالسلطة؟**

- هناك عدّة عناصر، منها:

1 ـ عنصر الجهل بالدين، إذ قد يكون هناك جماعة علماء ومفتين ومراجع، ولكنّهم فهموا الدين فهماً خاطئاً، وعلى ضوء هذا، فحين ثقّفوا الناس بالدين ثقّفوهم بالجهل. فليست المشكلة مشكلة الدّين، إنّما الخطأ في فهم الدين وفهم قضاياه، وفي الدراسات غير الدقيقة من خلال الابتعاد عن العناوين الكبرى للدين، مثل عنوان العقل والعلم والحوار والانفتاح وكلّ ما ركّز عليه الدين في قضية الوصول إلى الحقيقة.

2 ـ في الجانب الأخلاقي، إذ لا يكفي للإنسان أن يلتزم الدين كما يلتزم أيديولوجيات إصلاحية أو ثورية، بل القضية هي قضية الإنسان في نقاط الضعف التي يعيشها، مثل حبّ السلطة والمال والشهوات، وهو ما ركّز عليه القرآن في بعض مواضعه: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾ [آل عمران:14]، ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف:46]، فقد تحدّث عن الغرائز الإنسانية عندما تنحرف عن مسيرتها الإنسانية إلى اتجاه آخر. فالقضيّة ليست حتّى علمية، بل هي في نقاط الضعف الإنساني، في قول ما ليس يفعل مثلاً، وفي السعي في الأرض بالفساد، وأن يعيش الفاسد العزّة بالإثم.

*** هل النزوع للسيطرة هي من سِمَات الإنسان العربي؟**

- لا أؤمن بالجانب الغرائزي الذي يجعل الإنسان مكوّناً من هذا، فغالباً ما تنشأ هذه الأمور من الظروف التربوية والرواسب التاريخية والطارئة المحيطة بالإنسان. ولهذا فمن الممكن أن يتغيّر الإنسان، لأنّه ليس قالباً جامداً يخضع لوضعٍ حتميٍّ نهائيّ.

❋ من هو هذا الإنسان العربي الذي وصفتموه بالانفعال والارتجال إذاً؟

– هذا، باعتبار أنّ تاريخه هو تاريخ إثارة الانفعال، وهو تاريخ الحروب والهزائم والعصبيّات التي تحدث من هنا وهناك، وهناك جانب الجهل بالأمور التي تركّز في ذهنيّته، كالتربية على الحقد ضدّ الآخر، وإلغائه، ولاسيّما مثلاً التربية التكفيريّة للآخر. وما أصاب العرب في تاريخهم وحاضرهم، أصاب أُمَماً أخرى قبلهم، كالأوروبيين والأميركيين والصينيين، وكذلك ما عاشته المسيحية في حروب الإلغاء والقتال.

❋ عندنا في المجتمعات العربية والإسلامية رمزية القائد، وألوهية هذه الرمزية، فليس لدينا عقلية المؤسسات، والتي تساعد كلّ فرد على أخذ دوره بما يؤدّي إلى البناء والتقدّم؟

– هذه الذاتية التي تحكم الشخص أو الجماعة، والتي تحوّل بعض الأشخاص المميزين إلى مستوى القداسة، وقد يمتدُّ هذا إلى أن يقدّس الإنسان نفسه، عندما يستغرق في عناصر القوّة الموجودة لديه، ويغفل عن عناصر القوّة الموجودة عند الآخرين؛ هذا الواقع التربوي الذي يتحرّك في الأُمّة في قضية تأكيد الأنانية الذاتيّة أو القيادية أو العشائرية أو المرجعية أو الحزبية أو القومية أو الدينية، هو ما يساهم في كثير من الحالات السلبية التي تعيشها الأمّة في هذا المجال. ولذا قلنا إنّ الإسلام ركّز على جانب التربية الأخلاقية والمنهجية الأخلاقية التي يكاد الإنسان يتصوّر أنّها مثالية، وهي ـ حسب الدعاء ـ «**أنْ أُسدّد من عارضني بالنّصح، وأُثيب من حرمني بالبذل، وأُخالِف من اغتابني إلى حسن الذِّكر**»، فالإسلام جعل العناصر الإنسانية لتحويل هذه المثالية إلى واقع حياتي يمارسه الإنسان في واقعه.

❋ هذا الإنسان المحكوم بالعصبية، ومظاهر التخلُّف الاجتماعي والأزمات الاقتصادية والكبت السياسي، كيف يمكن له أن يقوم بالتغيير والثورة وأن يكون حرّاً؟

– الذين يملكون وعي التغيير وإرادة التغيير، عليهم مواجهة هذه المسائل بالحركة. فالتغيير الأخلاقي، وتغيير الإنسان، هو تغيير الواقع المادي. هناك أُناس يملكون هذه المعرفة ولديهم دوافع وطاقات لذلك. فالجانب الأخلاقي ينبغي له أن يتوفّر فيمن يملك عقل التغيير وواقعية التغيير وظروفه. وهذا أمرٌ ليس مثالياً لأنّ هناك الكثير من الناس في مجتمع القلق والانحراف، يمثّلون القيم والمبادئ بكلّ معانيها، فعلينا الانطلاق على قاعدة عدم اليأس.

بناء الإنسان

28 ـ 11 ـ 2005

*** استكمالاً لموضوع بناء الإنسان وتربيته. نلاحظ أنّ سماحتكم تركِّزون دائماً في خطبكم على أهمية بناء الإنسان انطلاقاً من مبدأ احترامكم لإنسانيته. مَن هو الطرف الأقدر والأكثر قدرةً على بناء الإنسان؛ هل هو البيت، أم التعليم، أم التربية، أم الدين؟ مَن الجهة الأقدر على ذلك؟**

– هناك نقطة يجب أن نلحظها، وهي أنّ الإنسان يمثّل وحدة متنوّعة الأبعاد، ولذلك لا يمكن أن نرصده من جانبٍ واحد، ولا يمكن أن نتحدّث عن التعليم والتربية بعيداً عن الجانب الأخلاقي. ولا عن الجانب الأخلاقي بعيداً عن الجانب الغريزي الذي قد يقوى بفعل العناصر المؤثّرة فيه، وعلينا أن نعرف أنّ البيئة قد تخلط الأوضاع بشكل لا يجعل عنصراً من هذه العناصر يمكن أن يؤثّر تأثيراً إيجابياً على مستوى النتائج الإيجابية.

لهذا، فالإنسان مخلوقٌ متحرّك، ربّما يبدأ صباحاً بذهنيّة ومؤثّرات معيّنة، لنجد أنّه قد يتأثر ببعض ما يعرض له في اليوم، إنْ من خلال مؤثّرات الطعام أو الشراب، أو مؤثّرات الغريزة، أو مؤثّرات الجوانب الأخرى، كالقراءات أو الاستهداء بقدوةٍ ما... ولهذا نجد أنّه في التعليم الديني يتوجّه الإنسان ليناجيَ خالقه في الصباح والمساء، فأدعية الصباح توجّه الإنسان ليبدأ هذا الزمن بدايةً ينفتح فيها على كلّ ما يمكن أن يحقّق له النتائج الإيجابية ويبعد عنه النتائج السلبية.

وهكذا ينتقل هذا الاتجاه نفسه إلى زمن المساء، حيث إنّ انفتاح الإنسان على ربّه في حركته اليومية، تجعله يبدأ صباحه بالانفتاح على الله من خلالها، ثم تتكرّر هذه الحالة في المساء، حذراً من أن تكون مجريات ما بين الصباح والمساء قد تركت بعض المؤثّرات السلبيـة عليه بما يحتاج معه إلى إعادة إنتاج للإيجابيات من جديد. فنقرأ في أدعية الإمام علي بن الحسين (ع) في الصباح والمساء: «**اللّهم وهذا يومٌ حادثٌ جديد، وهو علينا شاهدٌ عتيد**»، إنّه يشعر أنّ اليوم يمثِّل عيناً تُحدِّق به وتشهد عليه، «**إن أَحْسَنّا ودّعنا بحمد، وإنْ أسأنا**

فارقنا بذمّ». فالزمن يملك القيمة للإنسان، قيمة أن يمدحه وأن يذمّه.

ثم يبدأ في الدعاء في عملية ابتهال إلى الله أن يتدخّل ليمنحه القوّة والقدرة على الاستقامة: «**اللّهم فارزقنا حُسْن مصاحبته، واعصمنا من سوء مُفارقته بارتكاب جريرة أو اقتراف صغيرةٍ أو كبيرة، وأجزل لنا فيه من الحسنات، وأخلنا فيه من السيّئات، واملأ لنا ما بين طرفيه حمداً وشُكراً وأجراً وذخراً وفضلاً وإحساناً**».

ثم يلتفت في دعائه إلى أنّ الله عيّن له ملائكة يحصون عليه أعماله في كلّ ما يقوم به في يومه: «**اللّهم ويسِّر على الكرام الكاتبين مؤونتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا، ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا**»، إلى أن يقول في المساء كما في الصباح ليبرمج يومه: «**اللّهم وفّقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه، وفي جميع أيامنا، لاستعمال الخير وهجران الشرّ، وشكر النِّعم، واتّباع السّنن، ومجانبة البِدَع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحياطة الإسلام، وانتقاص الباطل وإذلاله، ونصرة الحقّ وإعزازه، وإرشاد الضالّ، ومعاونة الضعيف وإدراك اللهيف**».

إنّنا عندما نقرأ هذه المفردات، نعرف أنّه على الإنسان أن يكون واعياً لنفسه في كلّ ما يتحرّك به ويفكّر فيه، ليكون يومه يوماً يتمتّع بتعميق إنسانيّته واستقامة حركتها في الاتجاه الصحيح، بما يوحي أنّ على الإنسان أن يكون مراقباً لنفسه. ونحن نلاحظ أنّ القرآن الكريم يؤكّد هذه التربية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [الحشر:18]. أن يفكّر الإنسان في ما قدّمه لمستقبله، سواء أكان مستقبلاً في الدنيا أم في الآخرة، وفي الحديث النبوي الشريف: «**حاسِبوا أنفُسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوها قبل أن توزَنوا**»، نحن نعرف أنّ على الإنسان عندما ينفذ إلى داخل نفسه، أن ينفتح على كلّ أبعاد النفس الحسيّة والفكرية، باعتبار أنّ الإنسان يمثّل مخلوقاً يتأثّر بأيّ شيء حتّى بنسمة الهواء التي تمرّ به، ويتأثّر بالطعام الذي يأكله وبالماء الذي يشربه وبالشهوات الداخلية، ويتأثّر باستقراره وبالظروف القاسية التي يحياها. لهذا على الإنسان أن يكون في حالة طوارئ إنسانية، بحيث يبقى مشغولاً بنفسه.

*** ما الذي يمنع أن نعيش هذه الأمور الإنسانية في ظلّ الأوضاع المتخلّفة ونسبة الأُميّة المرتفعة؟ ولماذا ننجح كأفراد ونفشل كمجموعات؟**

– إنّ العناصر الإيجابية والسلبية في عالم المعرفة والممارسة والمناخ يتصادم بعضها مع بعض، وهذا النوع من التصادم هو ما تنطلق فيه القيمة الروحية والأخلاقية لتصطدم

بالمؤثّرات المادية والحاجات الإنسانية المحدودة. هذا النوع من التصادم والإطباق على الإنسان من خلال الظروف القاسية التي تحاصره، والمُناخ السياسي والثقافي والاجتماعي الذي يتنفّسه، هو المسؤول عن سقوط كلّ هذه الآفاق الروحية، فلا تترك تأثيراً على الإنسان إلاّ بنسبة معيّنة.

*** لماذا يغلب منطق العصبيات دائماً في مجتمعاتنا على حساب المصلحة العامة، وأنتم تلاحظون مدى انعكاسها على الواقع؟**

– لأنّ مسألة العصبيات في المجتمع يشربها الطفل مع الحليب، ولأنّها تنطلق من عملية الرواسب التاريخية التي يعيشها مع الأم والأب والبيئة بشكلٍ وبآخر، وهو ما حدّثنا عنه القرآن: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف:23]، إنّ هناك تراث الآباء والأجداد، ونحن نستمرّ في هذا التراث، ولا نريد التجدّد. ونحن لا نريد التنكّر لهؤلاء، لأنّ علاقتنا بهم تدخل في نطاق العاطفة التي قد تدخل في حساب الانفعال المنتج للعصبية.

*** ألهذا اكتفى المسلمون بالأمور العباديّة، وَفْقاً لما ورد على لسانكم، من أمور الحلال والحرام فقط، وغلبت عليهم الثقافة التقليدية المتخلّفة وغيِّبت التربية الحوارية، فأخذنا من الدين الجوانب العباديّة، ولم نستفد من بناء الإنسان؟**

– المشكلة التي واجهت حركة الإسلام في نظري، هي أنّه بعد أن تجاوزت الأوضاع الإسلامية مرحلة الخلفاء الراشدين، والتي دخلت فيها الكثير من العصبيّات والحروب، تحوّلت إلى ما يسمّى بالمُلك العضود، من خلال السيطرة الأمويّة والعباسيّة، والتي منعت المسلمين من مواجهة كلّ هذه الأوضاع التي أبعدت الناس عن حركة القيم في أنفسهم، وجعلتهم يعيشون المسألة الإسلامية في الدائرة العباديّة والفردية التي لا تخاطب القضايا الكبرى، وإنّما تغرق في القضايا الصغيرة، حتّى يشعر السلطان بأنّه في أمان من أيّة ثورة وانتقاد، خصوصاً عندما تعطى الشرعية للسلطان من خلال الذهنيّات التي تشرّع له وضعه، فهناك مَن كان يدعو إلى طاعة وليّ الأمر الظالم الفاسق، ولا يجوّز الثورة عليه، وهو ما ترك تأثيره على المسار الإسلامي.

حتّى إنّ هذه المراحل من الخلافات، أفسدت الجوّ الإسلامي، إضافة إلى الحالات النفسية والمادية التي يعيشها الناس، والقرآن تحدّث عن النفس الأمّارة بالسوء، ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ**

نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ [يوسف:53].

وبالعودة إلى الحديث الأول، فنحن لا نستطيع أن نتحدّث عن مسألة الإصلاح الإنساني على أساس البُعد الواحد، لأنّ هناك عدّة أبعاد في داخل الإنسان وخارجه تتصادم مع بعضها البعض، فيصطدم الروحي منها بالمادي، والغرائزي بالأخلاقي، وتصطدم المصالح الذاتية بالعامة.

❊ إذا كانت أحداث 11 أيلول بمثابة هزّة أصابت المكان الذي جرت فيه، كما أنّ ارتداداتها كانت بمثابة الزلزال، أصاب بالدرجة الأولى العالم العربي والإسلامي. فأيّة هزّة نحتاج نحن لكي نخرج من حالة الدفاع عن النفس ومن حالة التراجع؟

– إنّ 11 أيلول هزّة أصابت عمق العنفوان الأميركي، فأميركا كانت تعتبر نفسها الأقوى في العالم، وكانت تشعر بأن ليس باستطاعة أحد أن يقهرها، لذا فكّرتْ في اتّجاهين: كيف تردُّ العدوان بما تستعيد معه عنفوانها العالمي، ليرجع الأميركي واثقاً بعنفوانها، وبما يجعلها تستعيد ثقة العالم بها، وهو ما دفعها لتثأر، والجانب الآخر هو كيف توظّف الحدث في الامتداد الأميركي للعالم، الذي بدأت تشعر أنّه يربك خطواتها في أكثر من عنوان إسلاميّ. خصوصاً أنّ المعارضة العربية الشعبية للأميركيين، وأوضاع العالم العربي والإسلامي، تعاظمت وشكّلت خطراً على المصالح الأميركية.

ولهذا، فالجهات المسيطرة على أميركا كانت تتحرّك دون حسابات سياسية عقلانية، حتّى على مستوى الرجوع إلى الأمم المتحدة، فاستفادت من هذا الواقع العالمي المتعاطف معها، سواء من خلال أوروبا وروسيا والصين أو من خلال العالم الثالث، فبادرت بالهجوم لاحتلال أفغانستان البلد الذي ينتمي إليه المتّهمون أميركياً بهذا العمل.

❊ ما نوع الهزّة التي نحتاجها للاستفاقة من هذا الواقع؟

– وهكذا أيضاً أرادت الاستفادة من موقع العراق، نتيجة حكم ظالمه الطاغي، فعملت دون تخطيط من الأمم المتحدة لاحتلاله، ولا تزال تعمل على تفادي ما يصيبها من الخدوش والجروح في احتلالها للعراق، والكلام أنّ علينا الانطلاق:

1 ـ من إيماننا بأنّنا أمّة تملك الكثير من عناصر القوّة، وليست الأمّة التي تسقط من أول

ضربة عسكرية أو سياسية، وليست الأمّة التي تسقط أمام أيّة ضربة أخرى، ولكنّها تماماً كما أميركا التي استفاقت من هذه الضربة العسكرية وبدأت تخطّط.

2 ـ علينا الاستفاقة من الضربات العسكرية الاستكبارية لننطلق بالتخطيط، وأن يعود لنا الإحساس كأمّة، وذلك بأن نستجمع في داخل الأمّة العناصر القويّة والفاعلة، حتّى ولو كانت قليلة، لنخطّط لإرباك الخطّة الأميركية، وهو ما يفعله البعض من هذه الأمّة، بقطع النظر عن تقويمنا لذلك، في أفغانستان والعراق. ممّن يعارض الخطّة الأميركية والأنظمة الخاضعة لهذه الخطّة.

3 ـ علينا الخروج من دائرة الانفعال التي تجعل البعض يعيش رغبة الوصول إلى النتائج مباشرة. أن نخطّط كالآخرين لسنوات طويلة، ونفكّر كيف نتخلّص من حرّاس الأميركيين بين الأنظمة التي تحكم البلاد والعباد اضطهاداً وظلماً.

4 ـ أن نبدأ في تربية الأجيال على مفاهيم الحريّة والاستقلال والقِيَم الروحية والإحساس بالمسؤولية التي لا تقتصر على الرموز، وأن نركّز التربية منذ بداية عهد الطفولة عند الأبناء، وأن نزرع هذه القيم على رغم إمكانية عدم نجاحنا فوراً، ولكن فلنبدأ بتربية الأجيال بنسبٍ على القِيَم، حتّى لا تسقط الأمّة أمام الضربات التي يمكن أن تطبّق عليها من خلال الآخرين في ثقافتهم وإعلامهم وعسكرتهم، فالمهمّ أن لا تجمد الأمّة، وإنْ لم نحقّق الطموح في هذا المجال، فعلينا العمل على قاعدة: «**إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً**».

❋ الإحساس بالمسؤولية، بمعنى أن نعرف، ومنذ الطفولة، ما لنا وما علينا؟

– أن نركّز في تربيتنا في المدرسة، ومنذ الروضة، على زرع هذه القِيَم، ربّما لا ننجح مئة بالمئة، ولكن يكفي أن نرى جيلاً تربّى على أساس هذه القِيَم بنسبة 20 إلى 30٪، حتّى لا تسقط الأمّة أمام الضربات القويّة التي يمكن أن يُطبق الآخرون بها عليها، سواء في ثقافتهم أو في إعلامهم أو في عسكرتهم، المهمّ أنّنا إذا لم نستطع أن نحقّق الطموح في هذا المجال، فعلينا أن نعمل على أساس: «**إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً**».

❋ من أبرز البنود التي تتمّ مناقشتها بين وزراء الاقتصاد والتجارة العرب مع القيِّمين على منظمة التجارة العالمية، موضوع يتعلّق بكمية المواد التي يستوردها العالم العربي فيما يأكله،

فهل هذه أيضاً تحتاج إلى تربية عسكرية؟

– المشكلة أنّ الحكم في العالم العربي هو حكمٌ شخصانيّ، لا حكم مؤسسات، وأنّ مَن فيه يفكّرون كيف يضخّمون ثرواتهم وكيف يخطّطون لاقتصاد البلد بما ينمّي اقتصادهم، فإنّنا نجد أنّ أعمال المكننة الزراعية والصناعية وما ينطلقون به خاضعة لِمَا يفكّر به الآخرون. إنّ عالماً يملك ما يملكه العالم العربي من الثروات الطبيعية في أعماق الأرض وسطحها، لا يمكن أن يكون فقيراً يضطر للاقتراض من البنك الدولي أو غيره، ويخضع للكثير من الشروط الثقافية والسياسية والاقتصادية، ولكنّ المشكلة أنّ من يدير العالم العربي هم ضدّ الإنسان العربي، لأنّهم يفكّرون في أنفسهم لا في شعوبهم، فالعالم العربي هو عالم الشخص لا المؤسسة، وأستذكر قول الشاعر:

كالعيسِ في البيداءِ يقتلُها الظَّما والـمـاءُ فـوقَ ظهورِها مَحْمولُ

*** والإنسان العربي يعمل ضدّ نفسه لأنّه خليط تربوي من العصبيات القَبَليّة والشعور بالفوارق الاجتماعية، وهذه لا تساهم في أن نكون مواطنين؟**

– علينا أن نؤنسن الإنسان العربي، أن نعمل لنؤنسنه حيث يشعر بإنسانيته في إنسانية الآخر، وبذلك يبتعد عن هذه الزنازين التي تمثّلها العصبيات، والتي تفصل الإنسان عن الآخر، وهذه مسألة لا تتحقّق بعمق وامتداد إلاّ بالانفتاح على الله، فنحن نقرأ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يُحِبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره له ما يكره لها**»، «**مَن أصبح ولم يهتمَّ بأمور المسلمين فليس بمسلم**»، «**مَن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم**». فقد ربط الإيمان بهذه الحالة الشعورية التي يشارك فيها الإنسان الآخر ويراه نفسه لا مثيله، ليفكّر في الواقع الإسلامي العام كليّاً. وهذه تربية ينبغي التزامها، لأنّها منفتحة على الإنسان كلّه والعالم كلّه.

رسم الأنبياء

23 ـ 1 ـ 2006

*** نشر في الصحف منذ يومين نبأ عن كبار رجال الدين اليهود في أميركا، أنّهم يشتكون من نفور جيل الشباب اليهودي من التديُّن ومن الطقوس العبادية، فذهبوا واستشاروا المسيحيين الإنجيليين كيف قاموا بما يسمّى الثورة من داخل الدين المسيحي حتّى يكون الدين أكثر تطوّراً وأكثر قبولاً عند هؤلاء الشباب، بأن يعرفوا الله، ليس بالضرورة في الكنيس أو الكنيسة، إنّما ممكن أن يعرفوا الله في المقهى وفي المطعم، هل هذا ما نشتكيه في العالم الإسلامي، كما ترون ذلك من خلال موقعكم كمرجع ديني كبير، وهل هذا ما نفتقده، أو أنّ أزماتنا مختلفة؟**

– نحن نلاحظ أمرين: الأمر الأول هو أنّ اليهودية تحوّلت في نظر اليهود، وخصوصاً الأجيال القديمة التقليدية من علماء الدين أو ممّن عاش في أجوائهم، تحوّلت إلى ممارسة عزلتهم عن العالم، فهم يشعرون بأنّهم مميّزون عن ذلك العالم بأنّهم شعب الله المختار. والأمر الثاني، هو أنّ المسألة السياسية التي تتحدّث عن أرض الميعاد، وعن إسرائيل، دخلت في الحساب، أي في حساب التربية العامة، الأمر الذي شغل اليهود عن الله، وبذلك فإنّ الأجيال اليهودية الناشئة لم تعد تجد أيّة أُسس ثقافية وروحية خارج نطاق بعض التقاليد الجامدة، بل إنّها اندمجت في المسألة السياسية التي لا تخلو من العنصرية، لأنّها غرست في نفس اليهودي احتقار الآخرين، ولاسيّما المسلمين، ما جعلهم لا يعيشون المعنى الإنساني المنفتح على الكون كلّه. حتّى إنّنا نلاحظ أنّ انفتاحهم على الناس في أوروبا وفي أميركا هو انفتاح المصلحة وليس الانفتاح الإنساني الذي يتحرّك من خلال القِيَم الإنسانية في الاعتراف بالآخر، أو في تقويم الآخر، أو في العلاقة الحميمة معه. لذلك أنا أتصوّر أنّ اليهوديّة عندما تحوّلت إلى حالة عنصرية ضدّ الآخر، من خلال هذا الاستغراق في الشخصية اليهوديّة التي تتميّز عن العالم كلّه، وعندما اندمجت في المسائل الاقتصادية والمسائل السياسية، ابتعدت عن الله في هذا المجال. ولذلك فإنّني أتصوّر أنّ هذه الجهة الدينية لم تستطع أن تصنع روحانية وإنّما تحرّكت في نطاق خرافي من جهة، ونطاق عنصري عصبي من جهةٍ أخرى، أمّا بالنسبة إلى المسلمين فالقضية تختلف جداً.

إنّني كنت أُلاحظ وأنا أُتابع مسألة المسلمين في العالم، أنّ الخطوط الإسلامية التي ينفتح عليها الإسلام في تربية المسلم من خلال التقاليد العباديّة، أو من خلال بعض الأجواء الروحيّة، تجعل الإسلام يتجدّد في نفوس المسلمين، وينفتح على الجانب الروحيّ حتّى لدى المسلمين الذين يمارسون المعاصي.

نحن، مثلاً، نجد أنّه في الإسلام هناك خمس صلوات، كلّ يوم يعيش المسلم مسألة الأذان اليوميّ الذي يذكّره بالله وبرسول الله، ويدفعه إلى الصلاة وما إلى ذلك، ونجد أيضاً قضيّة تشريع صلاة الجماعة التي يلتقي فيها المسلمون شيوخاً وشباباً، نساءً ورجالاً في كلّ يوم على مستوى الصلوات الخمس، وهكذا عندما ننفتح على صلاة الجمعة التي تتنوّع فيها الجوانب العباديّة والأخلاقية والسياسية أيضاً، حيث يلتقي المسلمون فيها، ولاسيّما الشباب، في نظام جماعيّ منفتح على كلّ ما يقدّمه الخطباء أو يقدّمه المصلّون في المسألة الإسلامية. فإذا اقتربنا من شهر رمضان، نجد أنّ مُناخ شهر رمضان هو المُناخ الذي يصوم فيه الجميع، شباباً وغير شباب، ويقرأون فيه القرآن بشكل مستمرّ ومكثَّف، ويقرأون فيه الأدعية، ويصلّون صلاة التراويح وما أشبهها هنا وهناك، ما يجدّد للإنسان المسلم روحيّته، ويجتذب الشباب والأطفال في هذا المجال. وعندما نصل إلى مسألة الحجّ، نجد أنّ الحجّ يجمع في كلّ سنة المسلمين من سائر أنحاء العالم في مسألة الطواف والسعي وما إلى ذلك من أمور. هذه الخصوصيات الموجودة في الإسلام ليست موجودة لا في المسيحية ولا في اليهودية ولا في البوذية، ولذلك أعتقد أنّ الشباب يدخلون إلى المُناخ الإسلامي في كلّ سنة، بحيث يتجدّد الإسلام بهم، حتّى لو كانوا يمارسون بعض الانحرافات العملية هنا وهناك، ولذلك نحن لا نعاني ما يعانونه.

*** ولكن نحن نرى أنّهم لا يتجدّدون بالأساليب.**

– إنّهم لا يتجدّدون في الأساليب، ولكن حركة التغيير والتوجيه متنوّعة، حتّى في خطب الجمعة، وحتّى الأجواء الروحية لا تخلو من بعض التجديد للذهنية، وبالتالي تجديد الأساليب، وإنْ لم تكن بهذا الحجم الذي يمكن أن يجعل المسألة تنفتح على تطوّر.

*** هذا الغنى الروحي الذي يعيشه الفرد المسلم، والذي يوفّره له الدين الإسلامي، يبدو وكأنّه يقتصر على الجانب الروحي دون التجديد والتطوّر.**

– في تصوري، إنّ التطوّر هو تطوّر ذهني، فنحن نعرف أنّ الشباب المسلم يدرس ويتثقّف ويتحرّك ويبقى له التزامه بطريقة وبأخرى، ولذلك فهو قد يمارس إسلامه والتزامه بطريقة تقليدية، ولكن في كثير من الحالات، ينطلق هذا الشباب المسلم في علامات الاستفهام التي تدور في عقله ومشاعره وأحاسيسه، ليبحث عن حقيقة هنا وحقيقة هناك، قد يخطئ في الانفتاح عليها وقد لا يخطئ. لذلك نحن نقول، عندما نجد أنّ هناك تطوّراً ثقافياً لدى الشباب المسلم، ولاسيّما عندما يعيش التجربة في هذا الانتشار في العالم، سواء في الغرب أو في الشرق، فإنّه يملك بعض التطوّر في وعيه لإسلامه بطريقة وبأخرى، من خلال ما يثيره من علامات استفهام. وهذا هو الذي استطاع أن يجعل الإسلام مستمرّاً خالداً يتجدّد في كلّ مرحلة بعد كلّ هجمة توجَّه إليه، إن من خلال الأجواء السياسية والعسكرية، أو من خلال بعض الأجواء الثقافية. لهذا نحن عندما ندرس مجموع الخطوط الإسلامية بما فيها التقاليد والعادات والطقوس، نجد أنّ الإسلام يملك ما لا يملكه دين آخر.

*** من خلال متابعتكم لما يتعرّض له الإسلام والمسلمون في الغرب، هل تخشون على مستقبل هؤلاء، بين أن يعيشوا حالة الحذر في البيئة التي هم موجودون فيها، وبين طقوس قد لا يمارسونها بشكل مرتاح؟**

– أنا أتصوّر أنّ الحملات التي يثيرها الآخرون ضدّ الإسلام تزيد المسلمين تمسّكاً بإسلامهم، فهذا ما لاحظناه، أنّه عندما نشرت هذه الصور المهينة للرسول (ص) في الدانمارك، ثمّ في النروج أخيراً، أو في بعض الدراسات التي تشوّه صورة الإسلام، خلّفت حالةً من العصبية للمسلمين ضدّ هذه الأساليب وضدّ الواقع.

كما أنّنا نلاحظ الآن بأنّ الإسلام بدأ يجتذب الكثير من الغرب، حتّى أصبحت المشكلة التي تواجه الغربيين الآن، هي أنّ المسلمين، سواء من الجيل الثاني أو الثالث، أصبحوا يمثّلون قوّة عدديّة كبرى في الغرب، حيث إنّ الإحصاءات دلّت على أنّهم يزيدون عن 30 مليون مسلم. ولذلك يقال إنّه من الممكن جدّاً أن يصل المسلمون في أوروبا سنة 2020 أو 2050 إلى نصف الأوروبيين، خصوصاً لجهة التناسل الكثير عند المسلمين، وقلّة التناسل عند الغربيين.

*** هذا الغرب الذي نأخذ منه كلّ ما يكتشف وكلّ ما يبدع، في حين أنّنا في حالة حذر دائم منه. هل ينسب ذلك إلى عقلية التحريم العائدة إلى تربيتنا كأفراد مسلمين؟ وهل يعني ذلك أنّ الإنسان المسلم يتعامل من هذا المنطلق؟**

– قد تتحرّك المسألة لدى بعض الذين يمارسون عملية التنظير للعلاقة مع الآخرين غير المسلمين، من خلال ذهنية التحريم، ولكنّنا نلاحظ أنّ المسلمين انطلقوا إلى الغرب ليتعلّموا فيه، وليستوطنوا فيه، وليعيشوا مع الغربيين ويشاركوهم، ولينفتحوا عليهم في عملية إقناعهم بالإسلام وما إلى ذلك. لهذا فإنّني أتصوّر أنّ قضية المسلمين مع الغرب هي قضية سياسية وأمنية، لم تعد القضية قضية ثقافية كما كانت في السابق، ولذلك فإنّني أتصوّر أنّ المسألة الثقافية التي يواجهها المسلمون الذين يعيشون في الغرب ويأخذون علمه وثقافته، يمكن أن تبدّل الكثير من هذه النظرة. ولذلك نجد أنّ المسلمين تعايشوا مع الغربيين حتّى على مستوى التزاوج وما إلى ذلك.

*** كان ملفتاً في إحدى المقابلات الصحافية، موافقتكم على رسم الأنبياء، واعتبرتم في الحديث أنّ الغرب أبدع برسم السيّد المسيح عليه السلام؟**

– هناك فرق بين الخطوط الشرعيّة في هذه المسألة لدى المسلمين من أهل السنّة، والمسلمين من الشيعة. فالمسلمون من أهل السنّة يرون أنّ تصوير الأنبياء والأولياء يسيء إلى حرمتهم وإلى شخصيّتهم، باعتبار أنّ الصورة كأنّها تعلِّب شخصية النبيّ أو تحدِّدها، وتجعل الناظر إليها يستغرق في هذه الخطوط الصغيرة المحدودة. بينما بالنسبة إلى المسلمين الشيعة المجتهدين، فإنّهم لا يرون حرمة في ذلك، لأنّهم لا يرون نصّاً شرعيّاً يُحرِّم ذلك بشكل مباشر. أمّا قضية هتك حرمة الأنبياء أو الإساءة إلى شخصيّتهم، فهذه مسألة نسبية. لذلك كنت أقول، إنّه إذا استطعنا أن نصوِّر شخصية الأنبياء أو الأولياء، يعني الأئمة عند الشيعة، بصورة مميّزة وفنيّة، بحيث تصوَّر روحانية الشخصية وعناصره الدينية من خلاله، فإنّ ذلك يؤدّي إلى نتائجَ إيجابية في تصوّرنا للأنبياء، ولا يؤدّي إلى صورة سلبية في هذا المجال.

*** هل كنتم أوّل مرجع ديني يفتي بهذا الموضوع؟**

– يمكن بهذا التفسير في قضية تأكيد فنيّة الصور، حيث تعطي العناصر الروحية والقيميّة

والأخلاقية لشخصية النبيّ أو شخصية الولي، ولعلّي لم أقرأ حديثاً أو فتوى في هذا المجال قبل أن ذكرت ذلك.

*** مناخ الرسم والإبداع الفني وإعطاء الجانب الروحي لهذا الرسم، يحتاج إلى مُناخ سقف الحريّة فيه أعلى من الممنوعات والمحرّمات؟**

– قد يكون مُناخاً روحيّاً يعيش فيه الفنان أو الرسّام شخصية هذا الشخص الذي يرسمه.

*** ألم تزر يوماً إيطاليا؟**

– لا، وإنّما زرت ألمانيا وأميركا.

*** أنا مسلمة ومؤمنة، عندما دخلت إلى كاتدرائية القديسين بطرس وبولس في الفاتيكان، لم أتمالك شعوري فبكيت، شيء لا يصدّق، ولقد بكيت من جمال الفن الذي رأيته. هل نخاف رسم التجسيد انطلاقاً من ذهنية التقديس؟**

– هذه مشكلة التقديس المطلق الذي نختزنه في داخلنا من دون وعي ومن دون أيّ طقوس ثقافية، في معنى الرّوح والانفتاح على الشخصيّة المقدّسة وما إلى ذلك، ربّما نلاحظ أنّ هذه القداسة تخلق عندنا ضبابية في تصوّرنا للإنسان المقدّس.

*** الغرب يطرح حالياً علينا إعادة النظر في كلّ برامجنا التعليمية والتربوية في المدارس في العالم العربي والإسلامي، هل ننتظر الغرب ليقوم بهذه المهمة، أم يجب أن نعترف فعلاً أنّه عندنا مشكلة؟**

– نحن علينا أولاً أن نستفيد من الغرب وما وصل إليه من تطوّر ثقافي أو فنّي أو ما إلى ذلك، ونحاول أن نحرّك حاجتنا إلى التغيير وإلى التطوّر من خلال دراسة هذه الخطوط الثقافية الفنية لدى الغرب، وما نحتاجه في برامجنا التربوية وما إلى ذلك. هناك فرق بين أن نقلِّد الآخرين وبين أن نستفيد ممّا وصلوا إليه ونناقشه ونقارِن بينه وبينه ما عندنا.

*** من خلال متابعتكم العمل الذي يثير الإعجاب، في بناء المؤسسات التربوية التي تساهمون فيها، والتي فكرتها الأساسية هي بناء هذا الإنسان المسلم في إطار مؤسسات محترمة، من المؤكّد أنّ لديكم فكرة كم هو ضعيف الجانب التربوي والتعليمي في مؤسساتنا في كلّ**

العالم العربي بشكل أنّه لم يؤدِّ إلى إحداث أيّ تغييرات اجتماعية؟

– نحن من خلال الجمعية(*) التي نرأسها، والمؤسسات التي نشرف عليها، نحاول ملاحقة أحدث البرامج التربوية، لنحاول أن نطبِّقها في تجاربنا التربوية، ولعلّ جمعية المبرّات بمؤسّساتها، استطاعت أن تحصل على جوائز متقدّمة عالمية من خلال مبادرتها قبل أيّ مؤسسة في لبنان للأخذ بأحدث البرامج التربوية.

*** ماذا تقولون عن إحساس الغرب بوجود حالة كراهية من المسلمين تجاههم، ودائماً يعنونونها تحت عنوان: لماذا يكرهوننا؟**

– لماذا يكرهوننا؟ هذه يطلقها الغرب السياسي، وهذا أمرٌ طبيعي جداً، لأنّهم يعتبرون أنّه علينا أن نصفّق لهم. إنّ الكراهية التي نحملها قد تعطّل الكثير من خطواتهم أو أوضاعهم أو من مصالحهم في هذا المقام، وإنّني لا أعتقد أنّ الغرب الثقافي، الغرب العام الإنسان، يحمل هذه الفكرة.

*** إضافةً إلى الكلام عن المناهج التعليمية في العالم العربي؟**

– لكن نحن نسمع شخصاً من هنا وشخصاً من هناك، ولم نسمع من الغرب كلّه. ثم نحن في بعض الحالات لم نقدّم حتّى الآن الصورة المشرقة المتمثّلة بالقيم الإسلامية في مسألة الرّفق بالإنسان، في مسألة الاعتراف بالآخر، وفي مسألة الحوار والانفتاح على الآخر. وهناك لدى الغرب هجمة إعلامية على الإسلام، محاولة اقتناص بعض النصوص التي يمكن أن تفسَّر بطريقة الفكرة التي تشجّع العنف وتشجّع الإرهاب وما إلى ذلك.

*** أكثر ما نحتاجه، عدا مبدأ حاجتنا إلى الحريّة لبناء هذا الإنسان أو هذا الشاب المسلم أو هذه الإنسانة المسلمة، غير مبدأ الحريّة الذي تركّزون عليه سماحتكم وتعتبرون عدم وجوده من أخطر ما نعانيه في العالم العربي والإسلامي، ما الذي نحتاجه لبناء إنسان مسلم يعي خطورة المتغيّرات الحاصلة حوله؟**

– أنا أقول إنّنا ربّما محكومون بأن يرضى الآخرون عنّا، ما يجعلنا نفكّر في أن نكون صدى للآخرين، أو ظِلّاً لهم، حتّى إنّنا نقلِّدهم حتّى في لباسنا، في قضايا الموضة وما إلى ذلك.

(*) جمعيّة المبرّات الخيريّة.

لذلك نحن نقول، علينا أن نندفع إلى الواقع الداخلي عند الإنسان المسلم في هذا المجال، أن ندرس عقله ونقاط التخلّف في عقله، أن ندرس مشاعره وأحاسيسه ونقاط الضعف في مشاعره وأحاسيسه، أن ندرس أسلوبه في حياته مع نفسه ومع عائلته ومع الآخرين، أن ندرس الآفاق التي نحتاجها في تطوير حركة العلم عندنا، حركة العقل عندنا، من خلال أنَّ ثقافتنا تؤكّد مسألة حركة العقل وتطويرها وحركة العلم والانفتاح على كلّ آفاقه وما إلى ذلك؛ أن نستغرق في بناء الداخل، بناء الشخصية الإسلامية من جميع النواحي، من الناحية العقلية، ومن الناحية الروحيّة والشعوريّة.



السيرة الذاتية

الحزن النبيل

17 ـ 4 ـ 2006

❊ أودّ في هذا المحور طرح بعض الأسئلة ذات الجانب الشخصي.

– تفضلي، لا مانع لديَّ من أيّ سؤال.

❊ نلحظ في أدائك الخطابي، وفي ملامح محياك، نوعاً من ملامح الحزن النبيل، هل إنّها تعود إلى جانب تربوي ديني، أم إنّها من طبيعة شخصيّتكم.

– أولاً، أنا عشت طفولتي وكانت طفولةً بائسةً، يعني كانت لا تنفتح على ما ينفتح عليه الطفل في مسألة اللهو واللعب والانفتاح على الحياة، نتيجة الجوّ الخانق الذي كنّا نعيشه ويعيشه كلّ الأطفال في النّجف التي هي بلد تقليدي، فلا يوجد فيها فرص للأطفال، بحيث يعبّرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم وتطلّعاتهم. كما أنّنا كنّا نعيش حالة قاسية من الفقر، وكان ذلك يظهر على ملابسنا وعلى طعامنا وشرابنا وما إلى ذلك.

إلى جانب ذلك، نحن كنّا نعيش في بلد الحزن، فنحن نواجه مثلاً في مواسم عاشوراء حالة البكاء المتنوّع في مجالس العزاء أو في مواكب العزاء، حتّى إنّنا كنّا نعيش حزناً باطنياً من خلال ما نواجهه من مواكب التطبير، وهي ضرب الرؤوس بالسيف وبالسلاسل واللطم العنيف، فكلّ ذلك كان يجعلنا نعيش في جوٍّ حزين يستبطن الألم، هذا إضافةً إلى أنّ النّجف هي مقبرة العراق، لأنّ وادي السلام الذي يمثّل أكبر مقبرة في العالم، وهي المقبرة التي يدفن فيها الشيعة في العراق موتاهم، كما أنّ كثيراً من الشيعة في العالم يوصون بنقل جثامينهم إلى

هذه المقبرة. هذا كلّه انطبع في مشاعري وأحاسيسي، حتّى إنّ الذي يقرأ أشعاري في بدايات الشباب، يجد أنّ فيها الألم والتشاؤم وما إلى ذلك.

*** ربّما يعني ذلك أنّ نوعاً من فلسفة الحزن تطوّرت لديكم مع مرور الزمن؟**

– ثمّ انطلقت المسألة بعد ذلك لتصبح مسألة الحزن الذي يتصل بانفعالاتي ومشاعري تجاه الأوضاع العامة التي يعيشها المسلمون من أوضاعهم السياسية، ولاسيّما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، حيث كانت هذه الأحداث التي تواجهنا في وسائل الإعلام، تغرس في داخل نفوسنا ألماً سياسيّاً، إذا صحّ التعبير، وألماً رسالياً، ولاسيّما أنّني كنت منذ بداية حياتي إسلامياً يفكّر بالإسلام على مستوى العالم. لذلك، فإنّه يعيش في داخل نفسي الكثير من حالات الألم على الواقع الإسلامي في كلّ ما تعيشه البلاد الإسلامية من النّاحية السياسية والثقافية والاقتصادية، ولاسيما أنّنا كنّا نرصد بحزن وألم، واقع التخلّف لدى المسلمين، بما يفسح في المجال للخرافة أن تدخل بشكل مقدّس، وللتخلّف أن يفرض نفسه على مواجهة المفاهيم الإسلامية.

*** هذا يعني أنّ وعيكم، ومنذ الطفولة قد اختزن اللون الأسود؟**

– قد لا يكون لوناً أسود، ولكنّه قد يكون أقرب إلى اللون الرمادي.

*** ما أقصده باللون الأسود هو بالإشارة إلى تلك الجنازات الآتية إلى مقبرة وادي السلام، وتلك العباءة السوداء التي ترتديها نسوة العراق، إلى المُناخ الجغرافي القاسي في النّجف...**

لقد قلت إنّه لا يبعد أن تكون حالة رمادية، لأنّني بين وقتٍ وآخر أحاول أن أجد الأمل في قلب الألم، والتفاؤل في قلب التشاؤم، وهذا ما عبّرت عنه في إحدى قصائدي عندما قلت:

فأنا أخلق وحدي جنّتي وأرى اللّذة في أعماق حزني

يعني ربّما كان الألم فيَّ طفوليّاً في بداياته، وشبابيّاً في امتداده، ولكنّه أصبح رساليّاً بعد أن صرت أواجه المسؤوليات العامة في الحياة.

*** بالرغم من أنّكم كنتم في بلد الحزن، ومجتمع التقاليد الشيعية ذات المنحى البكائي...**

– لقد حاضرت في أوّل الثمانينيات في لندن عن الشخصية البكائية، وتحدّثت عن أنّ الواقع الذي يعيشه الشيعة بشكل عام كأنّه واقع البكاء، حتّى على ما لم يتعارف البكاء عليه،

فهم حتّى عندما يتذكّرون وفاة النبيّ (ص) يبكون، وهكذا عندما يتذكّرون الأشخاص الذين يقدِّسونهم، وإن لم يصابوا بفجيعة أو موت، فإنّهم يبكون، مع أنّ الموت هو سنّة الله في الكون، وهم عندما يفقدون الشخصيّات العلمائية وغيرها، فإنّهم يلطمون على صدورهم ورؤوسهم وما إلى ذلك. وكنت أتحدّث عن الشخصية البكائية التي تحاول أن تجد مناسبات البكاء بغير ما يوحي به البكاء في هذا المجال من الأمور التي تحدث بشكل طبيعي للناس، وهذا ربّما انعكس أكثر ما يكون على العراق، باعتبار الأحداث التي عاشها الناس هناك إلى درجة أنّ العراقي يعيش البكاء حتّى في غنائه. فالغناء العراقي هو غناء بكائي، حتّى إنّ تجويد القرآن في العراق هو تجويد بكائي.

*** رمز الحزن، وهو الموت، نراه في قصيدتكم «نشيد الموت»، إذ نلحظ نوعاً من التدوير لمسألة الموت، وكأنّ مظهر الموت ما هو إلاّ دنيا أخرى سنطل بها على عالم السعادة والكمال...**

- إنّها تمثّل التداعيات التي تهجم على مشاعر الإنسان بشكل فوضوي وبشكل ضاغط في هذا المجال، وقصيدتي «ربي رحماك» تعتبر أنّةً وصرخةً.

*** إلى أي مدى ساعد التلوين الحزين في صوتكم في مجال قراءة الأدعية؟**

- أنا أعتبر أنّ مسألة الصوت نعمة من الله سبحانه وتعالى، ومن الطبيعي أن يحرِّك الإنسان هذا الصوت في المناجاة وفي الدعاء مثلاً، وحتّى إنّني كنت في بعض الحالات أتقمّص شخصية قارئ التعزية. لذلك كانت مسألة الحزن مسألة ربّما يعيشها الإنسان بشكل لا شعوري في أعماقه.

*** يرى البعض أنّ إصراركم على تلاوة الأدعية لا تتناسب وشخصيّتكم المرجعية...**

- عندما نقرأ سيرة الإمام زين العابدين (ع) الذي كان يعيش مع الله في الحالة العاطفية المنفتحة على الله بحزن المحبّة وحزن العبودية والذوبان في الله، فلن تكون المسألة مسألة موقع أو مرجع، لأنّ الإنسان عندما يعيش مع الله، فمن الطبيعي أن يعيش هذا الحزن في محبّته له، الحزن الذي يمتزج بالفرح عندما يعيش الفرح بالله، وهكذا عندما يعيش الإنسان القلق بالنسبة إلى المصير في ما يحرّك فيه مسؤولياته في الدنيا ونتائجها في الآخرة. كما أنّ

مسألة الحزن هي مسألة إنسانية، فالإنسان الذي لا يعيش إنسانيته في مشاعره أمام مظاهر الألم وأمام مظاهر المأساة، فهذا إنسان جامد لا يصلح لا للمرجعية ولا يصلح أن يكون مسؤولاً.

❊ يتعذّب أيضاً جرّاء إنسانيته...

– هو هذا. أنا أعتبر أنّ الألم يمثّل حالة الإبداع الشعوري في نفس الإنسان، وهناك بيت شعر لا أذكر اسم صاحبه يقول:

تــفــرّدت بــالألــم الــعــبــقــريِّ   وأنــبــغ مــا فــي الــحــيــاة الألــم

وهناك بيت آخر للشاعر الياس أبو شبكة يقول:

إجـرح القلب واسـقِ شعرك منه   فـدم الـقـلـب خـمـرة الأقــلام

❊ نلاحظ تأثّركم العميق بشخصيتي الإمامين عليّ وزين العابدين عليهما السلام؟!

– لأنّني مارست هذا الجانب الذي يتفايض فيه الشعور بمحبّة الله وبنقاط الضعف الإنساني وبمحبّة الإنسان في أدعية الإمام عليّ (ع) وخطبه، وفي أدعية الإمام زين العابدين (ع).

❊ مولانا، هل كان أمام منزلكم في النجف بعض الأزهار والورود؟

– لا، ولكن كنّا بين وقتٍ وآخر نخرج إلى خارج النجف، إلى منطقة تسمى الجدول، وهي منطقة يجري فيها نهر فرعي، وتبتعد عن النجف عدّة كيلومترات، وكنّا نقصدها في عطلة يومي الخميس والجمعة مع كثير من إخواننا وأساتذتنا لنمضيَ يوماً كاملاً هناك. وكنّا نخرج أيضاً إلى بلدة الكوفة التي يشقّها نهر الفرات الكبير، وكنّا نتطلّع إلى الأشجار والأزهار على ضفاف النهر، وإلى المياه المتدفّقة، لاسيما في أيام الفيضانات.

❊ في أيّ فترة من سنيّ عمرك بدأت تتلقى تعليمك بشكل نظامي؟

– لعلّه في عمر العاشرة.

❊ وقبل ذلك بماذا كنت تلهو؟ وماذا كنت تفعل؟

– كنت قد دخلت مدرسة أكاديمية لمدّة سنة من الصف الثالث إلى الصف الرابع، وكنت في بداية طفولتي أدرس في الكتاتيب عند شيخ كبير، وكنّا نقرأ عليه القرآن.

❋ هل تستمع إلى الموسيقى؟

– أنا لا أرى أنّ الموسيقى محرّمة شرعاً كما يراها كثير من الفقهاء، وخصوصاً الموسيقى الكلاسيكية، موسيقى الحزن، ولكن لم تتح لي الفرصة لأنّ تكون لديَّ شخصية موسيقية.

❋ أيّ نوع من الموسيقى يستمع أولادك لها؟ هل يخبرونك؟ أم إنّك لا تسألهم؟

– كلا لا أسألهم.

❋ ما هي الحادثة التي أثارت فيكم هذا الشعور بالحزن؟ وفي أي عمر كنتم؟

– أعتقد أنّ الحادثة التي أصابتني وأثارت بي حزناً هي قضية فَقْد الأحبّة، خصوصاً عندما افتقدت أبي وأمي، وقبل ذلك افتقدت عمّي الذي كان في النّجف وتوفي هناك، وكنتُ أجد فيه الأبوة والعاطفة، ما أثّر في نفسي. أمّا الحالة التي صدمتني على مستوى الصدمة، فكانت فقدي لأخي الصغير، الذي كان أصغر منّي عمراً، لكنّه كان حبيباً إليّ، وكان تلميذاً وشاعراً منفتحاً، ولذلك كانت وفاته صدمة عنيفة لي.

❋ وما هو الحدث السياسي الذي أوقع فيكم الصدمة؟

– الحدث السياسي الذي صدمني هو ما كنت أواجهه في العراق من خلال الفوضى التي كانت في العهد الملكي، والتي كان الحكم فيها يقصف الناس بين وقتٍ وآخر، ثمَّ ما حدث من انقلاب عراقي على العهد الملكي في العام 1958، حيث غرق العراق في ذلك الوقت في بحر من الدماء، وانطلقت الصراعات بين قوميين وشيوعيين، ثم ما حصل من مآسٍ في لبنان خلال الحرب الأهلية.

المرشد الروحي لحزب الله

❋ هل كنتم المرشد الروحيّ لحزب الله في لبنان؟

– عندما نتحدّث عن هذه الكلمة من الناحية التنظيمية، فأنا لم أكن جزءاً من تنظيم حزب الله، وأذكر أنّه عندما اجتمع حزب الله في بداياته، قالوا: ما هو موقفك؟ فقلت: أنا لستُ واحداً منكم، ولست جزءاً من التنظيم، ولكن تشاورونني، فما أوافق عليه أعمل به، وما لا أوافق عليه نعرف

كيف نوفّق في مسألة الخلاف. ولكن في الواقع، إنّ كلّ جيل حزب الله تربّى على يدي، لأنّه لم يكن هناك في تلك المرحلة مَن كان يتحدّث وبشكل دائم في مسجد بئر العبد، وقبلها في مسجد النبعة، في كلّ القضايا السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، وكانت كلّ هذه الأجيال تدرس تحت منبري، بحيث إنّ مفاهيمي التي كنتُ ألقيها استطاعت أن تترك تأثيرات كبيرة في ذهنية هذا الجيل الذي سار معي وسرت معه بطريقة الإرشاد، ولكن من دون أيّ إطار في هذا المجال. وعندما حدثت مسألة 17 أيار(*)، كنتُ مع الشباب في الاحتجاج عليه.

❋ تقصد بالشباب شباب حزب الله؟

– لم يكن حزب الله يومها، ولكن هذا الجيل الشاب بشكل عام. وهكذا كنت أتابع القضايا، ولهذا شعر الأميركيون والإسرائيليون وبعض الفئات التي كانت تسمّى بالانعزالية في لبنان، بخطورة ما نمثّله على الواقع، حتّى إنّ وليام كايسي(**) في مذكراته، تحدّث مع بعض الشخصيات العربية بأنّ فضل الله قد أصبح مزعجاً للسياسة الأميركية وعليه أن يرحل. لقد عشت مع الشباب، كلّ الشباب، في كلّ الأحداث التي كانت تتحدّى الواقع، وفي كلّ القضايا الإقليمية، ولاسيما قضايا الثورة الإسلامية في إيران، وقبل ذلك كنّا مع الثورة المصرية وما إلى ذلك. ولهذا أصبح الانطباع العام هو أنّني أقود كلّ هؤلاء الشباب، ولاسيّما في مسجد بئر العبد الذي أصبح معروفاً في العالم بأنّه المسجد الذي يطلق الثورة والصرخة. ولكنّني أعود وأقول إنّني لم أتّخذ هذه الصّفة وإنّ الغرب هو من أطلقها عليّ، فقد حدث ذات يوم أنْ أتتنا مراسلة وكالة الصحافة الفرنسية، وطلبت مني حديثاً، وكان عندي أحد الصحافيين اللبنانيين، وطلبت منها ألا تكتب تسمية المرشد الروحي لحزب الله، لأنّني لا أعترف بهذه الصّفة من الناحية التنظيمية، فقالت: سأسأل مركز الوكالة في باريس، وعندما سألت، قالوا لها إنّهم لا يوافقون على ذلك. وسمعت مرّة في إذاعة محطة «بي بي سي» البريطانية، أنّ الغرب يعطيني هذه الصفة كي يحمّلني مسؤولية كلّ ما يحدث في الواقع السياسي.

❋ أين حصل الافتراق بينكم وبين حزب الله؟

– أنا أتصوّر أنّ المسألة بيني وبين حزب الله بدأت تأخذ شيئاً من التعقيد منذ أن اختار

(*) مشروع اتفاق أمني بين لبنان وإسرائيل إثر الاجتياح الإسرائيلي عام 1982م.

(**) مدير المخابرات الأميركية الأسبق.

حزب الله أن يكون هو الجهة التي تستوعب الواقع الديني والواقع السياسي الشيعي في هذا المقام، ولذلك فهو لا يرتاح إلى مرجعية أخرى واسعة تستطيع التأثير على قاعدته، وقد التقى هذا التوجه لدى الإخوان في حزب الله بالتوجّه الإيراني، حيث هناك في إيران مَن لا يريد شخصاً مستقلاً، حتّى لو كان شخصاً مؤيّداً لهم من القمّة المرجعية، باعتبار أنّهم قد يجدون في مرجعيتي خطراً على غير مرجعية يتبنّونها.

*** كيف هي علاقتكم مع حزب الله حالياً؟ وفي أيِّ سياق تضعونها؟ لقد كانوا في زيارتكم هنا منذ فترة؟**

- من الطبيعي أنّ الأخوة في حزب الله وقفوا موقفاً سلبياً حيال مسألة المرجعية، كما أسلفت، وكان هذا محلّ تنسيق مع بعض الخطوط في إيران، وتفرّعت المسألة في هذا المجال، لكنّهم شعروا بأنّ الوضع لن يصل إلى مستوى أن يلغيَ أيّ طرف الطرف الآخر. من جهتي، لم أغيّر خطّي ولا خطابي ولا مواقفي، فأنا كنت مع المقاومة في كلّ المراحل التي مرّوا بها، وأيضاً كنت مع الثورة الإسلامية في إيران في مواجهتها للغرب، لأنّني أنطلق من قاعدة ترتكز على أساس المبادئ ولا ترتكز على أساس ردّة الفعل، ولذلك بدأ الموقف يتغيّر تجاهي، على أساس أنّه ليست هناك حرب من قبلهم، ولكن هناك علاقات جيدة الآن.

*** هل صحيح أنّ فتوى إجازة العمليات الاستشهادية ضدّ العدو الإسرائيلي في الفترة التي تلت اجتياحه لمناطق من لبنان، كنتم أنتم من تجرّأ وأفتى بها، في حين لم يجرؤ سواكم على ذلك؟**

- وقد تكون المسألة في عمقها الفتوائي منطلقةً من خلال فتوى الإمام الخميني الذي كان لا يصرِّح بهذه المسألة، وقد سألته يوماً: ما هو رأيكم في العمليات الاستشهادية؟ فلم يجب، فقلت إنّني أعرف لماذا لا تجيب...

*** لماذا؟**

- في ذلك الوقت، ربّما كان هناك بعض التعقيدات لإعلان هذه المسألة من قبله، ولكنّني أطلقت هذه المسألة منذ البداية، وعملت على تشجيعها.

الإمامان الخميني والخامنئي

24 ـ 4 ـ 2006

*** لقد انتهينا الأسبوع الفائت في الحديث إلى نقطة غاية في الأهمية، وقد فهمت من سماحتكم أنّكم كنتم مَن أفتى بالعمليات الاستشهادية، في حين أنّ الإمام الخميني لم يفعل؟**

– في تصوري، أنّه كان يرى شرعية العمليات الاستشهادية. ومن الطبيعي أنّ الإمام الخميني هو الذي كان يفتي في كل حركة الجيش الإيراني، وأنا عندما سألته لم يجب لأنّ هذه قضايا دقيقة لا تعرض للاستهلاك في الرأي.

*** متى كان اللقاء الأول بين سماحتكم والإمام الخميني؟ وفي أيّ اتّجاه ذهبت هذه العلاقة؟**

– في أول لقاء لنا، كان في بيته في منطقة جمران في العاصمة طهران.

*** يعني أنّ اللقاء حصل بعد عودته إلى إيران إثر انتصار الثورة الإسلامية فيها،ولم يحصل مثل هذه اللقاءات في أثناء وجودكما في النجف في العراق؟**

– كلا لم يحدث أيّ لقاء في العراق. ولكن كان يحترمني احتراماً كبيراً جداً، وكنت ألمس ذلك من طريقة استقباله لي. وبالرغم من أنّه كان رسمياً ووقوراً جداً، إلاّ أنّه كان يفتح ذراعيه لي أثناء دخولي إليه، وكان يحضنني، وكان يجلسني إلى جانبه، ويجلس الآخرين على الأرض.

*** إلى جانبه على ذاك المقعد الذي على شكل «صوفا» غير جديدة، أصفها لأنّني زرت منزله هذا في ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاته، وكنت قد شاركت يومها بصفتي الصحفية مدعوة من وزارة الخارجية الإيرانية، وكنت يومها أعمل في صحيفة «السفير»..**

– نعم، إنها على الشكل الذي تصفين (يتابع)، حتّى إنّه نقل إليّ أنّه كان يقول لبعض خواصه إنّني رجل مخلص وفاضل. كان يتكلّم عنّي بما يوحي بالإعجاب والاحترام الكبيرين.

*** هل كان هذا اللقاء للتهنئة بعودته إلى إيران؟**

– كلا، لم يكن لذلك، لأنّني أنا تأخرت على زيارته في طهران لمدّة.

❊ كم من الوقت تبلغ هذه المدّة؟

– لسنة أو لسنتين، لأنّ الظروف لم تكن تسمح لي بالقيام بهذه الزيارة.

❊ كيف تطوّرت هذه العلاقة؟ وكم عدد المرّات التي جمعتكما؟ وحول ماذا كان يدور النقاش؟

– أظنّ أنَّ أسلوبه لم يكن أسلوب الدخول في النقاش مع مَن يزورونه أو يلتقيهم، فقد كان يريد عرض الأوضاع، وكان يتكلّم كلمات عامّة، ولكنّني كنت أعرف من خلال مواقفي الداعمة للثورة الإسلامية في إيران، أنّه كان يقدّر ذلك.

❊ سماحتكم هل تتكلّمون اللغة الفارسية؟

– لا أتكلّمها بطلاقة، ولكنّني أفهم الكثير منها.

❊ وبأيّة لغة كنتم تتحدّثون مع الإمام الخميني، هل عبر مترجم؟

– كلا، لأنّني كنت أفهم عليه. فاللغة الفارسية التي تستعمل في الحوزات هي قريبة من اللغة العربية.

❊ ما هي المواضيع ذات الطّابع السياسي التي كنتم تتحدّثون عنها؟ وهل من نصائح مشتركة كنتم تناقشونها؟

– لا، لقد قلت إنّ الرجل كان رسمياً في أحاديثه مع كلّ الناس، الذين كان يلتقيهم.

❊ كم هو عدد المّرات التي التقيتما فيها سويةً؟

– لعلّها أربع مرّات.

❊ إلى ماذا انتهت هذه العلاقة؛ هل إلى صداقة أو إلى خلاف؟

– كلا لقد بقينا على صداقة واحترام حتّى آخر حياته، لذلك عندما ذهبت معزِّياً ولده أحمد، حدّثني عن تقدير والده لي، حتّى إنّه أخبرني أنّ كتابي «من وحي القرآن» وتفسيره كان يحتفظ به في مكتبه الصغير.

*** هل كنتم تتطرّقون إلى الحديث عن الأوضاع في لبنان؟**

– كنت أتحدّث عن بعض الأمور بشكل سريع جداً.

*** أودّ أن أسألكم عن سبب توتّر العلاقات بينكم وبين المسؤولين في إيران بعد رحيل الإمام الخميني؟ فهل كان الاختلاف ذا طابع ديني أم طابع سياسي؟**

– لقد بقيت العلاقة جيّدة جدّاً لفترة طويلة بعد وفاة الإمام الخميني، لأنّه كان لي صداقة قوية جدّاً مع السيد علي الخامنئي، وقد دعمته في قضية ولاية الفقيه يومذاك، لأنّني كنت أراه أصْلَح من غيره في إدارة المسألة في إيران، إذ إنّه رجل يملك التجربة ويملك الانفتاح، ولذلك كنت ألتقي به وهو كان يقدّرني ويحترمني احتراماً كبيراً جداً. وعندما كنت أذهب إلى إيران، كنتُ أُقابَل باحترام وإعزاز، لأنّني كنت أقف مع الجمهورية الإسلامية بشكل مطلق في ذاك الوقت، ولكنّ السلبية بدأت عندما تمّ طرح اسمي في مسألة المرجعية من جهة، وبأنّ بعض الخطوط في إيران رأت أنّ مرجعيتي تقف حاجزاً أمام مرجعيّته.

*** أي مرجعية الإمام الخامنئي؟**

– نعم الخامنئي. ولذلك بدأوا يخطِّطون لإبعاد موقعي عن دائرة الضوء، ولهذا اتخذوا الكثير من الأساليب، سواء في تشجيع الذين وقفوا ضدّي لجهة بعض آرائي وأفكاري، أو في إثارة حزب الله قيادةً وعناصر في مواجهتي بكلّ الأساليب والوسائل، وكانوا يشجّعون كلّ الأشخاص الذين يقفون مني موقفاً سلبياً، هذا إضافةً إلى أنّني كنتُ مستقلاً، ولم أخضع، بالرغم من أنّني كنت أُؤيّد الثورة الإسلامية في إيران، لكنّني لم أكن تابعاً لها أو خاضعاً لها، وقد كانت لي أفكاري الخاصة التي قد ألتقي فيها ببعض خطوط الثورة الإسلامية، وقد لا ألتقي ببعضها الآخر.

*** سبق وأشرتم إلى أنّكم أيّدتم أن تكون ولاية الفقيه للإمام الخامنئي، ولكن معروف عنكم رفض القبول بهذه الفكرة؟**

– كنت في ذلك الوقت لا أمانع في ذلك، لأنّني كنت أدرس المسألة من زاوية مصلحة إيران، يعني أنا ليست لديّ نظرية ولاية الفقيه بالمطلق، ولكنّني كنت أرى أنّ من مصلحة إيران، وبحسب الظروف المحيطة بها، وبحسب الواقع الداخلي، كنت أرى أنّ مصلحة إيران تكمن أن تلتقيَ مع نظرية ولاية الفقيه، وكنت أرى في السيد علي الخامنئي الرجل الأصلح

لأن يقود إيران على أساس الخطّ الذي ارتكزت عليه الجمهورية الإسلامية في إيران، من خلاله قاعدة ولاية الفقيه، وكنت أرى أنّ الرجل يملك التجربة ولا يبتعد عن المعاصرة.

*** يعني هل تصحّ ولاية الفقيه في إيران ولا تصحّ في غيرها من الدول الإسلامية؟**

– أنا كانت لديّ نظرية، أنّه إذا توقف حفظ النظام في أيّ بلد على ولاية الفقيه، فتكون المسألة شرعية من خلال حفظ النظام الإسلامي، أمّا إذا لم تكن المسألة كذلك، وأمكننا أن نحفظ النظام بالشّورى التي تستشير الفقيه في الجوانب الشرعية الإسلامية، فلا مانع من أن يكون الأمر شورى.

*** هل من جذور حقيقية لما يقال عن خلاف بين مرجعيتي النجف وقمّ؟**

– لا، هذه ليست هي الأساس. لم تكن المرجعية أساساً في حركتها منطلقةً من موقع خاص، أيّ من بلد خاص، ونحن نعرف أنّ غالبية المراجع في قمّ هم متخرّجون من مدرسة النّجف. ثمّ إنّ النجف تاريخياً كانت هي الحوزة وهي المدرسة، وكان ينطلق إليها الناس من مختلف أنحاء العالم، ومن الطبيعي جداً أنّ إيران الآن، وخصوصاً من وجهة نظر السيد خامنئي، ترى أنّه لا بدّ للمرجعية من أن تكون في إيران، باعتبار أنّ إيران ترتكز على نظرية ولاية الفقيه، ولا بدّ من أن يكون المرجع داعماً لولاية الفقيه، وذلك بأن يكون هو في نفس الدائرة الإيرانية في حوزة قمّ، سواء كان هو الوليّ الفقيه، أو كان من الداعمين لولاية الفقيه. هذه هي المسألة في هذا المقام، ولكنّ إيران التي ترى أنّه من الضروري أن تكون المرجعية في قمّ، قد تؤيّد مرجعية النّجف على أساس سياسي، وهذا ما لاحظناه عندما أيّدت السيّد علي السيستاني، باعتبار الظروف السياسية التي جعلت السيّد السيستاني حاجة لتوازن الوضع العراقي، ولاسيّما الوضع الشيعي منه في العراق.

*** بالاستناد إلى ما تملكه إيران من مقوّمات الدولة القويّة، هل إنّها بحصرها المرجعية فيها، قد تخلق حساسية من نوع شيعية ـ عربية وشيعية غير عربية؟**

– من الطبيعي جدّاً أنّ إيران التي تمثّل الغالبية الشيعية عن أيّ بلد في العالم، لا بدّ من أن تعمل على استيعاب كلّ الشيعة في العالم بكلّ وسائلها الخاصّة، سواء عبر الحوزات التي تنشرها في كل أنحاء العالم، أو عبر المبلّغين الذين يذهبون إلى هذا البلد أو ذاك، أو في

المساعدات التي تقدّمها إلى الجهات الدينية التي ترتبط بها وما إلى ذلك، وحتّى الجهات السياسية، كما في لبنان وفي العراق وغيرهما من المواقع، ولكنّ مسألة المرجعية عند الشيعة أنّها لا ترتبط بدولة، حتّى إنّه عندما ندرس الآن، حركة المرجعية في إيران، نجد أنّ مرجعية النّجف تمتلك امتداداً كبيراً في إيران في هذا المجال، وأيضاً في الهند وفي باكستان وغيرهما. ولذلك فإنّ قضية سيطرة دولة على المرجعية، هو أمر غير وارد في حسابات المرجعية، لا في تاريخها، ولا في امتداداتها.

*** حول مسألة سلمان رشدي والإساءة إلى الرسول في الدنمارك؟**

– هناك فرق، أنا أردت دعم الإمام الخميني في مسألة الفتوى ضدّ سلمان رشدي، باعتبار أنّ المسألة كانت من المسائل التي تتّصل بالإسلام وبموقع النبيّ (ص)، لأنّ رشدي أساء إساءةً بالغة في كتابه آيات شيطانية، ولأنّ الغرب بشكل عام، والاتجاهات الحاقدة على الإسلام أيضاً، وقفت مع سلمان رشدي، فأصبحت القضية عمليّة حرب ضدّ الإسلام عبر سلمان رشدي، لذلك وقفنا نحن في هذه المسألة مع الإمام الخميني، ودعمنا الموقف، بقطع النظر عن مسألة الفتوى بقتله.

ولكنّ الأمر تغيّر فيما بعد بالنسبة إليّ، وذلك بعد أن هدأت الأمور، ولاحظنا النتائج السلبيّة التي حدثت من خلال هذه الفتوى، وحيث إنّ كتاب آيات شيطانية، وَفْقاً لرأي النقّاد، هو كتاب لا يستحقّ هذا الاهتمام، لأنّه كتاب يفقد المستوى الفنيّ في الخطّ الفكري والتحليل التاريخي، ولكن هذه الفتوى جعلت مسألة سلمان رشدي مسألة تتّصل بالحريات العامة في قضية الحرية في العالم، على حسب المنهج الغربي في قضايا الحرية، ولذلك تمّت ترجمته إلى أغلب لغات العالم، حتّى اللغات العادية منها، ما جعل المسألة تتّجه في الاتجاه السلبي، فبدلاً من أن تكون الفتوى وسيلةً من وسائل إسقاط الكتاب، أصبحت وسيلة من وسائل امتداده، ولذلك كنت أنتقد مواجهة الكتب التي قد تنتقد الإسلام بالفتاوى العنيفة أو بالقوّة، لأنّ العالم المعاصر الذي نعيشه يدعم أيَّ موقف مضادّ لعملية حرية الفكر، ولاسيّما إذا كانت القضية تتّصل بالإسلام كنتيجة للخلفيات التاريخية السلبيّة ضدّ الإسلام في هذا المجال. ولذلك كنت أتبنّى في خطابي الفكري إهمال الكتب التي تنتقد الإسلام بطريقة وبأخرى، لتكون مجرّد كتب تناقش فكر الإسلام إلى جانب الكتب الكثيرة التي يتحرّك فيها

المفكّرون في نقد هذا الفكر أو ذاك، وهو ما لا يجعل هناك نوعاً من أنواع الاهتمام والتحرّك في دائرة الضوء في هذا المجال، فتمضي هذه الكتب مثل أيّ كتاب في العالم.

لذلك كنت أناقش مسألة الضغط على حريّة الفكر، وكنت أقول إنّه عندما نواجه العالم المعاصر، فإنّ اضطهاد الفكر يقوّيه، بينما إهمال الفكر يجعله أمراً عادياً في هذا المقام. وهذا ما كان يجعلني أنتقد الهيئة التي جعلت من نفسها في إيران هيئة تجمع المال لتنفيذ عملية القتل وَفْقاً لهذه الفتوى. وأنا أعتبر أنّ هذه المسألة كان يجب أن يسدل عليها الستار.

أمّا مسألة الإساءة إلى الرسول في الدنمارك، فقد تحدّثت عنها في البداية حديثاً عقلانياً في هذا المجال، حتّى إنّني لم أتحدّث عن المقاطعة في ذلك الوقت، ولكنّني رأيت الكثير في العالم الغربي ممّن يتحرّكون بعصبية حاقدة باسم حرية الفكر، وقلت إنّ حرية الفكر لا تعني اللامسؤولية في هذا المجال، وإنّ عليهم أن يتفهّموا المسألة وخصوصاً أنّها تسيء إلى أكثر من مليار مسلم، وقد شجّعت الاحتجاج والاستنكار، لأنّ الأمر ليس مجرّد فكر ينقد الإسلام، بل هو أمر يشبه السباب والاحتقار والتشويه وما إلى ذلك، ممّا لا يدخل في عملية الحريات في العالم. حتّى إنّني ضمَّنت حديثي في هذا المجال أنّنا مستعدون لأن نقبل نقد الإسلام بالطريقة الموضوعية العقلانية، حتّى يكون هناك فكر ينقد فكراً، ولا يكون كأنّه سباب وشتائم وتحقير وتشويه، وناديت في الوقت نفسه برفض وسائل العنف في هذا المجال.

وقد استنكرت ما حدث من عنف تُجاه هذه المسألة في سوريا وفي لبنان، وقلت في مطارحاتي في هذا الموضوع، إنّنا نرفض حتّى مسألة إحراق العلم أو إحراق الأعلام الأخرى، لأنّ العلم يمثّل رمز الشرف لكلّ مواطن، فلماذا نحاول الإساءة للمواطنين في هذا البلد أو ذاك؟! نعم، لقد شجّعت في وقت من الأوقات المقاطعة الاقتصادية، لأنّ الموقف الذي وقفته حكومة الدنمارك كان موقفاً مائعاً وسلبياً، ولذلك كنّا نعتقد أنّ الصدمة بمقاطعة البضائع الدنماركية يمكن أن تؤدّيَ إلى نتائج إيجابية في الموضوع، وهذا ما لاحظناه في ما تحرّكت به حكومة الدنمارك وحكومات أخرى كانت قد نشرت صحفها هذه الصور المسيئة.

8 ـ 5 ـ 2006

*** هل كان السيد أبو القاسم الخوئي (قده) يملك مشروعاً سياسياً؟ وهل إنّ كلّ مرجع ديني في النّجف أو في قمّ هو صاحب مشروع سياسي؟**

– عندما ندرس الإطار الذي تتحرّك فيه أكثر المرجعيات الدينية، فإنّنا لا نجد أنّها تضع في حساباتها، أو في حركة مسؤولياتها العامة، المشروع السياسي الذي يمكن له أن يحكم حركتها في الواقع الإسلامي العام، لأنّ الذهنية التي تحكم المرجعيات هي عدم التدخُّل في السياسة، والاكتفاء بالجانب الديني على مستوى الفتاوى والدرس والتدريس. وربّما تختلط المسألة الدينية بالسياسة، فيقف المراجع في بعض الحالات موقفاً سياسياً في إطار هذه المسألة. فنحن نلاحظ مثلاً أنّ المرجعيات الدينية في النّجف في القرن الماضي، وقفت لتواجه الأحداث التي كانت في إيران، كما في قضية استثمار شركة أجنبية (شركة التبغ البريطانية)، حيث حرَّم السيد حسن الشيرازي، المرجع المعروف، استعمال التنباك، لأنّ التنباك كان وسيلةً من وسائل إسقاط هذه الشركة، ورأينا كيف أنّ علماء النّجف وعلماء إيران أيضاً وقفوا وقفةً قوية وصلت إلى احتمال الصراع العسكري، وهي مسألة الاستبدادية والديمقراطية، أو ما يسمّى بالمشروطة والمستبدّة آنذاك، في مسألة أنّ الحاكم هل يملك الصلاحيات المطلقة أم إنّه لا بدّ من أن يخضع لقوانينَ معيّنة ولأوضاع معيّنة.

*** هناك أيضاً دورهم في ثورة العشرين؟**

– قضية خروج علماء النجف بشكل مباشر وبعضهم بشكل غير مباشر، في مسألة ثورة العشرين لمواجهة الاحتلال البريطاني، كانت تتحرّك من خلال بعض المفردات الكبيرة أو الصغيرة في هذا المجال، ولكن لم تكن منطلقةً من وجود مخطّط لإيجاد حكم إسلامي شامل، بحيث إنّه يجمع الناس على هذا الخطّ السياسي الشامل.

وهكذا رأينا بعد ذلك كيف أنّ العلماء في عهد الملك فيصل الأول حرّموا الدخول في الانتخابات، لأنّها، من وجهة نظرهم، كانت تمثّل تشريعاً في مقابل التشريع الإسلامي، ولذلك أصدروا تحريماً وفتوى بالمقاطعة، وكان من نتائج ذلك أنّ مرجعين كبيرين في النّجف، وهما السيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ حسين النائيني، وهما إيرانيا الجنسية، سُفِّرا من العراق إلى إيران، ولم يعودا إلا بعد أن التزما بأنّهما لن يتدخّلا في الشؤون السياسية للدولة العراقية.

وقد لاحظنا أنّ العلماء في النّجف وقفوا مع القضية الفلسطينية، حتّى إنّ أحد المراجع الكبار(*) رخّص للمؤمنين الشيعة بدفع حقوقهم الشرعية للمقاومة الفلسطينية.

الشخص الوحيد الذي كان له مشروع سياسي لإقامة الدولة الإسلامية هو السيد الخميني (قده)، والجميع يعرف كيف أنّه انطلق من خلال ولاية الفقيه من أجل تأسيس الحكومة الإسلامية، وكيف أنّه أنهى عرش طاووس الشاه، وانتهى إلى تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران. وقد استطاعت حركة الإمام الخميني من جهة، كما استطاعت الأحزاب الإسلامية من جهة أخرى، أن تفسح في المجال للمشروع السياسي الإسلامي، والذي لم تنجح فيه الكثير من الأحزاب الإسلامية، كحزب «فدائيان إسلام»، الذي كان يقوده نواب صفوي الذي أعدمه الشاه، أو حزب الدعوة الإسلامي الذي انطلق من خلال فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر وأعوانه، الذي كان يدعو إلى إقامة حكومة إسلامية. ولكن هذه الأحزاب لم تنجح في مشروعها السياسي الإسلامي، بحيث تتسلّم الدولة في هذا المقام. ونلاحظ، أنّ المرجعيات الدينية، لم تضع في حساباتها بشكلٍ عام، ما عدا الإمام الخميني، مسألة المشروع السياسي الإسلامي المتكامل الذي يستهدف إقامة حكم إسلامي في هذا البلد أو في ذاك البلد، ولكنّهم كانوا يأخذون بأسباب السياسة في بعض الحالات الطارئة التي ربّما يتداخل فيها الجانب الديني بالجانب السياسي.

*** ألا تحملون سماحتكم مشروعاً سياسياً، بمعنى هدف الوصول إلى إقامة حكم إسلامي يعمل على تطبيق نظرياتكم الدينية وفهمكم لهذا الدين في ما تمثّلون من مرجعيّة؟**

– إنّني أؤمن بأنّه ليس هناك أيّة حالة انفصال ما بين الدين والسياسة، لأنّ الدين جاء لإقامة العدل، ولا عدل بدون سياسة، فالعدل لا بدّ فيه من التخطيط لعدل الحكم ولعدل القانون ولعدل الناس بين بعضهم البعض. وهكذا نلاحظ أنّه لا يمكن إقامة العدل بشكل يمتدّ في كلّ حياة الناس ليُعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه، سواء على مستوى الحقوق العامّة أو الخاصّة، إلاّ من خلال وجود كيانٍ سياسي يوزّع المواقع، ويحاول التخطيط والتنظيم لحياة الناس بشكل وبآخر، في المسألة الاقتصادية والسياسية والأمنية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

ولهذا، فإنّ المقولة التي قالها بعض العلماء في إيران: «سياستنا دين وديننا سياسة»، هي

(*) المرجع السيّد محسن الحكيم (رض).

المقولة الحقيقية. فمنذ أكثر من خمسين سنة، ونحن نتحدّث عن الحكومة الإسلامية، وأنّه لا بدّ من أن نعمل ليكون الإسلام قاعدةً للفكر والعاطفة والحياة، وقد كانت مداخلاتي في مجلّة الأضواء النجفيّة، والتي صدرت سنة 1830 هجرية، كانت تؤكّد مسألة الحكومة الإسلامية في هذا المجال، ولكنّنا لم نجد وسيلة للوصول إلى هذا الهدف، من خلال الإمكانات التي كنّا نملكها، والتعقيدات التي حدثت، ولاسيّما في لبنان، الذي كان الصراع الفكري يدور فيه حول هل إنّ لبنان يمكن أن يتحوّل إلى جمهورية إسلامية أو لا؟

وكنّا نقول: إنّ الإسلام يختزن في داخله الجمهورية الإسلامية، على الأقلّ من الناحية الثقافية السياسية، ولكن ظروف لبنان لا تسمح بإقامة جمهورية إسلامية، وإنّنا نطرحها من ناحية إخراج الدين من العنصر الطائفي إلى العنصر الفكري، الثقافي والسياسي.

*** هل من سعي لأهل المذهب الشيعي لمقاطعة المقاطعة التي لطالما لجأوا إليها في عهودٍ سابقة للوصول إلى الإمساك بالحكم. فما شهدناه في إيران هل نشهده اليوم في العراق؟**

– عندما ندرس المسألة الثقافية لدى الكثير من المثقّفين الشيعة، سواء على مستوى علماء الدين، أو على مستوى الحركيين، نرى أنّهم يختزنون في داخل تفكيرهم الديني السياسي مسألة إقامة الحكم الإسلامي في هذا المجال، ويحاولون الوصول إليه بما يملكون من الآليات والأدوات، ولعلّ بعض الطروحات التي تُطرح الآن في العراق، قد توحي بالرغبة في ذلك هنا وهناك مثلاً، ولكن لا يزال هناك فريقٌ من الناس، ولاسيّما ممّن يحيطون بالمرجعيات، ممّن لا يفكّرون بهذا التفكير الذي يصل إلى النتائج الحاسمة بإقامة الدولة الإسلامية، ولكن قد يأخذون بأسباب السياسة في القضايا الطارئة هنا وهناك.

*** يعني مقاطعة جزئية في بعض الأماكن، ومقاطعة كليّة لإقامة الحكم في نواحٍ أخرى؟**

– لا أعتقد. إنّ المسألة تتبع الذهنية الثقافية الإسلامية للمثقّف الإسلامي في الخطّ الشيعي.

*** أثناء وجودكم في النّجف، هل كنتم أصحاب خطّ حزبي سياسي بالمعنى الحزبي؟ ولماذا يقال إنّكم من مؤسّسي حزب الدعوة الإسلامي؟**

– لم أكن حزبياً بالمعنى التنظيمي للمصطلح، ولكنّي كنت أعيش في أجواء الحركة الإسلامية قبل تأسيس حزب الدعوة، وكنت أنفتح على الأحزاب الإسلامية حتّى غير الشيعية، كحزب الإخوان

المسلمين، ولكنّي كنت أعيش في مُناخ حزب الدّعوة الإسلامي الذي كنت أحد المنظّرين له من خلال كتاباتي ولقاءاتي، ولذا اعتُبرت لدى جمهور حزب الدعوة في أكثر المناطق في العراق وغيره، اعتُبرت من الشخصيات التي أعطت هذا الحزب أصالة الفكر الإسلامي، من خلال ما كنت أتحدّث فيه وأكتبه من الدراسات التي تمنهج هذه الحركة الإسلامية.

*** ماذا عن علاقتكم بالشهيد السيّد محمد باقر الصدر؟**

– كان صديقاً وزميلاً، ورفيقاً، باعتبار أنّنا من سنّ واحدة، وقد عشنا الحركة الإسلامية في النّجف، حتّى إنّني عندما خرجت من النجف، كانت كلمته المعروفة: «كل مَن خرج من النجف خسر النجف، إلاّ السيد محمد حسين فضل الله، فقد خسرته النجف».

*** هل يُعتبر من المراجع الدينية المتميّزة، أي في المراتب الأولى؟ وكيف كانت علاقتكم به؟ وهل كانت في إطار التنافس الودّي؟**

– لا، كان هناك تكامل وتواصل، لأنّنا كنّا ننطلق من فكرٍ واحد، فقد كانت مجلة «الأضواء» تحوي الافتتاحية الأولى التي كان يكتبها السيد الشهيد تحت عنوان «رسالتنا»، وكنت أكتب الافتتاحية الثانية، وهي «كلمتنا» ولم يكن في بدايات تأسيس الحركة الإسلامية في صلات المرجعية، ولكنّه بعد أن تقدّمت به السنّ، أو تقدّمت به الظروف، طرح نفسه للمرجعية، في الوقت الذي كنت في لبنان، ولم أطرح نفسي للمرجعية في تلك المرحلة.

*** ما هي المرحلة الأكثر ازدهاراً في كتاباتك مولانا؛ هل حين انتقلت إلى لبنان، أم إن الساحة اللبنانية استهلكت وقتكم بالعمل والتعاطي السياسي اليومي مع الناس؟**

– لا إشكال في أنّي بدأت الكتابة الثقافية الفكرية الإسلامية في النجف، وهو ما تمثّل في كتاب «أسلوب الدعوة في القرآن»، وتمثّل في كتاب «قضايانا على ضوء الإسلام» الذي يجمع افتتاحيات مجلّة الأضواء لأكثر من خمس سنوات، ولكن أكثر نتاجاتي الفكرية الإسلامية والأدبية كانت في لبنان.

*** يقال إنّكم كتبتم بعض مؤلّفاتكم على ضوء الشموع في محلّة النبعة؟**

– كنت في لبنان أكتب دائماً، حتّى إنّني عندما كنت في النبعة وبدأت الفتنة هناك والحرب، ولم تكن هناك كهرباء في تلك المنطقة، كتبتُ على ضوء الشموع، وتحت أزيز القذائف،

وأحد كتبي هو «الحوار في القرآن».

*** بشكلٍ عام، أيّهما الأصعب: الكتابة على ضوء الشموع، أم الكتابة تحت حكم صدام حسين في النّجف؟**

– عندما كنّا في النّجف، لم يكن حصار صدّام قد بدأ في العراق، ولكنّنا نعتقد أنّ المسألة تتّصل بحركية الفكر، وبإضاءة الفكر أكثر من إضاءة الشموع أو الكهرباء.

*** ولكن مساحة الحرية في لبنان، ألا تعطي مساحةً للكتاب؟**

– نحن نقدِّر للبنان هذه الحرية المفقودة في كلّ البلدان العربية، ونقاتل من أجل أن تبقى.

*** هل حصل وطرحتم نوعاً من التواصل مع الأزهر؟**

– لم تحصل هناك أيّة ظروف من التواصل المباشر مع الأزهر؟

*** لماذا؟**

– لا أدري، قد لا نملك هذه الوسائل، وربّما كانت الأزهر في تلك المرحلة غير مستعدّة لذلك، وخصوصاً أنّنا كنّا محلّ تحفّظ من السياسة المصرية.

*** بصراحة، هل كان ذلك بالاستناد إلى الخوف من انتشار فكركم، أم لأنّ التصنيف مسبقاً بأنّكم من المذهب الشيعي؟**

– قد يكون هناك حساسية من المذهب الشيعي، ولكن أتصوّر أنَّ غلبة العنوان السياسي على النظرة إليّ ـ وكنت أُحسَبُ على الجانب اليساري، إنْ صحّ التعبير، وإن كان إسلامياً ـ هو السبب في التحفّظات التي كانت لدى الحكومة المصرية وبعض الحكومات الأخرى.

*** يبدو الجوّ مختلفاً الآن، هل لأنّكم صرتم مرجعاً عربياً إسلامياً؟**

– هناك بطبيعة الحال تطوّر في النظرة إلى موقعي وموقفي قد تختلف عن النظرة السابقة.

*** قد ينتج عنها نوع من التواصل مولانا؟**

– في المرحلة الأخيرة، كان السفير المصري يزورني، وكنت أتحدّث ببعض الإيجابيات عن بعض المواقع، سواء على مستوى الأزهر أو الحكومة المصرية، وحدث أنّي ناقشت

شيخ الجامع الأزهر عندما تحدّث بإيجابية أو بشيء لا سلبية فيه عن الموقف الفرنسي من قضية الحجاب، معتبراً أنّه يجب التقيّد بقوانين تلك البلاد، وقلتُ إنّ عليه أن يعتذر للمسلمين عن هذا الموقف...

*** من خلال متابعتكم خلال العشرين سنة الماضية، هل هناك نوع من الجمود لدى الطرف الآخر، بما يمثّله الأزهر أو باقي الحركات الإسلامية من أهل السنّة؟**

- لا أظنّ ذلك، لأنّ انفتاحي على العالم الإسلامي السنّي كان انفتاحاً كبيراً، وكانوا يقدِّرون لي جرأتي في علاج بعض الأمور التي وقعت محلّاً للتحديات بين السنّة والشيعة، ولذلك فإنّ أهل السنّة ينظرون إليّ نظرةً إيجابية، ويعتبرون أنّني لستُ مذهبياً بالمعنى الضيّق للمذهبية، وأنّي أملك حرية مناقشة الكثير من الأفكار، بما فيها الأفكار التي يرتكز عليها الفكر الشيعي في بعض الحالات، وقد انتُخِبتُ أخيراً عضواً مؤسِّساً في «اتحاد علماء الإسلام» الذي يتمثّل بالشيخ القرضاوي وآخرين. لقد زارني الشيخ القرضاوي أكثر من مرّة، ودعوته مع الوفد المرافق له مراراً.

*** مع رجال دين من أهل الفكر في المملكة العربية السعودية من المذهب الشيعي والسنّي، هل حصل نوعٌ من نقاش أو تواصل؟**

- كان هناك تواصل ولقاءات مع بعض علماء السنّة، ولكن لم يكن هناك نقاش، بل لقاءات وحدوية، أمّا علماء الشيعة، فهناك علاقات متنوّعة وجيدة مع الكثيرين.

15 ـ 5 ـ 2006

*** مَن هم الشخصيات التي تعرفونها من رموز الثورة الإسلامية في إيران؟ كيف كانت علاقتكم بالرئيس رفسنجاني بدايةً وخاتمي لاحقاً؟ هل هما في عداد الأصدقاء، أم إنّ المعرفة بهما عادية؟**

- بالنسبة إلى الرئيس رفسنجاني، كانت لديّ لقاءات جيدة معه أثناء زيارتي لإيران وأثناء زيارته الأولى لسوريا، وقد جرت بيننا أحاديث معمّقة حول أوضاع إيران ولبنان والمنطقة بشكلٍ عام، ولمستُ منه تقديراً كبيراً بالنسبة إليّ، حتّى إنّه قال لي مرة: «أنتَ منّا» و«أنتَ جزء من الثورة».

وحين جاء السيّد خاتمي كرئيس للجمهورية الإسلامية الإيرانية في زيارة رسمية للبنان، لم ألتقِ به، على أساس البروتوكول المحيط به وبي، لجهة موقع المرجعية الذي لا ينسجم مع زيارة رئيس جمهورية، ولكنّه بعد خروجه من رئاسة الجمهورية، زار لبنان وزارني زيارةً واسعة، وتحدّث عنّي حديثاً أخجلني حقيقةً.

*** قال يومها إنّ سماحتكم دُرّةٌ من مفاخر العالم الإسلامي؟**

– العلاقة بيني وبين السيد خاتمي جيّدة، سواء على مستوى اللقاءات أو على مستوى الاتصالات، وكان نائبه السيد الدكتور محمد علي أبطحي يتّصل بي دائماً في المناسبات، وأتّصل به، باعتبار أنّه كان الواسطة بيني وبين السيد خاتمي، والجدير بالذّكر أنّ السيد أبطحي كان يحضر دروسي الفقهية هنا، عندما كان مسؤولاً عن الإذاعة والتلفزيون الإيراني في لبنان.

*** مَن غير السيد أبطحي ممّن وصلوا إلى مواقع المسؤولية في إيران كانوا تلامذةً عندكم؟ وهل كان مقلِّداً لكم؟**

– بالنسبة إلى السيد أبطحي، ذكر لي أنّ زوجته مقلِّدة لي، وأنّه كان يشجّع زوجة شقيق الرئيس خاتمي عندما زارتني مع زوجته ومع شقيق خاتمي، على أن ترجع إليَّ في التقليد.

*** هل التقارب بين شخصكم وشخص الرئيس خاتمي مردّه الجانب الفكري؟ وهل يُخرِّب العسكر والأمن ما يصلحه أهل الفكر؟**

– لا، فقد بقي الرجل، حقيقةً، ومنذ بدء علاقتي به، على تواصلٍ فكري بيني وبينه، وهناك تقدير للعناوين الكبرى التي طرحها في رئاسته للجمهورية، والتي تعطي عنواناً كبيراً للخطّ الإسلامي الحضاري الأصيل.

العلاقة مع إيران

*** من الواضح أنّ هناك تياراً فكرياً في إيران متأثّرٌ بفكركم، حتّى السيد خاتمي، وقبل تولّيه الرئاسة، حضر إلى لبنان، إلى انطلياس، وألقى محاضرة تقارب أفكاركم في موضوع الحوار الإسلامي ـ المسيحي، وموضوع الحضارة العالمية. والسؤال أيضاً: هل الثورة الإسلامية**

في إيران تمثِّل كلّ الفكر الإسلامي الشيعي وكلّ الهدف الشيعي، بأنْ يُحقِّق ذاته كنقيض للمرحلة السابقة؟

– عندما نتحدّث عن الفكر الشيعي بشمولية، فالجمهورية الإسلامية لا تمثّل كلّ هذا الفكر، ولكن من الطبيعي جداً أنّها تلتزم فكر ولاية الفقيه الذي هو من خصوصيات الفكر الشيعي، ولكن هذا الفكر لا يمثّل خطاً حاسماً حتّى في تفاصيله التي تتبنّاها إيران، فهناك من لا يرى لوليّ الفقيه هذه السلطة المطلقة التي تسيطر على كلّ الواقع، بحيث تعطي الواقع الشرعية، وهناك من لا يرى أنّ لولاية الفقيه هذا الامتداد الزمني، بحيث إنّه يبقى في موقع الولاية إلى نهاية حياته. وهناك أيضاً في الفكر الشيعي وجهات نظر لا ترى ولاية الفقيه في هذا المجال.

من الطبيعي أنّ الكثير من القوانين التي قنِّنت في إيران في الدولة الإسلامية، كانت نتيجة الاجتهادات الفقهية الشيعية، ولكن إيران تقدّم نفسها على أساس أنّها دولة إسلامية، وأنّ التشيّع هو خطّ من خطوط الإسلام الأصيل في ما يتمثّل في خطّ أهل البيت (ع). ولذلك فهي تحاول أن تبرز كدولة إسلامية في هذا المفهوم، ولهذا تهتمُّ بالقضايا الإسلامية كقضية الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب الإسلامية، أو حوار الأديان.

*** هل الفكر الشيعي في ما يتعلّق بممارسة السلطة والحكم، أقرب إلى النجاح من مذهب أهل السنّة؟ وهل مفهوم العدالة الاجتماعية، أو التكافل أو رفاهية البشر لا يمكن أن تتحقّق وفقاً لهذا المذهب؟**

– ليس هناك فرقٌ بين المذهب السنّي والمذهب الشيعي في الخطوط الكبرى للإسلام، وخصوصاً في ما يتّصل بمسألة العدالة الاجتماعية، ولكن من الطبيعي جدّاً أنّ هناك اختلافاً في بعض المفردات الاجتهادية بين السنّة والشيعة، كما هي بين الشيعة أنفسهم وبين السنّة أنفسهم. فليست هناك خصوصية للفكر الشيعي في القضايا التي تنفتح على حاجات الناس وعلى قضاياهم والحلول لمشاكلهم من خلال الشريعة الإسلامية. نعم، هناك فرقٌ بين النظرية السنيّة الغالبة، وهي أنّه لا يجوز الثورة على وليّ الأمر، بل لا بدّ من إطاعته حتّى لو كان ظالماً، وبين الشيعة الذين يَرَوْنَ أنّه لا بدّ من الثورة على ولاةِ الأمور من الناحية الواقعية

إذا كانوا ظالمين، لأنّه لا يجوز إطاعة الظالم، ولا يُطاع الله من حيث يُعصى. ولذلك لا بدّ من المواجهة للحكومة الظالمة.

*** بكلّ تجرّد، وكتجربة إسلامية انتصرت كثورة، وحكمت بلداً في القرن العشرين، هذه التجربة الإسلامية الإيرانية أين أخفقت وأين نجحت؟ وكتقييم على مسافة 25 سنة على قيامها؟**

– نحن نعتقد أنّ إيران أساساً لم تكن مستعدّة لثورة في هذا الحجم، ولدولة في هذا الحجم. كانت المشكلة الأولى هي الثورة ضدّ الحكم الإمبراطوري الذي كان يمثّله الشّاه مع بعض الخصوصيات التي تتّصل بالسياسة الأميركية في المنطقة. أمّا مسالة التفاصيل للخطّة التي تتمثّل في تأسيس دولة، حيث إنّها تخطّط وتنفّذ لحلّ المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأمنية بشكل تفصيلي يمثّل القاعدة الإسلامية الشّاملة، فهذا ما لم تكن الثورة الإسلامية مستعدة له. وأنا أذكر أنّ بعض رجال الثورة، وفي حديث بيني وبينهم، حين كنتُ أذكر بعض السلبيات، قالوا لي: هناك كلمة مختصرة، إنّنا ثورة نجحت قبل أن تنضج.

ولذلك، فإنّني أتصوّر أنّ الإمام الخميني ومن بعده، كانوا يحاولون بحسب طبيعة الإطار الثقافي الذي يملكونه، والذي قد يتمحور في الفقه التقليدي الذي يملكونه أو الذي يستنبطونه، كانوا يحاولون تطبيق هذا الفقه على الواقع، ولكنّ المسألة المتعلّقة بالخطوط الإسلامية المعاصرة التي تحاول أن تنفتح على دراسة المشاكل الخاصة بالإنسان المعاصر بحسب الخطوط الموجودة في الغرب أو غيرها، لم تستطع أن تبلغ الكثير في هذا المجال.

ولكنّي أتصوّر أنّ هناك جيلاً معاصراً من الشباب الإيراني المثقّف، يحاول الآن أن يُحدِّث الثورة، ولاسيّما في قضايا الحريّات وتداول السلطة. هناك حركة موجودة داخل إيران ربّما لا يشجّعها النظام الحاكم الآن، ولكنّها تحاول أن تتطوّر وتُطوِّر، وربّما كان بعض خطوط التطوّر يتجاوز مسألة إسلامية الدولة، وربّما بعض خطوط التطوّر يحاول التوفيق بين الإسلاميّة والحداثة.

*** مسألة الفشل والنجاح ترتبط، إذاً، بمسألة الفكر وكيف يُمارس، وخصوصاً لجهة الذين يقودون هذا الفكر؟**

– قضيّة الفشل والنجاح إنّما تنطلق من طبيعة العناصر الحيّة الواقعية الحركيّة المنفتحة على العالم وعلى قضايا الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى، ترتبط بالظروف السياسية المحيطة

بالبلاد، وكذلك الظروف الاقتصادية التي تتحدّى الكثير من الحلول والظروف الأمنية التي تحاصر الموقع. وقد عاشت إيران مشكلةً كبيرة جدّاً منذ انطلاقتها في الجانب الأمني في الحرب التي فُرضت عليها من قِبَل نظام العراق الذي كان يقوم بوكالةٍ عن الاستكبار العالمي، باعتبار أنّ الغرب والشرق اتّفقا على إسقاط الثورة الإسلامية في هذا المجال. كما أنّ المسألة الاقتصادية كانت معقّدة بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية عند نشأتها في ذلك الوقت، وكذلك المسألة الثقافية، لأنّ قادة الثورة كانوا يتحرّكون من خلال ثقافة تقليدية لا معاصرة. إنّ كلّ هذا ترك تأثيراً، بحيث حرّك بعض نقاط الضعف في حركة الثورة الإسلامية، ما جعلها تنجح في جوانب وتفشل في جوانب أخرى.

*** هل يكفي لكي نكون أقوياء ونحقّق فكرنا، أن نكون أقوياء عسكرياً فقط، وبالتالي لا أهمية لفشل برامجنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية؟**

– نحن نعتبر أنّ جانب القوّة العسكرية هو آخر عناصر النجاح والقوّة، باعتبار أنّ العسكر والقوّة العسكرية يُراد منها مواجهة التحدّيات العسكرية الأمنية التي تنطلق لتُسقِطَ القوّة والممانعة. ولكنّ المسألة هي أنّه لا بدّ من القوّة الثقافية والقانونية والاقتصادية، وهي أساس في هذا المجال، وكذلك القوّة الاجتماعية. لذلك فإنّ هذه المفردات من القوّة، هي التي يمكن أن تُمثِّل عناصر النّجاح لأيّة دولةٍ أو لأيِّ مجتمع.

*** وقد تحمل بذور ضعفها في قوّتها في هذا النوع من القوّة؟**

– طبعاً، ومن الطبيعي جدّاً أنّه ليس هناك قوّة مطلقة، بل هناك قوّة نسبيّة، فالقوّة قد تختزن الضعف في بعض الحالات، ولهذا، لا بدّ للذين يديرون هذه القوّة أن يحدِّقوا بنقاط الضعف الموجودة في داخل ساحاتها، حتّى يستطيعوا أن يوازنوا بين نقاط القوّة ونقاط الضعف.

*** البعض أخذ عليكم من خلال ذلك، أنّكم من أنصار الثورة الثقافية الفكرية على حساب الثورة الأمنية والعسكرية؟**

– أعتقد أنّ مسألة القوّة تمثِّل التوازن بين العناصر التي تحتاجها الأمّة في وجودها ونجاحاتها في هذا المقام. ولذلك، إذا أردنا الوصول إلى القوّة في موقع القيم التي نؤمن بها في هذا المجال، فلا بدّ من أن نستكمل عناصر القوّة، لأنّنا قد نجد مثلاً أنّ هناك في العالم

قوّة عسكرية عظمى، كالولايات المتحدة الأميركية، وفي الدرجة الثانية الدول السبع كقوّة اقتصادية، ولكنّها قوّة فارغة من القيمة الإنسانية، ما يجعلها تُسيء إلى العناوين الكبرى التي تطرحها في حركة الحضارة على مستوى القيم وحقوق الإنسان.

ولذلك عندما نتطلّب القوّة في دولة الإسلام، فلا بدّ لهذه الدولة من أن تجمع كلّ الخطوط الإسلامية القيميّة في هذا المجال، إلى جانب القوّة المادية التي تحفظ وجود هذه الدولة.

الإمام الخوئي

*** السيّد الخوئي (قده)، مَن هو بالنسبة إليكم، ما هو الرابط بينكم وبينه؟ وإلى متى تعود معرفتكم به؟**

السيّد الخوئي هو الرجل الفقيه الأصولي الذي يمثِّل القيمة في المسألة العلميّة الفقهيّة الأصوليّة، والتي جعلته الشخص الذي يقف في موقع القِمّة في تخريج آلاف العلماء والفقهاء الشيعة في العالم. فنحن لا نجد عالماً من علماء الشيعة، سواء في قمّ أو النجف أو الهند أو باكستان ولبنان والعراق، لم يتتلمذ عليه بشكلٍ مباشر أو غير مباشر. ولعلّ قيمته إنّما في هذا الغنى العلميّ الفقهيّ، الذي جعله كما قالوا عنه: «أستاذ الحوزة العلمية».

وكان لا يبتعد عن الأجواء العامة، ولكن الظروف التي أحاطت به منعته من القيام بدوره الفاعل في المسألة السياسية، وأذكر أنّه عندما كان الإمام الخميني معرَّضاً للإعدام من قِبَل الشاه، وقف الإمام الخوئي ليدافع عنه وأثار النجف، حتّى إنّه أرسل بعض الموفدين إلى لبنان للاجتماع بعلماء الشيعة فيه، ليدفعهم إلى إصدار بيان ضدّ الشاه لدعم موقع الإمام الخميني آنذاك، وأذكر أنّني كنت في لبنان آنذاك في زيارة، والتقيت الموفد من قِبَل السيّد الخوئي، واجتمعنا مع السيّد موسى الصدر، وكتبنا البيان الذي أصدره علماء الشيعة. ولكنّ الضغوط التي واجهت الإمام الخوئي في العراق من خلال حكم الطاغية، قلّصت دوره بشكلٍ كبير جدّاً.

*** لقد كنتَ أحد تلامذته، ثم أصبحتَ وكيلاً شرعياً له.**

– كنتُ أحد تلامذته، وكان يُقدّرني تقديراً كبيراً جداً، ولذلك كنت وكيله المطلق في الأمور الشرعية.

*** بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، هل كان للإمام الخوئي ملاحظات عليها يتمنّى تطبيقها؟ وهل كان على تواصل مع رموز الثورة؟**

– لم يكن ضدّ الجمهورية الإسلامية، ولكنّ الجمهورية الإسلامية ـ للأسف ـ وقفت منه موقفاً سلبياً آنذاك، ولعلّ إعلامها كان ظالماً له في كثيرٍ من الحالات.

*** لماذا؟**

– لأنّه استقبل في وقتها زوجة الشاه (المعروفة باسم الإمبراطورة فرح ديبا)، عندما زارت النّجف أيّام الثورة على الشّاه، وكانوا يعتبرون أنّ لقاءه بها يمثّل سلبيةً في موقفه من الثورة، ولكنّه قال إنّني تكلّمت معها كلاماً لم تسمعه لا هي ولا زوجها في كلّ حياتهما. ونحن كنّا نريد أن نوازن الموضوع، ولم تكن مسألة الثورة آنذاك مسألة قريبة من النّجاح، ولهذا كنتُ كمرجعٍ أعلى للشيعة أحاول إيجاد حالة من التوازن في هذا المجال. وقد نُسِبَتْ إليه بعض الأشياءِ بأنّه قدّم خاتماً للشاه، لكنّه أنكَرَهُ واعتبره تلفيقاً وكذباً.

*** مولانا، هل أستطيع الاستنتاج، أنّ البدايات التي سبقت عودة الإمام الخميني إلى إيران وإعلانه انتصار الثورة فيها، كانت تشهد نوعاً من الرؤيتين:**

1 ـ حول أن تكون ثورة بالمطلق تطيح بالشاه ويكون مفهوم حكم جديد ومبادئ جديدة وقيادات.

2 ـ رؤية تنظر من زاوية تأجيل الموضوع إلى حين إنضاج الظروف أكثر؟

– لم يكن السيد الخوئي (قده) ضدّ قيام ثورةٍ إسلامية وإسقاط الشاه مثلاً، ولكنّه كان بحسب ظروفه، يعيش في مُناخ لا يسمح بالانفتاح على الجانب السياسي بهذا المستوى، يعني مستوى الثورة.

*** ألم يقدر على تحريك ثورة داخل العراق؟**

– لم تكن هناك أيّة ظروف في العراق لثورةٍ في حجم الثورة الإسلامية في إيران، كما أنّ الشعب الإيراني يختلف عن الشعب العراقي في هذا المجال.

29 ـ 5 ـ 2006

عبد الناصر

*** أودّ أن أسألكم هنا عن علاقتكم أو معرفتكم ببعض الشخصيات، وسأبدأ بالسؤال عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟**

– طبعاً ليس بيني وبين جمال عبد الناصر علاقة، ولكني عرفته من خلال المُناخ الذي استطاع أن يصنعه في العالم العربي، ما أدّى إلى إعجاب كلّ الذين يقفون في مواجهة الاستعمار الغربي والإسرائيلي به. وأذكر أنّ لي قصيدة في تحيّة جمال عبد الناصر عند تأميم شركة قناة السويس، وهي موجودة في ديوان «قصائد للإسلام والحياة». لقد كان في هذا الجانب مثيراً للجدل، ولكنّنا في الوقت نفسه، باعتبار أنّنا إسلاميون، كنّا نناقش مسألة القومية العربية من خلال طبيعة الطرح المتطرّف الذي كان يتحرّك في خطاب القوميين ضدّ الإسلام، لأنّنا في تلك المرحلة، كنّا نقرأ الوجودية القومية في العربية، ونقرأ الاشتراكية في القومية العربية، ما كان يثير الكثير من التأمّل في خطّها. ونحن لسنا ضدّ القومية من حيث المبدأ، ونعتبر القومية حالة إنسانية تتحرّك في كلّ شعب من الشعوب الذي يتميّز بلغته وعاداته وتقاليده، ولكنّنا نناقش القومية بمعناها الأيديولوجي ـ الفكري.

لهذا كانت المسألة في هذا المُناخ الذي صنعه جمال عبد الناصر، بما يجعل القوميّة هي حركة المرحلة التاريخية في ذلك الوقت. ولكنّنا كنّا في الوقت نفسه، نقدِّر له الحديث عن مصر بأبعادها الثلاثة: البعد القومي العربي، والبعد الأفريقي، والبعد الإسلامي، ما يعني أنّه كان ينفتح على المسألة الإسلامية، غير أنّه اصطدم بالإخوان المسلمين من خلال ما قيل وما نُسب عنهم من محاولة بعضهم لاغتياله، فأعدم بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة، كالسيّد قطب، وعبد القادر عودة، ما جعل هناك عقدة للإسلاميين ضدّ جمال عبد الناصر، هذا مع أنّ هناك الكثير من الجدل حول المصداقية لجمال عبد الناصر، باعتبار أنّه عندما حدثت حرب الـ67، سُئِلَ: هل هناك خطّة لك لمواجهة إسرائيل؟ وكان قد مضى على الثورة المصرية 15 عاماً، فقال: «لم تكن هناك خطّة»، هذا إضافةً إلى بعض الأمور التي كانت تتحرّك بها المخابرات المصرية، وكذلك تجربة الوحدة مع سوريا ومصر، ما أثار الكثير من الجدل.

*** الرئيس الراحل حافظ الأسد، وما نُقِلَ عنه من نصيحة وجّهها لابنه بشّار من النهل من مصدرين فكريين يحترمهما: هما سماحتكم والمفكّر العربي الراحل قسطنطين زريق؟**

– سمعتُ هذا من الوزير الدكتور كرم كرم، الذي هو طبيب العائلة، وهو من نقل ذلك عن الرئيس الأسد!

*** هل كنتم على علاقة شخصية سابقاً مع الرئيس الأسد؟**

– لم تكن هناك علاقة شخصية سابقة، ولكنّي التقيتُ به مرتين وبدعوةٍ منه. وكانت المرة الأولى بمقدار 4 ساعات، والثانية بمقدار 3 ساعات ونصف الساعة. وخضنا فيها بأحاديث كثيرة جداً، حول القضية الفلسطينية، وحول نشأته في مواقعه القروية والعلوية، وفي نقده للعلويين الذين كانوا يتحدّثون عن ألوهية الإمام علي (ع)، وغيرها من الأمور اللبنانية والعامة.

*** كيف تقوِّمون شخصية الرئيس الراحل حافظ الأسد؟**

– لفت انتباهي أنّه كان يملك ثقافة موسوعية في ما هو فيه، فهو مثلاً كان يملك معرفة بكلّ المسألة اليهودية، حتّى تدخُّل اليهود في باكستان وغيرها.

ولهذا قلتُ له مرةً إنّني عندما استمعتُ إليك في بعض المؤتمرات الإسلامية وأنتَ تُحاضر، رأيتُ أنّ هناك أستاذاً جامعياً يُحاضر في طلّابه.

*** الرئيس الراحل ياسر عرفات؟**

– لم ألتقِ به أبداً.

*** إطلاقاً!**

– إطلاقاً طيلة وجوده في لبنان.

*** لماذا؟**

– لا أدري، ففي ذلك الوقت، لم تكن علاقاتهم إلاّ مع المواقع الشيعية الرسمية، ولم أكن في الموقع الرسمي آنذاك. ولذلك لم ألتقِ به أبداً.

*** كيف تقوِّم تجربة مرحلة الثورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية بكلّ ما لها وما عليها؟**

– أعتقد أنّها كانت مرحلة خاسرة، لأنّها استبدلت فلسطين بلبنان، وتدخّلت في الشؤون اللبنانية وحتى في الخصوصيات اللبنانية، ما جعلها تفتح حرباً مع المسيحيين، وهو ما أسقط التفكير اللبناني ـ المسيحي، وأوجد حالة طائفية بين المسلمين والمسيحيين، لأنّ المسألة الفلسطينية حُسِبَت على المسلمين، ولاسيما بعد أنْ ضمّت إليها الحركة الوطنية.

*** بقراءة محايدة، هل تتشابه هذه التجربة مع التجربة السورية في لبنان بما لها وما عليها أيضاً؟**

– من الطبيعي أنّ التجربة السورية كانت تجربة مخابراتية في تفاصيلها اللبنانية. وقد أساءت، فقد حاولت سوريا أن تحكم لبنان، لأنّ سوريا دخلت لبنان لتكون مانعة للحرب اللبنانية وللتقسيم فيه، ولكنّها في امتداداتها بعد ذلك، إضافةً إلى التعقيدات السياسية التي حصلت في المنطقة، خصوصاً من خلال تدخّل أغلب الدول العربية في لبنان من خلال المنظّمات الفلسطينية، أصبحت سوريا في لبنان كدولةٍ تحكم دولة، ولم تنطلق كدولةٍ تحمي دولة. ولعلّ الذي ساعد على ذلك، هو أنّ أكثر اللبنانيين من النادي السياسي، كانوا يشجّعون سوريا على ذلك، ليستفيدوا من نفوذها في ما يطمحون إليه من مواقع نيابية أو وزارية أو مكاسب مادّية، وهو ما يعرفه كلّ الناس، ما جعل بعض اللبنانيين يستغلّ ذلك من أجل تحميل سوريا كلّ الأخطاء والمشاكل وكلّ الانهيارات التي حصلت في لبنان، إلى المستوى الذي اتُهِمَت فيه بأنّها وراء اغتيال الرئيس رفيق الحريري مع من اغتيل من بعده.

إنّنا لا نعتقد أنّ سوريا تتحمّل مسؤولية ذلك كلّه، بل إنّ الكثيرين من اللبنانيين هم من ساعد سوريا على أن تقع في هذه الأخطاء، إضافةً إلى الشخصيات السورية غير المركّزة في هذا المجال.

لذلك أنا اعتقد أنّ تجربة سورية خاسرة في إعطاء الفرصة لبعض المعقّدين من الوجود السوري في لبنان لأن يحيطوها بكلّ السلبيات صدقاً أو كذباً، هذا من ناحية طبيعة التجربة في الواقع الداخلي اللبناني. ولكنّنا نقدّر لسوريا منعها الحرب، ونقدّر لها دعمها للمقاومة في لبنان، كما نقدّر لها الآن مواقفها الصُّلبة في مواجهة أميركا في احتلالها للعراق، وفي دعمها للقضية الفلسطينية.

❋ هل هناك معرفة شخصية بأحد الرؤساء العرب أو الملوك، أو لقاءات؟

– لا، لم يكن لي ذلك، ولكن عندما حضرتُ المؤتمر الإسلامي في الجزائر، التقيتُ بالشخصيات الجزائرية، وعلى رأسهم الرئيس الشاذلي بن جديد عام 1987.

موسى الصدر

❋ كيف كانت علاقتكم بالسيد موسى الصدر؟ وهل كانت له قراءة مبكرة للوضع في لبنان؟

– كان زميلي في النجف الأشرف، وكنّا معاً في الحوزة العلمية هناك لمدة أربع سنوات، وكانت علاقتي به علاقة حميمة وودّية، حتّى إنّني أذكر أنّه عندما جاء إلى النجف من إيران، وأقام احتفالاً لمناسبة مرور سنة على وفاة والده المرحوم المرجع السيد صدر الدين الصدر، طلب منّي قصيدة في المناسبة، فنظمت قصيدة رثائية آنذاك، وامتدّت العلاقات بيني وبينه، ولاسيّما أنّه كانت لي علاقات مع السيد محمد باقر الصدر وأخيه السيد إسماعيل الصدر. وحين جئتُ إلى لبنان، وكان قد مضى عليه وقتٌ هنا، كانت علاقاتنا جيدة وكان بيننا تزاور وتشاور، مع اختلاف في بعض الخطوط السياسية، لأنّه كان يعيش في وضع ضبابيّ آنذاك حيث علاقاته، خصوصاً في الجانب العربي من جهة ما لُفِّق بحقِّه من تهم باطلَة عن علاقات له أميركية وغيرها، وثبت أنّها غير صحيحة. لقد كنّا نتناقش حول هذه الأمور، وحين أسّس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى...

❋ عذراً للمقاطعة، يُقال إنّكم حاولتم وإيّاه إقامة مجلس إسلامي شيعي ـ سنّي مختلط وليس مجلساً شيعياً بالكامل؟

– لقد تحدّثت مع السيد موسى الصدر، أنّه لماذا لا نؤسِّس مجلساً إسلامياً في لبنان يوحِّد السنّة والشيعة، وكان جوابه، أنّ «الشيخ حسن خالد لا يوافق على ذلك، أمّا أنا فلا مانع عندي أبداً».

ولمّا كان الوضع الطائفي في لبنان يفرض على المسلمين الشيعة أن يملكوا مجلساً، وكان يمكن أن ينفتح على المجالس الأخرى، كالمجلس الشرعي السنّي، لأنّهم كانوا موزّعين سياسياً ودينياً، لذلك كان رأيه تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي، في الوقت

الذي استفادت بعض الأوضاع السياسية اللبنانية من ذلك. وقد حدث عند تأسيس المجلس الشيعي خلاف حادّ بينه وبين الكثير من العلماء الشيعة. وسعيتُ مع المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين من أجل جمع الشمل. ولكنّني وأنا أسعى، كنتُ أقول إنّني «لن أنتخِب ولن أُنتَخَب»، لأنّ أسلوبي ليس ذلك، لأنّي أعمل في الساحة الإسلامية العامة.

ولذلك عندما أُسّس المجلس الشيعي، واندفعت الناس للتهنئة، لم أذهب للتهنئة. وإنّما زرته بعد ذلك، بعد أن هدأت الأجواء، وكنا نلتقي ونجتمع ونتشاور في داخل المجلس في أكثر القضايا التي كانت تُثار في ذلك الوقت. كانت علاقتي به علاقة جيدة جداً مع بعض الاختلاف في بعض الآراء.

❋ ماذا ترى في مسألة تغييبه؟ والمصير الذي آل إليه؟

– أنا قلتُ منذ البداية، أعتقد أنّه قُتِل منذ اختُطِف، وأذكر أنّي قرأت آنذاك في مجلة «الأسبوع العربي» مقالاً لجورج أبو عضل، أنّه كان يقول إنّ هذه القضية (قضية السيد موسى) من القضايا التي لم يُكشف عنها النقاب، وأنّها كالكثير من القضايا كقضية نسيب المتني وغيرها، ومعظم الاغتيالات التي حصلت. أمّا الحادثة الوحيدة التي كُشِفَت فهي قضية اغتيال مهدي بن بركة، لأنّ الرئيس ديغول أصرّ على أن تُكشَف، واكتشف بأنّ الجيش الفرنسي هو الذي كان وراء ذلك. هكذا كتب.

ثمّ إنّي قرأتُ في ذلك الوقت في مجلة الحوادث اللبنانية مقالاً للكاتب المصري جلال كشك، يقول: «لو أنّ القذّافي قدّم جثّة السيد موسى إلى الشيعة، لبكاه الشيعة ورَثوه، ولكن يُراد لهذه القضية أن تبقى هكذا».

ثم إنّي كنتُ أفكّر وأصرّح بأنّ السيد موسى لم يُخطَف ليبقى، لأنّ الذين خطفوه لو أظهروه لأحرجهم وأربكهم، ثم إنّي لاحظت شيئاً، أنّه عندما جاء القذّافي في تلك المرحلة إلى سوريا للمشاركة بعنوان «جبهة الصمود والتصدّي»، وتحدّث معه الشيخ عبد الأمير قبلان عن السيد موسى؟ قال: مَن نائبه؟ قال له: الشيخ محمد مهدي شمس الدين. قال سلّموا لي عليه. وكان عبد الحليم خدّام والملك حسين يقولان: رحمه الله. فما أقصده أنّ هناك عدّة جوانب تؤكّد أنّ السيد موسى الصدر قُتِلَ بعد خطفه. وأذكر أنّي تحدّثت مع الشيخ رفسنجاني عن موضوع السيد موسى، فقال لي: ما رأيك؟ أجبته: أعتقد أنّ السيد موسى الصدر قُتِل. فقال: وهذا رأينا في إيران

أيضاً. قلتُ له: لماذا لا تنشرون؟ أجاب: لا مصلحة في ذلك.

*** هذا النوع من جرائم الاغتيال؛ من اختطاف السيد موسى الصدر، إلى اغتيال الرئيس رفيق الحريري، هل لا يمكن أن يشترك فيها طرفٌ واحد؟**

– من الطبيعي جدّاً أنّ الذي يقوم بها طرفٌ واحد، ولكن يشترك في تأثيراتها المعقّدة على الواقع السياسي من جهة، أو الإسلامي من جهة ثانية، أكثر من طرف، فلا إشكال في أنّها تنطلق من خلال مخابراتٍ دولية تتلاقى على إخفاء الموضوع. ولعلّكِ تذكرين أنّ عرفات عندما اختلف مع القذافي، صرّح بأنّ عنده ثمانية عشر دليلاً على أنّ السيد موسى قد قُتِل في وقتها. وثار عليه هؤلاء الناس في لبنان وعندما وصل إلى النقطة الأخيرة، أمسك عن الكلام.

حافظ الأسد

*** نحن نعرف أنّ الرئيس الراحل حافظ الأسد توفي ولم يقبل بالتوقيع على صلحٍ مع إسرائيل، رغم كلّ ما قُدِّم له من قِبَل الأميركيين، ولاسيما من قِبَل الرئيس السابق كلينتون في جلسة «جنيف» الشهيرة قُبَيل وفاته، فهل لاحظتم، في جلستيكم معه، أنّه كان يملك حدساً شخصيّاً في نظرته إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي؟**

– أنا شخصياً، وفي الجلستين معه، لاحظتُ أنّ الرجل كان متصوِّفاً في قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وكان لا يطيق المسألة اليهودية ـ الإسرائيلية، وكان يعتقد أنّ إسرائيل تمثِّل خطراً على المنطقة كلّها. ولذلك فإنّه عندما جاءه السادات وعرض عليه انسحاب إسرائيل من الجولان لتوقيع صُلح مع إسرائيل، رفض ذلك، علماً أنّ الجولان قُدِّم له على طبقٍ من ذهب. وحتّى عندما أصرّ على خطّ الرابع من حزيران، مع أنّ القضية قضية أمتار، فإنّه رفض كلّ العروض.

*** هل كان يتوجّس من الإقدام على هذه المسألة؟**

– أتصوّر أنّه كان لا يطيق هذا الأمر، مع أنّ الواقعية كانت تفرض عليه ذلك، وضغط احتلال الجولان أيضاً يفرض عليه ذلك، وكذلك الأوضاع السياسية، خصوصاً بعد صلح المصريين مع إسرائيل، ولكنّه كان لا يتمنّى أن تصل به الظروف إلى توقيع صلح مع إسرائيل.

❊ هل تحدّث معكم في قضية بناء مساجد، وقضية انتمائه إلى المذهب السنّي؟

– لم يتحدّث لي عن المسألة السنيّة والشيعية أبداً، بل كان يتحدّث بمرارة عن هؤلاء الموجودين في المجتمع العلوي، وخصوصاً المرشدين الذين يتحدّثون عن ألوهية الإمام علي (ع). كان يتحدّث بمرارة فوق العادة، وكان يقول: إنّنا كنّا ونحن شباب نسترق السمع إلى مشايخنا الكبار الذين كانوا يتحدّثون عن هؤلاء بشكلٍ قاسٍ وسلبيّ. لأنّ هؤلاء يشوّهون صورة العلويين في هذا المجال.

❊ يعني هناك أصولية عند كلّ طرف وفي كلّ بيئة؟

– نعم، أذكر أنّي قلتُ له: إنّ المسافة بينك وبين أقرب الناس إليك هي ثمانون درجة، فماذا بعد حافظ الأسد؟ هل أعددت شخصاً أم ماذا؟

❊ بماذا أجاب؟

– لم يجب، وأذكر كأنّي رأيت غمامةً سوداء على وجهه، وقد قال لي: إذا كنت تريد موقعاً في لبنان فنحن مستعدون. فأجبته: سيادة الرئيس، أنت رئيس سوريا، ولكنّك تتحرّك في العالم العربي، وأنا أمثّل هذا الموقع الإسلامي المحدود، ولكن أتحرّك في العالم الإسلامي، أنا أشكرك، ولكن لا أطمع بأيّ موقع في لبنان.

❊ هل كانت قراءاته مقتصرة على السياسة فقط؟ أم إنّه كان يتابعك سياسياً وفكرياً، ويتابع آخرين؟

– لعلّه كان يتابع المسألة من الناحية السياسية والفكرية. وكنت أجد منه احتراماً فوق العادة، حتّى إنّه قال لي عندما افترقنا: «المكتب مكتبك، وفي أيّ وقتٍ تريد الحديث معي لنتشاور في أيّ أمر فأنا مستعد».

❊ هل تحدّثتم بالأخطاء والإيجابيات، إنْ كان على الساحة اللبنانية أو غيرها؟

– لم تكن الأخطاء واضحة، ولكنّه كان يقول لي: أنا لستُ مرتاحاً لأن أبعث بجنودي إلى زقاقات بيروت ليخرَبُوا...

*** يُقال إنّكم كشخصية إسلامية كبيرة لم تخوِّن ياسر عرفات، مع أنّكم لم تلتقوه؟**

– أنا قلتُ إنّ الرجل يحمل ذهنية تقليدية كذهنية الحكّام العرب، كان يحمل ذهنية عالَم عربيٍّ، ولكنّه لم يكن خائناً للقضية الفلسطينية بما يفكّر به الخونة، لأنّه لم يكن يحتاج مالاً أو موقعاً، ولكنّ الرجل كان مخطئاً.

*** بدليل أنّ «فتح» تتصرّف هذه الأيام وكأنّها قبيلة من العصر الجاهلي؟**

– الشيء نفسه.

*** راشد الغنوشي، كيف علاقتكم به؟**

– راشد الغنوشي لي علاقة صداقة معه، وقد التقيت به في لبنان خلال المؤتمر القومي ـ الإسلامي، لأنّه كان يريد حضوري للمؤتمر. وزارني في الشام، وقال لي إنّنا نشجِّع محازبينا على قراءة كتبك، لأنّها كتب إسلامية عامّة وفكرية. ولاحظتُ أنّه يحتفظ بكتابي تفسير «من وحي القرآن»، حيث كان في بعض مقابلاته يظهر خلفه في بعض المشاهد والصور.

*** حسن الترابي، ماذا يشكّل في الفكر الإسلامي؟**

– لم يكن لي علاقة به، ولا أعتقده مفكّراً إسلامياً بالمعنى الذي يفكِّر فيه مثلاً الشيخ راشد الغنوشي، كان رجلاً يملك شخصية تختزن طموحات السلطة وكان يبحث عنها.

*** السيد محسن الأمين العاملي؟**

– كان شجاعاً في إصلاحيّته، ونحن نعرف أنّه أول من أطلق الفتوى بتحريم ضرب الرؤوس بالسيف، والظهور بالسلاسل، وبعض الوسائل في إثارة قضية الإمام الحسين (ع)، وكان وحدوياً إسلامياً. وأذكر أنّه نُقل لي ـ وقد قالها في أربعين السيد محسن الأمين الدكتور مصطفى السباعي (مؤسّس حركة الإخوان المسلمين في سوريا) ـ أنّه جاءَهُ شخصٌ سنّي وقال له: أريد أن أصير شيعياً، فقال له: لا فرق بين السنّة والشيعة، فأصرّ، فقال له: قُل أشهد أن لا إله إلا الله. فقال قل: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فقال، فأجابه السيد الأمين: صِرْتَ شيعياً.

قادة حزب اللّه

*** ... سماحة السيد حسن نصر الله وعلاقتكم به؟**

- السيد نصر الله كان يتردّد على مسجد النبعة، وكان تلميذنا، وكان يدرس في المسجد، وعاش في أجوائنا الإسلامية، وكان يقول إنّه يرى المثل الأعلى في فلان (أيّ سماحة السيد فضل الله)، وكان يتردّد عليّ دائماً مع المرحوم الشهيد السيد عباس الموسوي، وكانا يستشيرانني في الكثير من القضايا، خصوصاً أنّني أنا الذي ساعدت السيد عباس الموسوي على إقامة الحوزة الدينية في بعلبك، والتي تخرَّج منها السيد حسن نصر الله، وانطلقت العلاقات بشكلٍ جيد، حتى دخلت بعض التعقيدات التي تتّصل بالعلاقة مع بعض الأخوة في إيران. والعلاقات الآن جيّدة، وهو رجلٌ أُقدِّر ذكاءه وعناصر شخصيته وإخلاصه في المسألة الفلسطينية، وقضية المقاومة، وفي المسألة الإسلامية العامة.

*** هل يُحزن شعورك عندما تتوجّه تحيّة في مهرجان التحرير عام 2000 من السيد نصر الله لمن دعموا المقاومة، لا يأتي على ذكركم، علماً أنكم من روّادها ومطلقيها؟**

- لقد كان ذلك من ضمن التعقيدات التي عانيتها في تلك المرحلة، سواء ما يتّصل منها بتعقيدات المسألة الإيرانية أو الساحة اللبنانية.

*** هل لا زلتم تعيشون حالة التهديد الأمني؟**

- لا زلتُ أعيش هذا الموضوع، خصوصاً مع تنوّع الجهات التي تتحرّك في هذا الاتجاه، ولاسيّما من الإسرائيليين والأميركيين والتكفيريين، ولكنّي على ثقة بالله، وأقول دوماً: كفى بالأجلِ حارساً.

6 ـ 6 ـ 2006

*** بالنسبة إلى أمين عام حزب الله السيد عباس الموسوي. ماذا عن أوّل لقاء معه؟ وهل كان لقاءً بهدف إطلاق المقاومة؟**

- السيد عباس الموسوي كان في النجف بدايةً، ولم يكن من تلامذتي، وكان أوّل أمره

يدعو إلى تقليد السيد محمد باقر الصدر، قبل أن تتطوّر الأمور في قضية المقاومة أو الإمام الخميني (قده)، ثمّ بعد ذلك ارتبط بالإمام الخميني، ولكنّه لم يكن بارزاً في مسألة المقاومة بالشكل الواضح في ذاك الوقت. جاء إلى لبنان من النّجف وكلّ ما كان يفكّر فيه في طموحاته هو إنشاء حوزة، لأنّه كان يُدرِّس طلاباً في النّجف ليجمعهم مع غيرهم، وكانت فكرته إنشاء هذه الحوزة في النبي شيت أو بعلبك.

وطلب منّي أن أدعم هذه الحوزة، كما طلب ذلك من الشيخ شمس الدين (ره) الذي لم يتجاوب في حينها مع السيّد عباس، بينما بالنسبة إليّ، تجاوبتُ معه، وأشرفنا على تأسيس حوزة في بعلبك، وتكفّلت بدفع الرواتب والمساعدات للطلّاب لمدّة طويلة في هذا المجال. وقد جمع السيّد عباس طلّابه وأشرف على تدريسهم، فالحوزة كانت قضيّته. ثمّ حين انطلقت ثورة الإمام الخميني، انفتح عليه، ما انعكس سلباً على العلاقة مع الأجواء المتعلّقة بالسيّد الخوئي (قده)، الذي كان مرجعاً أعلى للشيعة في العالم. وبدأ الحديث حينها عن أشخاص يتحرّكون في الخطّ الإيراني آنذاك، ويحيطون بالسيّد عباس، وصاروا يتحدّثون بالكلام القاسي ضدّ السيد الخوئي، وكنتُ حينها وكيلاً مطلقاً له، ومع ذلك لم أقطع مساعدتي للحوزة ونحوها.

ولكن اللّافت هو أنّ كلّ هذا الجوّ الذي كان يحيط بالسيّد عباس، والذين ساروا معه، أهملوا علاقتي بموضوع الحوزة، حتّى إنّ بعض من ألّف كتاباً في السيّد عباس وانطلاقته، لم يذكر دورنا في ذلك، وأعتقد أنّني لو لم أشرف وأُساعد على تأسيس الحوزة، لما كانت تأسّست حينها.

ثمّ كانت علاقتي بالسيّد عباس جيّدة، كان يزورني ويستشيرني في الأمور بمعظمها، ولاسيّما بعد تأليف وتشكيل حزب الله، وكان يتردّد إلى مسجد بئر العبد لأداء صلاة الجمعة، وكنتُ منفتحاً على مختلف القضايا، وقد طلب منّي أن أُحدِّد موقفي من تشكيل حزب الله، فقلتُ له: أنا لستُ جزءاً من حزب الله، ولكن تشاورونني في الأمور، فما أتّفق به معكم أُغطّيه، وما أختلف به معكم نرى طريقة في سبيل إخراجه كي لا يحدث إساءة لأحد.

لقد كان يتردّد عليّ، وكانت العلاقات جيّدة رغم بعض السلبيات، وكانت العلاقات مع حزب الله في تلك الفترة جيّدة جدّاً، وكذلك مع الإيرانيين في تأييدي للثورة الإسلامية

أيضاً كانت جيّدة، وحين استُشهِد السيد عباس، ذهبتُ إلى بلدته النبي شيت وصلّيت عليه، وألقيت كلمة في ذكرى مرور أسبوع على استشهاده. كانت علاقتي به جيّدة، ولم يكن هناك مشكلة.

*** ولكن هناك بعض قيادات المقاومة استفتتكم حول ذلك، ومنهم الشهيد محمد سعد؟**

– نعم، ومنهم المرحوم الشهيد محمد سعد، وكان له صلة خاصّة بي، وكان يستفتيني في أن يقوم بعملية استشهادية ضدّ الإسرائيليين، وأنا قلتُ له إنّي مؤمن بذلك، ولكنّ الشخص الذي يمكن أن يحقّق نتائج على المستوى الديني والسياسي والعسكري ورعاية الناس، له دور قيادي ينبغي أن يكون أكبر من شهيد في عملية استشهادية.

*** ما فهمتُه من سماحتكم، أنّه كان لكم دور رئيسي في تغطية جانب العمليات الاستشهادية، وسبق وسمعت بذلك من أحد الأشخاص على علاقة بهذا الأمر؟**

– قلتُ إنّني كنتُ مؤمناً بهذا العمل، وأرى أنّ العمليات الاستشهادية في مواجهة العدو الإسرائيلي تمثّل وسيلة من وسائل الجهاد، لأنّه ليس هناك فرق بين أن يندفع الجندي إلى قتال العدو وهو يُرجّح أنّه سيستشهد برصاص العدو، وبين أن ينطلق ليقوم بعمليّة استشهادية تقتل عدداً من الأعداء ويموت على هذا الأساس، وأنا أعتبر أنّ العمليات الاستشهادية ضدّ العدو هي عمليات جهادية.

*** مولانا، نُقِل عنكم أنّك لم تفتِ بأيّة نقطة دم إلاّ في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي؟**

– هذا صحيح، وأنا لم أوافق على أيّة عملية فدائية ضدّ أيّة جهة، ولذلك أنا أنكرت كلّ التفجيرات التي حصلت خارج إطار الصراع مع إسرائيل.

*** ولكن تمّ توجيه بعض التّهم إليكم فيما يتعلّق بتفجير مقرّ قوات المارينز عام 1983، وأيضاً مقرّ قوات المظليين الفرنسيين؟**

– لم يكن لي أيّ دور في وذلك، وقد اتُّهمت به.

*** وما الذي تعرفونه عن هذه الحادثة؟**

– أنا أنكر أنّي كنت مرشداً إسلامياً للساحة كلّها، سواء المنتمين إلى حزب الله أو إلى التيار

الإسلامي الإيراني أو غيرهما. ولكن لم أدخل في عملية إفتاء، ولم أعرف بقضية ما حدث للمارينز والفرنسيين إلاّ بعد حصول العمليات. ولهذا استغربنا عندما وجّهت إلينا التّهم، وقلتُ إنّها أسخف من أن يُردّ عليها.

*** هل سماحتكم ترجّحون أنّها فعلاً عمليات انتحارية؟**

– نعم، لا إشكال. ومسألة اتهامي بهذا الموضوع كان ناشئاً من أنّه لم يكن هناك لهذا الوضع الإسلامي السياسي من رمز، وأنا كنتُ المرشد والرمز بالنسبة إلى الصحف والإعلام، من خلال خطب وإرشادات مسجد بئر العبد. حتّى إنّه في اليوم الذي حدثت فيه مجزرة بئر العبد، جاءت أغلب الصحافة الغربية وغيرها ليسجّلوا اللحظات الأخيرة معي، وأنّه من خلال المعلومات لديهم، كانوا يعتقدون أنّها لحظاتي الأخيرة. كما أنّ إذاعة الكتائب حينها قالت إنّ فلاناً (أي السيّد) أصبح تحت الأنقاض. لقد كانت وسائل الإعلام في وقتها حاضرة بشكل مكثّف، وتودّ «ولو كلمة» ليقال إنّها الكلمة الأخيرة لفلان.

أنا أقول، كانت المسألة في ما يتعلّق بهذا الموضوع، أنّه كان يُراد كبش فداء وشخص يُشار إليه في هذا المقام، ثمّ بدأنا نقرأ في مذكّرات وليم كايسي، وما ذُكِر في الواشنطن بوست، عن محاولة الاغتيال، وحتّى ريغان صرّح حينها بأنّه لم يُعْطِ أمراً بذلك، كما قال.

*** لا يمكن لأحد المرور على الثمانينيّات دون ذكر أزمة الرهائن، وما عُرِف حول هذا الموضوع؟**

– في الواقع، كنت ضدّ قضية خطف الرهائن مئة بالمئة من الناحية الإنسانية، وخصوصاً إذا كان هؤلاء الرهائن ممّن لا دخلَ لهم ولا علاقة في أيّة مسألة سياسيّة أو عدوانيّة، ولقد سجّلت احتجاجي في قضية «ميشال سورا» باعتباره عالماً، ووضعتُ اسمي إلى جانب الأسماء المستنكرة لخطفه، ولهذا كنت ضدّ الخطف، إن لجهة الجانب الإنساني أو الشرعي، أو لجهة الجانب السياسي لخطف الرهائن، لأنّها تعطي نتائج سلبية في هذا المقام. ولعلّه كان من المحرج لي أنّ كلّ الناس الذين لهم علاقة بالمخطوفين كانوا يأتون إليّ ليتوسّطوا لديّ، حتّى من خلال الأميركيين وغيرهم في هذا الموضوع. بطبيعة الحال، لقد وضع اسمي في هذه الدائرة دون أساس، وبالعكس، فأنا حقيقةً كنتُ أسعى بشكلٍ جديٍّ في سبيل إطلاق الرهائن، ولكن لم أُوفّق في أيّة حالةٍ من الحالات، ولكن وفّقت في إطلاق

بعض الشخصيات اللبنانية.

*** مثل وزير الخارجية اللبناني والنائب السابق جان عبيد؟**

- مثل جان عبيد والطبيب منير شمّاعة.

*** لكنّهم أطلقوا من منزلكم؟**

- لقد كان خطأً كبيراً أن يطلقوا من منزلي، والموضوع أخذ تفسيراً غير واقعي. أنا لم أوفّق بإطلاق أيّ رهينة، وحين كان يأتي الساعون في إطلاق المخطوفين، وأغلبهم من الأجانب، كانوا يأتون على اعتبار أنّهم يعتقدون أنّه إمّا لي علاقة، وهذا غير حقيقي أبداً، وإمّا لي تأثير على الخاطفين.

*** هل تذكر مَن مِنَ الأجانب؟**

- لا أذكر، وإنْ كنت أذكر محمد علي كلاي (بطل الملاكمة الأميركي العالمي).

*** هل كنتم تعرفون الجهة التي تقوم بهذه العمليات؟**

- لم أكن أعرف الجهة بالشكل المباشر، ولكنّني أعرف الجوّ والمُناخ.

*** ألا تعتقد أنّها ـ أي خطف الرهائن ـ كانت من الأخطاء الكبيرة، إذا أردنا تقييم الموضوع؟ وما هو دور إيران في ذلك؟**

- كنتُ أعتقد أنّه من الأخطاء السياسية والإنسانية الكبيرة، لأنّ الخاطفين لم يستطيعوا أن يحصلوا على شيء، أيّ شيء. وربما استفادت إيران بطريق غير مباشر من خلال ذلك، لأنّها ساهمت في إطلاق البعض في هذا المجال.

*** هل كانت إيران وسيطاً أم صاحبة هذا الموضوع؟**

- ليس لديّ فكرة، ولا يمكن اتّهام إيران كدولة في هذا المجال.

*** هل تذكر ما دار بينك وبين جان عبيد حين أطلق سراحه من بيتك؟**

- لا أذكر ذلك حقيقةً، لكنّه رجلٌ أقدِّره وأحترمه، وهو صديق عزيز، ورجل يملك فكراً وعقلاً متوازناً، وأيضاً يحفظ الكثير من القرآن والشِّعر، ولا تزال صداقتنا إلى الآن.

*** لو أنّكم لا زلتم تعيشون في العراق، فهل كنتم ستعيشون هذا المُناخ المنفتح كالذي في لبنان، وقد أتاح لكم ما أتاحه من دور؟**

– عندما كنّا في النجف، كانت لدينا شجاعة الدعوة إلى الانفتاح، ولذلك كان من الصَّعب جدّاً للجوّ التقليدي أن يسيطر علينا، كما فعلنا ودعونا أنا والسيد محمد باقر الصدر (قده)، فقد كنّا نعيش الدعوة إلى الانفتاح، ولقد أعطانا لبنان الانفتاح على مستوى العالم، وجعل لدينا انفتاحات ولقاءات وحوارات واسعة جدّاً على مستوى العالم، ومن الطبيعي أنّ دخولنا إلى الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي، ساهم مساهمةً كبيرة في بلورة الكثير من الأفكار عندنا، وفي الامتداد مع كلّ الشرائح، سواء كانت علمانية أو مسيحية أو مذهبية سنيّة أو غير ذلك.

الساحة اللبنانية هي ساحة منفتحة على مستوى العالم، ومنفتحة داخلياً على مستوى التنوّع الفكري من خلال الحرية الموجودة في لبنان، والتي ليست موجودة في أيّ بلد عربي حتّى الآن.

*** هل خذلتك الحركات الإسلامية، وخصوصاً بعد وصول بعضها إلى السلطة؟**

– لقد كنتُ أفكّر دائماً في أنّ على الحركات الإسلامية أن تظلّ تعمل على تثقيف شعوبها بالإسلام بالطريقة الحضارية، وخصوصاً عندما تتسلَّم الحكم، فليس من المفروض أن تنسحب من الإسلام أو تخضع للخطوط الثقافية الغربية، أو تندهش بها لمجرّد أن تصل إلى السلطة.

وبهذا المعنى، فإنّني أشعر أنّ بعض هذه الحركات قد أساء إلى نفسه كما أساء إلى الإسلام، عندما تناسى الهمّ الإسلامي، وبدأ ينغلق على ذاته السلطوية والإقليمية، وبدأ يتخلّى عن النّظرة العامة لما يخطّط له الاستكبار على مستوى المنطقة، وهنا يبدو الخذلان كبيراً، لأنّه لا يتّصل بالمسألة الشخصية، بل يتّصل بالمسألة الإسلاميّة والسياسيّة العامة.

لقد كنت أركّز دائماً على ألّا تهرب المسألة الإسلامية لحساب المسألة الإقليمية أو الوطنية. وإن كنت أؤكّد أهمية التزاوج بين الجانب الوطني والجانب الإسلامي... لقد كنت أفكّر ولا أزال، أن يبقى العراق موحّداً على أساس الأغلبية الإسلامية، سواء أكانت

عربية أم كردية. ونحن نعتقد أنّ للأكراد حقوقهم، وعندما نؤكّد أن يأخذوا حقوقهم في المواطنية، فليس معنى ذلك أن يتحوّلوا إلى دولة كردية، لأنّ ذلك سيفسح أيضاً في المجال أمام الحديث عن دولة تركمانية وهكذا... إنّنا نريد للإسلام أن يجمع العرب والتركمان والكرد وغيرهم... وكما نفكّر بالنسبة للعراق، نفكّر بالنسبة لإيران، أن لا تكون الفارسية هي التي تطبع هذا البلد بطابعها الخاص، بل أن يطبعها الإسلام بطابعه العام؛ ليضم الإسلام كلّ أقليّاتها، وتحتضن كلّ عناصرها وأعراقها، وهذا ما نفكّر فيه على مستوى العالم العربي والإسلامي.

*** هذا يفترض أنّه ليس من المبالغة القول إنّ التنوّع على الساحة اللبنانية والحدّ المعقول من الحرية يُساعد إيجاباً حتّى لو كان له مردوده السلبي؟**

– وهو كذلك. شخصياً كنتُ أقول إنّ الحرية هي سرُّ لبنان، ونقاتل لأن يبقى لبنان حرّاً، وحتّى قيل لي في وقت من الأوقات: لو طُلِبَ منك أن يكون لبنان جمهورية إسلامية، قلت: لن أوافق على ذلك، لأنّ الإسلام يستفيد من لبنان الحرية أكثر ممّا لو كان جمهورية إسلامية مثلاً.

*** عندما سألتكم عن المقارنة بين العراق ولبنان، بدا أنّ مرحلة وجودكم في العراق كانت أغلبها دراسات فكرية ودينية وفقهية، ألم يكن لديكم هناك عمل سياسي؟**

– لم يكن هناك عمل سياسي، بل كان هناك انفتاح سياسي.

*** ليس عملاً سياسياً بالمعنى الذي عشتموه في لبنان؟**

– كان عملاً سياسياً بمعنى التحضير لحركيّة إسلامية، سواء من الناحية التنظيرية أو العملية. فهناك كتاب «قضايانا على ضوء الإسلام»، الذي هو افتتاحيات مجلّة الأضواء، كانت هذه الافتتاحيات كلّها تعتبر سياسية في التنظير للحكومة الإسلامية والانفتاح عليها والوقوف أمام الاستعمار.

*** لقد أشرتم إلى سلوكيات معيّنة لبعض الحركات الإسلامية في القضايا الإستراتيجية، فقد اعترضتم على أنّهم لا يؤدّون دورهم، خصوصاً في موضوع احتلال العراق، فقد أصبح هناك**

خروج عن النمط الذي تعتمدونه؟

– بالرغم من أنّي وقفتُ موقفاً صُلباً أمام الاحتلال الأميركي للعراق، ولم يكن الجوّ ملائماً في العراق في بداية الاحتلال للثورة ضدّ الاحتلال الأميركي بالطريقة العسكرية وطريقة المقاومة، ومع ذلك، فإنّ الكثيرين ممّن تربّوا على أفكارنا وكُتبنا، لا يزالون يعيشون معي ولم يتأثّروا سلباً في المواقف، وإن كانوا أطلقوا العتب في بعض الحالات.

*** كيف كان وقع نبأ سقوط بغداد واحتلال العراق، عليكم؟**

– كنتُ أشعر بالكارثة، وكنت أشعر بأنّ صدام حسين يتحمّل المسؤولية كلّها، لأنّه أوّلاً كان أميركياً منذ البداية، وثانياً بسبب أسلوبه في إدارة الوضع في العراق، وفي حروبه ضدّ إيران وضدّ الكويت وضدّ الشعب العراقي، وتدخّله خصوصاً في لبنان ضدّ فئات معيّنة أثناء الحرب، حيث كان إلى جانب فريق ضدّ فريق آخر. إنّه ساهم في إعطاء الظروف الواقعيّة لاحتلال أميركا للعراق، لأنّه أظهر مسألة الاحتلال كعنصر إنقاذ للشعب العراقي وللواقع العربي.

*** مولانا، ولكن بعض الإسلاميين لم يأخذوا بملاحظاتكم في الدعوة إلى مقاطعة المحتل؟**

– أعتقد أنّني استطعتُ أن أُهيِّئ الأجواء والأفكار والظروف لما يحدث الآن من مواجهة المحتل بطريقة وبأخرى.

*** أوّل عمل قمتم به صبيحة احتلال العراق؟**

– لقد دعوتُ إلى مواجهة الاحتلال بكلّ الوسائل، ودافعت أيضاً عن الشيعة في العراق في اتّهامهم باستقبال المحتل في البصرة بالورد، بأنّهم على العكس من ذلك، استقبلوه بالرصاص إلى درجة أنّ المحتل بقي أربعة أيام حتى دخل إلى تلك المناطق.

*** هل أجريت اتّصالات مع شخصيات عراقية محدّدة ومعيّنة لتحديد أمر معيّن، أم اعتمدت فقط وسائل الإعلام؟**

– اعتمدنا وسائل إرشادية مباشرة وغير مباشرة، وكان هناك اتصالات مع بعض الشخصيات العراقية، ومنهم أياد علاّوي، الذي كان رئيساً للحكومة العراقية آنذاك، وقد زارني في الشام، وتحدّثت معه بشكلٍ قوي حول وضع العراق، حيث حذّرته من أميركا وما تخطّط له على مستوى العراق والمنطقة كلّها.

*** هل تعتبرون أنّ العراق وما يعيشه لا يزال في مرحلة مخاض عسير؟**

– أعتقد أنّ العراق لا يزال في طور الكارثة، لأنّ الاحتلال الأميركي يريد البقاء طويلاً، وأعتقد أنّ الاحتلال الأميركي، والبريطاني معه، يخطّطان لتبقى الفوضى في العراق ولإيجاد حجّة لإقامة طويلة فيه.

*** هل لديكم مؤسّسات في العراق كالتي تشرفون عليها هنا في لبنان؟**

– لدي مؤسّسة لإغاثة الأيتام، وهي تضمّ أكثر من أربعة آلاف يتيم، يُقدم إليهم في كلّ شهر مساعدات نقدية أو مساعدات عينيّة، كما أنّ لدي مراكز ثقافية تحت عنوان مركز الإمام الصادق (ع) في أغلب محافظات العراق، وذلك بعد فترة سقوط حكم صدّام حسين.

*** لماذا يقيم الشيعة مؤسّسات منفردين، وكذلك السنّة؟ لماذا لا يُصار إلى إقامة نوع من التجربة الثقافية المختلطة وغير ذلك؟**

– حاولنا، ولا زلنا، وكنتُ من أوّل مَن ساهم في إنشاء «تجمّع العلماء المسلمين»، باعتبار أنّي شجعت هذا التجمّع ليكون هناك جمعية للشيعة وللسنّة معاً في هذا المجال، ولي علاقات مع الكثيرين من علماء السنّة والشيعة، ولكنّ الواقع الإسلامي هو واقع معقّد في هذا الجانب، حتّى إنّي كنتُ أدعو إلى القيام بجهود مخلصة وكبيرة لتوحيد الصفّ الإسلامي.

السيد السيستاني

12 ـ 6 ـ 2006

*** كيف هي علاقتكم مع المرجع الديني السيد علي السيستاني؟ وهل أنتما من مدرستين مختلفتين في الفقه والاجتهاد والمرجعيّة؟**

– لعلّه في باب الفتاوى هناك تقارب، ولكن ليس بالمستوى ذاته، وهناك قضايا وفتاوى تثير حساسية الناس قد لا يكون لديه شجاعة التصريح بها. ولذلك فربّما يكون هناك نوع من الخلاف في طريقة مواجهة موجة الانفعالات والحساسيات الشعبية في الآراء والفتاوى المثيرة للجدل.

*** هل هو صاحب موقف سياسي وخطّ سياسي؟**

– لا، ليس صاحب خطّ سياسي، ولكن طبيعة الظروف التي فرضت عليه جعلته يتدخّل في بعض الشؤون العراقية، ويعطي التوجيهات السياسية في العراق، وإلاّ فهو لم يُعرف عنه أنّه كان يملك موقفاً سياسياً يتحمّل مسؤوليته على مستوى العالم الإسلامي.

*** هل هذا يدخل في ما عُرف بالحوزة الناطقة والحوزة الساكتة؟**

– طبعاً أنا أختلف معه في شأن المدرسة التي انطلقت فيها، فهي المدرسة التي لا تأخذها في الله لومة لائم، هي المدرسة التي تصدم الواقع وتشرح ولا تخشى أيّة سلبية من خلال ذلك. وقد تحمّلت كلّ السلبيات على المستوى السياسي والفقهي الشرعي والتاريخي.

ولذلك، فأنا مدرسة تختلف اختلافاً كبيراً عن مدرسة السيد السيستاني، ولكنّ السيد السيستاني يمتاز عن الكثير من أقرانه من المراجع الشيعية، بأنّه رجلٌ يقرأ ويتابع الأحداث، وإنْ كان لا ينطلق بصلابة وشجاعة في مواجهتها.

*** قادة حزب الدعوة الموجودون الآن في العراق، والذين منهم الآن بعض الرموز في السلطة والحكم، هل هم على اتصال بسماحتكم؟ على صداقة معكم؟**

– أغلب كوادر حزب الدعوة عاشوا في ثقافتهم، سواء السياسية أو الدينية، على الخطوط التي تحرّكت فيها منذ أكثر من ربع قرن، ولذلك فالكثيرون منهم هم ممّن تثقّف على كتبي أو على أحاديثي معهم، حين كنت ألتقي بهم في زياراتي لإيران، وخلال حضوري لبعض المؤتمرات في لندن وفي الشام. ولهذا، فعلاقتي بهم لا تزال علاقة وثيقة وفوق العادة، وإن كنتُ أتحفّظ في بعض مواقفهم التي يعيشونها في الظروف العراقية التي تفرض عليهم أن يتحمّلوا مسؤولياتهم عن الشعب العراقي من دون أن يكونوا موافقين على الاحتلال الأميركي، ولا تزال العلاقات مستمرة بشكلٍ وبآخر.

*** هل يستشيرونك؟**

– قد تحصل هناك استشارات عند اللقاءات المباشرة أو بالمراسلة.

*** يعتبر البعض أنّكم اتّخذتم قراراً أجحفتم فيه بحقّ أنفسكم، حين دعوتم إلى تقليد السيد السيستاني أو الرجوع إليه بالاحتياط، حتَّى قال بعض علماء الشيعة: لماذا لم يدعُ السيد فضل**

الله إلى نفسه؟

- لم تكن المرجعية طموحاً شخصياً لي، بمعنى التقليد الفقهي، لأنّي كنتُ مشغولاً بقضايا العالم الإسلامي كلّه على المستوى الثقافي والسياسي. ولهذا لم أرد لنفسي أن تحصل مشاكل في مسألة المرجعية التي يغلبُ عليها الجانب التقليدي، لأنّي لا أريد أن أكون تقليدياً في الجانب الشيعي أو الواقع الإسلامي، ولذلك فقد أرجعت إلى السيد السيستاني، ليس بصفة كونه الأعلم عند تقليد الأعلم، ولكن لأنّه مجتهد، وقد شهد لي به بعض الفضلاء والعلماء في هذا المقام بطريقةٍ أو بأخرى أكثر ممّا هو الواقع.

*** عن السيّد مقتدى الصدر والمرحوم والده المرحوم السيد محمد صادق الصدر، هل كان هناك علاقة مع أحدهما؟**

- لقد كانت لي علاقة مع والده عندما كنتُ أحد المشرفين على مجلة الأضواء في النجف الأشرف قبل حوالى 47 سنة، وكان يأتي إلينا ليقدّم لنا مقالاته في ذلك الوقت، ولم تكن هناك علاقة مباشرة قويّة معه. ولكنّني عندما انطلق في العراق، أيّدتُ كلامه بصلاة الجمعة التي لم تكن معهودة لدى المرجعيات الشيعية في العراق، وأصدرت بياناً مؤيّداً لذلك في ظلّ النظام العراقي السابق. وعندما استشهد عن طريق اغتيال الطاغية صدام له، أصدرت بيانات حادّة وقويّة ضدّ الذين أساؤوا إليه من خصومه من الشيعة أو في الحوزات، وكذلك ضدّ الطاغية في ذلك الوقت. وقد وقفتُ حينها موقفاً صُلباً. أمّا بالنسبة إلى السيّد مقتدى، فليست هناك علاقة مباشرة معه، ولكنّي كنتُ أشجّع الكوادر الإسلامية المثقّفة في العراق، مثل حزب الدعوة على أن يقتربوا منه من أجل ترشيد حركته، حتّى تتحوّل إلى حركة إسلامية مركّزة، لها منهج وتخطيط، وأن تعمل على أساس تنقية أتباعه الذين لم يكونوا على خطّ عقلاني ثقافي مركّز.

اغتيال الحريري

*** ما هي قراءتكم السياسية لاغتيال الحريري بعد مرور عام على هذا الحدث؟ لماذا حصل هذا الاغتيال؟**

- هناك عدّة قراءات، فالرجل كما كان عبّر البعض، كان هدفاً لكلّ الدول. الرجل تربطني

به صداقة قويّة جدّاً، كان يزورني في الشام أيّام الحرب، وكان يأتي من الرياض زائراً لي ومن باريس كذلك، وكنّا نتحدث في كلّ الشؤون السياسية واللبنانية والفلسطينية والإسلامية، وقد كانت علاقتي قويّة به، ولكنّها تجمّدت عندما أصبح رئيساً للوزراء، حتّى إنّه لم يزرني إلاّ مرةً واحدة.

إنّي أتصوّر أنّ هناك أشياء قد تتّصل به مباشرة، باعتبار كونه سياسياً لبنانياً أثار الكثير من الجدل في الخطوط السياسية والاقتصادية، وخصوصاً في مشروع سوليدير الذي كان الكثيرون في داخل بيروت يقفون منه موقفاً سلبياً، لأنّه استطاع أن يحتويَ على كلّ أملاكهم دون أن يحدِّد أسعارها، وهناك أيضاً الجانب السياسي الذي كان يتحرّك في الدائرة المثيرة للكثير من الجدل الطائفي والحزبي في لبنان، إلى جانب المسألة الإسرائيلية أيضاً، وإلى جانب امتداداته في العالمين العربي والغربي، لأنّه كان شخصية مميّزة حقيقيّة في طريقته في إدارة الأمور.

لذلك كنّا نستقرب أن يكون للقاعدة دور في ما كان يُتحدّث به عن شخصية «أبي عدس»، باعتبار أنّ الطرح الذي طرحه في بيانه كان قريباً للتصديق، بأن تكون العملية ليست موجّهة إليه، بل موجّهة إلى السعودية، التي يرتبط بها برباطٍ وثيق، للثأر ممّا كانت تقوم به المملكة العربية السعودية ضدّ هؤلاء المتطرّفين بطريقة أو بأخرى. وربّما كانت هناك عدّة خطوط في الدائرة الإسرائيلية أو الدائرة العربية، فمن الممكن جدّاً أن يكون لإسرائيل دور في مسألة اغتياله لإرباك الوضع في لبنان، كما حدث مراراً. ولكنّ من الصعب جداً أن يحدِّد الإنسان الجهة التي قامت باغتياله أو التي خطّطت لاغتياله.

*** سؤالي ليس عن الجهة، وهذا يحتاج إلى تحقيق، ولكن هل كان الرئيس الحريري ضحيّة لمخطّطٍ ما لإرباك الوضع اللبناني والسوري والعربي والفلسطيني بشكلٍ عام؟**

- من المؤكّد جدّاً، وهو ما لاحظناه بعد اغتياله على المستوى السوري واللبناني، وحتّى على مستوى خلط الأوراق أميركياً وإسرائيلياً بالنسبة إلى لبنان، ولعلّ أكثر الجهات مصلحةً في اغتيال الحريري هي إسرائيل.

*** هل حاول الأمين العام السابق لحزب الله الشيخ صبحي الطفيلي الاستفادة من وجودكم ومرجعيّتكم؟**

- الشيخ صبحي صديق قديم، كان ولا يزال، يُقدِّر موقفي وينفتح على موقعي حتّى الموقع

المرجعي منه، ولا تزال العلاقة بيننا قويّة، ولكنّه يعرف هو وغيره أنّي لن أدخل في أيّة مشكلة بين طرفين. لقد حاولت الجمع بينه وبين الإخوان في حزب الله، ولكنّي لم أُوفّق في ذلك، ولا أُحمِّله المسؤولية.

*** لم يسبق للطائفة الشيعية في لبنان أن تكتّلت بهذا الشكل، وكما هو حاصلٌ في هذه الفترة، هل هو شعور بالخوف من حالة عداءٍ ما من الآخرين، أو نتيجة الشعور بالقوّة؟**

– أتصوّر أنّ هناك بعض الخطوط السياسية الإقليمية فرضت بعض ذلك، إضافةً إلى الكثير من الجدل والحساسيات التي كانت تتحرّك لدى بعض الخطوط السياسية في لبنان، سواء كانت طائفية أو غير طائفية، باعتبار الشيعة في لبنان يشكّلون خطراً على الواقع السياسي في لبنان وغير ذلك، إضافةً إلى بعض القضايا المحليّة التي فرضت عليهم ذلك.

*** ولكن نجحت للمرّة الأولى بشكلٍ ملفت، ففي فترة الاحتلال الإسرائيلي، كانت الطائفة الشيعية مستهدفة بالقتل المباشر في الجنوب أو في الضاحية؟**

– في تصوّري أنّه لظروفٍ سياسية إقليمية ومحليّة.

*** وانطلاقاً من وعيٍ ذاتي؟**

– (متابعاً) وشعور الجميع على مستوى القاعدة والقِمّة، بأنّ بقاء هذا الخلاف سوف يدمّر هذه الطائفة من الداخل.

*** أنتم من أكثر رجال الدين نصرةً للمرأة بما هي إنسانة، فما سبب هذا الشعور لتكون نصيراً ومدافعاً عن حقوقها وكيانها؟**

– لقد انطلقتُ منذ البداية من خلال فكرة أساسية من خلال دراستي للقرآن، أنّ الله لم يفرِّق بين الرجل والمرأة، فقد ساوى بينهما على مستوى القيم التي تتمثّل في الاثنين معاً، أو بالنسبة إلى القيم السلبية كالزنى والسرقة. كما أنّ الله ضرب مثلاً للكافرين امرأة نوح وامرأة لوط، وللمؤمنين امرأة فرعون.

ولعلّ ما يوحي بالملاحظة الرائعة، هي أنّ الله قدَّم لنا في القرآن الكريم امرأةً على أنها أعقل من الرجال، وهي بلقيس ملكة سبأ، عندما أرسل إليها سليمان رسالة، فجمعت قومها لتستشيرهم، وطلبت أن يطرح كلٌّ منهم رؤيته لحلّ المشكلة.

*** إنّه شكل من أشكال الديمقراطية؟**

– نعم. لم تكن امرأة مستبدة، لأنّ الاستبداد لا يمكن أن يبنيَ مُلكاً أو يُحقّق قوّة لدولة أو سلطان. وبالرغم من الحلول التي قُدّمت، بقيت تشعر بالمشكلة، لأنّها أرادت أن يمنحوها عضلات عقولهم لا عضلات أجسادهم، وهنا بدأت تفكّر كيف تحلّ المشكلة ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ [النمل:34]. ورأينا كيف أنّها جاءت إلى سليمان وتحدّثت معه وبقيت في عنفوان المرأة التي تفكّر، وقالت: ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل:44]، فالقرآن يقدِّم لنا هذه المرأة على أنها أعقل من الرجال.

ولذلك، فإنّ الفكرة التي تقول إنّ عقل المرأة أقل من عقل الرجل، يرفضها هذا المثل القرآني في هذا المجال. أمّا قضيّة القوامة، فهي قوامة الإدارة، لأنّ الله يقول: ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء:34]، ما يوحي بأنّ الرجل يتحمّل مسؤولية الحياة الزوجية، ولأنّ ظروفه قد تكون أوسع من ظروف المرأة في حركته، وخصوصاً أنّ أمومة المرأة في جسدها، بينما أبوّة الرجل ليست في جسده، وربّما كان هناك بعض الأمور المتعلّقة بأنّ القوامة ليست قوامة الرجل على المرأة، بل قوامة الزوج على الزوجة، لأنّ عملية الإنفاق إنّما تختصّ بالحياة الزوجية، وليست المسألة أنّ الرجل مسؤول بالمطلق عن الإنفاق على المرأة. لهذا كنتُ أدرس ذلك، وأدرس التجارب التاريخية المعاصرة للمرأة، وأنّها لا تقلّ فكراً وعقلاً وحركةً وتجربةً عن الرجل عندما تُعطى الظروف الملائمة لذلك. ولذلك كنت أشعر بأنّ المرأة تعيش مظلوميةً لدى الرجل، وأنّ عملية الذكورة تدخّلت لتطويق المرأة في كلّ القضايا، لإعاقتها عن الحركة العلمية والسياسية والاجتماعية.

ولهذا رأيت من واجبي ورسالتي، أن أقف مع المرأة، من خلال ترشيدها وتوجيهها والدفاع عن هذه الظُّلامة التي وقعت عليها، لأعطيَ للمرأة الثقة بنفسها، وبأنّ عليها أن تبادر في سبيل تأصيل إنسانيتها بالطريقة التي تجعلها تتساوى مع الرجل في ما تملكه من طاقات، وتتعاون معه في هذه المجالات. ولقد لاحظتُ أنّ القرآن الكريم لم يتحدّث عن ضعف المرأة، بل تحدّث عن ضعف الإنسان وقهر المجتمع له.

*** يقال إنّ هناك قصائد من نوع الغزل كتبها المرجع الراحل السيد محسن الأمين، ولم يُسمح بنشرها احتراماً لموقعه، فهل سماحتكم ممّن تردّد أيضاً، وللسبب عينه، في تدوين ونشر قصائد مماثلة؟**

– لا، قصائدي في الغزل نشرتها في ديوان «على شاطئ الوجدان»، وربما كانت بعض القصائد لا يستسيغها الوسط الديني، خصوصاً إذا صدرت من عالِم دين أو من مرجع.

19 ـ 6 ـ 2006

*** في العام 1983، أجريت مع سماحتكم حديثاً صحفياً لحساب مجلة «الشراع» التي كنت أعمل فيها، وسألتكم يومها: ممَّ تخافون: قلتم؟ من التعصّب والتطرّف. فهل هناك مخاوف جديدة استجدّت؟**

– الآن، نحنُ نعيش واقع هذا الأفق للسؤال في التعصُّب والتطرُّف الذي شمل العالم الإسلامي، وتحوّل إلى حالة تكفيرية تؤدّي إلى أن يستبيح المسلم دم المسلم الآخر، وحتّى إلى أن يستبيح المسلم دم غير المسلم المسالم، ونحنُ نقرأ في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:8]. ولذلك، فإنّ هذا النوع من التعصّب موجود في الدائرة الإسلامية بين المسلمين بعضهم مع بعض، أو بين كلّ فريق إسلاميٍّ في داخله، من خلال اختلاف الاتجاهات أو اختلاف الآراء، بحيث إنّه في داخل المذهب الشيعي هناك بعض الشيعة يكفرون بعضهم بعضاً، والأمر ذاته في داخل المذهب السنّي، حتّى إنّنا نجد أنّ هناك فتاوى لا تجيز للشيعي أن يتزوّج شيعية، أو للسنّي الزواج بسنيّة، أو أن يكون هناك زواج بين المذهبين. وهذا في الدائرة الإسلامية.

وأمّا في غير هذه الدائرة الإسلامية، فنجد حالة من التعصّب والتطرّف في علاقات المسلمين مع غير المسلمين، ضدّ المسيحيين، وهناك تعصّب خفيّ في دائرة المسيحيين أنفسهم، كما هو الأمر في دائرة المسلمين أنفسهم، وعندما ننفتح في الدائرة الأوسع، نجد تطرّفاً وتعصّباً حتّى في ما بين العلمانيين على مستوى الدول والتيارات المختلفة في الواقع العلماني في العالم. إنّ مشكلة العالم، هي أنّ هناك فريقاً يحاول إلغاء الآخر، أو إرباكه لجهة

عدم الاعتراف بالآخر. وإذا كان هناك بعض التيارات على المستوى الدولي تتحدّث عن الاعتراف بالآخر، فإنه مجرَّد حديث سياسيّ إعلاميٍّ لا يرتكز على الواقع.

*** هل الدين هو منشأ لهذا التعصّب؟**

– نحنُ نقول إنّ العصبية ـ كما ذكرتُ في مداخلة مع مجلة الناقد ـ ليست ناشئةً من الدين، بل هي ناشئة من حالات الانفعال الغالبة في الشرق، أو من حالات الأفق الضيّق الذي يعيشه المتعصّب ضدّ الفكر الآخر.

*** هل ترون سماحتكم أنّ هناك أموراً تجاوزها الزمن في النّص الإسلامي ولم تجرؤوا على الاجتهاد فيها بسبب تجاوز الزمن لها؟**

– من الطبيعي أنّ الواقع الشرعي، سواء كان في الدائرة الإسلامية أو غير الإسلامية، لا يزال يعيش في التاريخ، ولا يزال يستمدُّ أكثر عطاءاته الفكرية الالتزاميّة من التاريخ. ومن هنا، أصبحنا نعيش خلافات التاريخ بأقسى ممّا نعيش خلافاتنا في الواقع، وأصبحت خلافات التاريخ خلافات مقدّسة، بحيث إنَّ عنصر القداسة يدخل في عناصرها الذاتية في هذا المجال. كما أنّ حروب التاريخ أيضاً تنتقل إلينا لنخطِّط لحروبنا على أساس مفردات هذه الحروب، وقد بلغت هذه القداسة للتاريخ، أنّنا أصبحنا نخافُ من مناقشتها ومن إعطاء رأي سلبيٍّ حول هذا الجانب أو ذاك، حتّى على مستوى التحليل التاريخي، وحتّى على مستوى الدراسة الواقعية للروايات المنقولة تاريخياً.

فنحن لا نقبل مناقشة رواية درجَ الناس على الالتزام بها، حتّى لو لم تكن موثَّقة في هذا المجال، لأنّ الناس أدمنوا مضمون هذه الروايات، وارتاحوا للاستنتاجات التي استنتجوها، حيثُ يخافون من مناقشتها، لأنّها تهدم كلّ هذا البنيان الحاقد الذي بنوه ضدّ هذا الفريق أو ذاك، مع أنّ الله أعطانا خطّاً عاماً في ما هو الماضي وفي ما هو الحاضر، وهو قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:134].

أمّا علاقتنا بالتاريخ، فهي أن يكون التاريخ درساً ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [يوسف:111]. فنحنُ نأخذ الدرس، وهناك ما يرتبط بنا في التاريخ من خلال بعض القضايا التي تتّصل بالفكر الإسلامي، فنحنُ نلتزمها لا على أساس تاريخيّتها، ولا

على أساس انتمائها إلى هذا الشخص أو ذاك، ولكن على أساس أنّها صواب. ولكنّنا أدمنّا كلّ هذا التاريخ من الحقد والعداوة والبغضاء، ومن الانتماء الذي أصبح يفصل بين فريق وفريق، بقطع النظر عمّا هو الخطأ والصواب في هذا المجال، بحيث أصبحنا نشعر بالغربة لو فرضنا أنّنا انطلقنا بعيداً عمّا أَلِفناه، على طريقة المتنبّي:

خُلقتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصبا   لفارقتُ شيبي موجعَ القلبِ باكيا

إنّ بعض الشعوب، حتّى بعض العلماء وبعض المفكّرين، أدمنوا فكراً وخطّاً معيّناً، ويخشون من تغيير ما أدمنوه، لأنّهم أَلِفوا ذلك، بحيث أصبح دخيلاً في تكوينهم الفكري والنفسي والعملي.

*** في ما يتعلّق بالأمور التي تجاوزها الزمن في مسألة الاجتهاد، هناك شيء مقابل تحدَّث عنه السيد محمد باقر الصدر تحت عنوان «منطقة الفراغ»، فهل تؤمنون بوجود منطقة الفراغ التي تركها الشرع الإسلامي لإعمال العقل والتجارب البشرية؟**

- إذا كنّا نتحدّث عن منطقة الفراغ فهي منطقة واقعيّة، وذلك لأنّ الإسلام في تشريعاته عالجَ خطوطاً عامة، ولا تزال تمثّل قواعد يمكن الاستنتاج منها في كثير من مفردات ما يحصل لنا، وخطوطاً تفصيليّة لا نزال أيضاً نعيش في تفاصيلها، ولكنّ هناك مستجدات حدثت في الواقع، مثل التنظيمات الإدارية، ومثل خطوط الاقتصاد وخطوط الإدارة وخطوط السياسة، ممّا لم يرد فيه تشريع خاص. ولذلك فإنّ القضية لا بدّ من أن تخضع لدراسة ما هي المصلحة وما هي المفسدة، أن ندرس العناصر الموجودة في داخل هذه المستجدات في العالم، والتي أصبحت تمثّل كوناً هائلاً يجتذب الكثير من القوانين من أجل حلّ المشاكل الحاصلة من خلال هذه المستجدات. لذلك لا بدّ للذين يملكون الثقافة الفقهيّة، ويملكون المعرفة للمصالح والمفاسد العامة، ويملكون أيضاً معرفة المقاصد الإسلامية، أن يدقِّقوا في دراسة التشريعات التي لا بدّ لنا من صياغتها تنظيماً للواقع من خلالها، وحلّاً للمشكلات التي تحدث من خلال ذلك.

*** هل تعتبر أنَّ هناك تقصيراً في الاجتهاد الإسلامي لتحريك العناوين العلمية، فقديماً كان عالِم الرياضيات والكيمياء فقيهاً أيضاً؟**

- أنا أتصوّر أنّ هناك في المؤتمرات الفقهيّة الإسلامية، وفي تجربة الجمهورية الإسلامية

في إيران، إيجابيات كبيرة في محاول إيجاد التشريعات والقوانين التي قد تلاحظ ما استجدّ في الجوانب العلميّة والإدارية.

❋ هل من فتوى أصدرتموها وندمتم على إصدارها لاحقاً؟

– هناك بعض الفتاوى التي أحاول أن أطلقها في هذا المقام، ومنها الفتوى التي تؤكّد أنّ بلوغ الفتاة هو بالدورة الطبيعية وليست ببلوغ التسع كما هو المشهور بين المسلمين. كما أنّ هناك فكرة أعالجها الآن، وهي أنّ الزوج إذا امتنع في حالة كراهة الزوجة وبذلها للمال على أن يطلّقها، إذا امتنع الزوج، فللجهة الشرعية أن تجبره على ذلك، خلافاً للمعروف بين علماء المسلمين من سنّة وشيعة، الذين يعتبرون أنّ الطلاق بيد الزوج حتّى لو كانت الزوجة كارهة وبذلت مهرها في ذلك. وأما إصداري لفتوى وندمي عليها، فهذا لم يحدث أبداً. ولكن هناك بعض الفتاوى التي طوّرتها.

❋ قد تكون فتوى لم يقبل بها الناس؟

– أنا لا أراقب الناس في تقبّل الفتوى وعدمها، وإنّما أراقب نفسي هل أخطأت في مصادر هذه الفتوى أم لا؟ وقد أعدل عن فتوى نتيجة اكتشافي لبعض الضعف في مصادرها.

❋ لديكم قدر كبير من الاحترام لإنسانية المرأة، هل ذلك نتيجة هذا الضعف الذي تشعر به في مجتمعنا العربي والإسلامي، إذ إنّ النص الديني أكرمها في حين أنّ بعض المسلمين أذلّوها؟

– إنّني أنطلقُ من المصادر الشرعية للفتوى، والتي قد تلتقي مع فكرة الاحترام لشخصية المرأة واحترام ضعفها، ومن الفتاوى المختصة بالمرأة، هي أنّ المعروف بين الفقهاء سنّة وشيعة، أنّ المرأة لا يجوزُ لها الخروج من بيت زوجها إلاّ بإذنه، مهما كانت الظروف، فله الحقّ في حبسها في البيت ما دام قائماً بحقوقها الزوجية، ولكنّي أقول إنّ للمرأة الحرية في الخروج من البيت بغير إذن زوجها، إذا لم يكن خروجها تمرديّاً أو منافياً لحقوق الزوج المترتّبة على المرأة، فليس الزواج سجناً للمرأة بمزاج الزوج، ولكنّه ينطلق من خلال حقوق الزوج في ما لا يكون حرجاً على المرأة، وأمّا إذا لم يكن منافياً لحقوق الزوج، فللمرأة الحريّة في أن تخرج متى شاءت.

*** هل هناك اجتهاد معيّن لم تتجرأ على تبنّيه أو إطلاقه؟**

– أدرس كثيراً من الأمور التي قد تخطر في ذهني، فأحاول البحث عمّا يؤكّدها أو ينفيها.

*** عادة ما أخذ المراجع (سنّة وشيعة) ردّة فعل الناس سلباً أو إيجاباً. فهل حصل معكم ذلك؟**

– لم يحدث في تجربتي الفتوائية أو في تجربتي العلميّة، حتّى من الناحية التاريخية، أنّني نظرتُ إلى ردّة فعل الناس، وإنّما أنظر دوماً إلى الحقيقة وإلى رضى الله.

*** مولانا، وسائل الإعلام مفتوحة على بعضها البعض، وقد أتاحت نقل ثقافات الشعوب ومعارفها، هل تخشون هذا الانفتاح الإعلامي الناقل لأدقّ همسات الشعوب المغايرة أينما وجدت؟**

– إنّني أعتبر أنّ هذه المساحة الواسعة التي لا ضوابط لها للإعلام، هي خير في كثير من الحالات، لأنّها تهيّئ للناس الكثير من الفرص لتعرّف حقائق الأوضاع في العالم والاطّلاع على خلفياتها، من خلال التيارات المضادّة التي يمكن أن تثير الجدل حول كثير من القضايا، أو أن تنقل المعلومات التي يثبتها فريقٌ أو ينفيها فريق آخر، وهو ما يمكّن الباحث أو المتابع من أن يحصل على الفكر الناضج الذي إذا لم يمثّل الحقيقة الكاملة، فإنّه يقترب من الحقيقة، الأمر الذي يمنح الكثير من الناس الاحتراس من كثير من الأوضاع التي يخطّط لها الظّالمون أو المستكبرون.

إنَّ هذه المساحة الواسعة للإعلام تحقّق إيجابيات كبيرة على مستوى المعرفة وعلى مستوى الخطوط السياسية، سواءً كانت مواليةً أو معارضة ممّا يمكن للإنسان أن يحصل من خلاله على ثقافة سياسية أكثر نضوجاً ممّا كان يحصل سابقاً بعيداً عن هذا التطوّر الجديد في الإعلام. ولكنّ كلَّ إيجابية لا بدّ وأن تلتقيَ ببعض السلبيّة، لأنّ هذا التطوّر الإعلامي ربّما يتحرّك في اتجاه الكثير من الانحراف في نقل الوقائع أو في إثارتها، وربّما يُهيِّئ الظروف للكثير من الإشاعات التي قد تثير الفتنة هنا وهناك، والكثير من الانطباعات السلبية تُجاه فريق وموقع هنا وهناك.

فنحنُ نعرف أنّ الحرب الإعلامية قد تكون أقسى من الحرب العسكرية، ونلاحظُ أنّ بعض

الدول الكبرى توظّف الحرب الإعلامية لهزيمة فكر وشعب هنا وهزيمة نظام هناك. لذلك لا بدّ من الاحتراس من كلّ هذه الخطوط السلبية التي تتحرّك كجزءٍ من حركة المخابرات الدولية التي تصنعُ الخبر وتصنعُ الفتنة والإشاعة، ما قد يؤدّي إلى خلط الكثير من الأوراق، وإيجاد الكثير من الفتن ومن الإرباكات، كما نلاحظه في ما يصوغه الإعلام الآن من افتراءات ضدّ الإسلام والمسلمين، والذي يترك تأثيره على الشعوب الأخرى، لتتّخذ موقفاً مضاداً للإسلام والمسلمين، باعتبار المعلومات الخاطئة التي يُثيرها الإعلام الاستكباري تنفيذاً لخطّته في عزل العالم العربي والإسلامي عن العلاقة الطبيعية مع الشعوب الأخرى.

*** في مثل هذه الحالة، كيف يمكن أن نتكيَّف مع ما تشيعه العولمة من سلبياتها وإيجابياتها دون أن نفقد خصوصيّتنا؟**

- من الصَّعب جدّاً عزل الجانب السياسي عن أيّ حدث في العالم، لأنّ الاقتصاد أصبح يتحرّك وراء السياسة وأمامها ومن بين يديها ومن خلفها، ولأنّ الجانب الثقافي أصبح يتحرّك في هذا الجانب، إضافةً إلى الجانب الأمني. ولذلك، فإنّنا في الوقت الذي لا بدّ أن ندرس العولمة دراسة موضوعيّة في إيجابياتها وسلبياتها، باعتبار أنّها قد تمثّل أفقاً يلتقي فيه العالم على عناوين معيّنة ومصالح معيّنة، لا بدّ من أن ندرس خلفياتها السياسية والاقتصادية من جهة، ومدى المفاسد التي تحدث منها، لأنّ العولمة لا تزال وليدة الدول المهيمنة على الواقع السياسي والاقتصادي والأمني في العالم، ما يجعلها تتحرّك في خدمة هؤلاء المستكبرين لاستغلال المستضعفين في العالم، الأمر الذي يجعل المستضعفين لا يملكون أيّة فرصة لتحريك هذه العولمة في مصالحهم، أو لإبعاد المصالح المضادة التي يريد المستكبرون فرضها على العالم الثالث.

ولذلك نجد أنّه حتّى في الغرب، ثمّة شعوب هناك تتظاهر بقسوة ضدّ مؤتمرات الثماني الكبار، باعتبار الإيحاء بأنّ العولمة تزيد الفقراء فقراً والأغنياء غنىً. وأمّا في العالم العربي أو الإسلامي، فلم تحدث هناك مظاهرات بهذا الحجم، لأنّهم أدمنوا سيطرة المستكبرين بحيث لا يشعرون أيضاً بإمكانات الحريّة ضدّ هؤلاء المستكبرين، إمّا من خلال الأنظمة التي وظّفها المستكبرون لحصار شعوبها، أو من جهة أنّ هناك تخلُّفاً في فهم المشاكل التي تثيرها العولمة في العالم.

أوروبا ـ الخليوي ـ الكمبيوتر

*** ماذا ترون في فكرة الشراكة الأوروبية ـ المتوسطيّة؟**

– نحن كنّا نتحدّث مع المسؤولين الأوروبيين من خلال سفرائهم، أنّنا نريد إقامة علاقات طبيعية كعالم عربي أو إسلامي مع أوروبا، لأنّنا نعتقد أنّ مصالح أوروبا في العالم الإسلامي والعربي هي مصالح حيويّة، ما يفرض على الأوروبيين مراعاتها بدقّة، خلافاً للسياسة الأميركية التي تعمل على تطويق العالم العربي والإسلامي لحساب مصالحها.

ولكن يبدو أنّ أوروبا دخلت في كهف العلاقات مع أميركا، من خلال المصالح المشتركة والضعف الأوروبي أمام أميركا، الأمر الذي جعل أوروبا تنكفئ عن رعاية مصالحها مع العالم العربي والإسلامي، وتفقد الكثير من هذا الانفتاح العربي والإسلامي عليها.

*** إذاً هناك فرصة أمام أوروبا لتلتفت إلى جيرانها في إطار الشراكة وتستفيد منها حسب رأيكم؟**

– إنّهم يفكّرون بهذه الطريقة، ولكن مع الأسف، أميركا لا تسمح لهم بذلك. فنحنُ نعرف مثلاً أنّ أميركا، مع حليفتها إسرائيل، تمنعان أوروبا من التدخّل الفاعل في أزمة الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وكذلك في المسألة العراقية، وهي تستخدم أوروبا للضغط على إيران في المشروع النووي. لهذا لا تزال أوروبا تعيش تحت تأثير الضغط الأميركي في علاقاتها مع العالم العربي ـ الإسلامي.

وقد اعترف لي بعض السفراء الأوروبيين، عندما طالبته ببعض المواقف الأوروبية بما هي مصلحة أوروبا، إذ قال: «إنّنا نصارحك بأنّ الضغط الأميركي هو الذي فرض علينا هذا الموقف هنا وهناك».

*** هل لديكم فكرة عن كيفية استخدام شبكة الإنترنت؟**

– من الطبيعي أنّ مسألة الإنترنت تعتبر حدثاً علمياً إعلامياً كبيراً في التطوّر العلمي، والذي أدّى إلى الكثير من التطورات في الحركة السياسية من جهة، والثقافية من جهةٍ أخرى، وحتّى

الأمنية والاقتصادية، ولكنّه كأيّ جهاز جديد، يملكُ في داخله السلب والإيجاب، ولعلّ من المؤسف أنّ كثيراً من الدول المستكبرة تستخدمه في غير مصلحة العالم المستضعف.

❊ الكمبيوتر؟

– الكمبيوتر يمثّل حدثاً علمياً كبيراً جداً استطاع أن يتدخّل في كثير من حركة العلم والثقافة، وحتّى في كلّ جوانب حياة الإنسان.

❊ الهاتف الجوّال (الخليوي)، هل تستخدمه، أم لأسباب أمنية لا تفعل؟

– لا أستخدمه، لأنّي لا ألجأ إلى الهاتف، حتّى العادي منه، إلاّ في الضرورات، ولكنّي أتابعه، وكلّ الأجهزة المتّصلة بمكاتبنا تستخدمه، ونحن نعتبره جهازاً حقّق التواصل الإنساني بسعةٍ وانفتاح، بحيث إنّه سيطر على كثير من المشاكل التي كان الناس يعيشونها في الاتصالات العادية. ونحنُ مع كلّ حدثٍ علميٍّ يعطي الناس انفتاحاً أكثر، ويحلّ لهم المشاكل أكثر، ويجعل التواصل بينهم أكبر.

❊ ماذا تعني لك منظّمة التجارة العالمية؟

– هي تفتح كلّ أسواق العالم على كلّ منتجات الشعوب هنا وهناك، ولكنّنا نلاحظ، مع الأسف، أنّ أميركا لا تزال، ومعها الدول الكبرى، تسيطر على هذه المنظمة، ولذلك فإنّها تعاقب بعض الدول على سياستها، وتمنعها من الدخول في منظمة التجارة العالمية.

26 ـ 6 ـ 2006

قبل الدخول في طرح الأسئلة، قال لي سماحة السيد فضل الله: لقد قرأت كتابك الذي حاورتِ فيه الدكتور حسين كنعان، متحدّثاً عن شخصية السيد موسى الصدر. إنّ الدكتور كنعان شخص مثقّف، وكان فعلاً رجلاً لصيقاً بالسيد موسى، وبشكلٍ جيد وحميم فوق العادة، وأسئلتك أسئلة مركّزة جداً. قرأت منه أكثر من مئة صفحة حتّى الآن، إنّه جيد، وفيه أشياء دقيقة، أولاً عن السيد موسى، وثانياً عن المرحلة التي تحرّك فيها السيد موسى. أنا أعتقد أنّه كتاب مهم جداً، خصوصاً أنّني كنت أدقّق في أسئلتك. إنّها أسئلة مركّزة وهادفة، وقد أعانت حسين كنعان على فتح آفاق عنده للحديث عن السيد موسى.

قلت: شكراً كثيراً مولانا، وقد نشر اليوم في صحيفة النهار مقالة للناقد سليمان بختي حول هذا الكتاب، وبختي يُعتبر من أهمّ النقّاد في مجال الكتب، وأعتقد أنّه أنصفني.

*** أسئلتي في هذا اللقاء إنّما هي تتمّة للأسئلة في المحور السابق. أريد أن أسأل سماحتكم عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية. هل تنظر إليه نظرة إيجابية أم كيف تنظرون إلى هذه البرامج؟ وهل ترون أنّها فعلاً ذات طابع إنساني، وأنّها تسدّ حاجات المجتمعات البشرية التي تتفاقم أوضاع بعضها في السوء؟**

– لعلّ مشكلة الأمم المتحدة ليست في الجهاز الفنّي والإداري الذي يتحرّك في معالجة القضايا الإنسانية التي ينطلق بها مشروع التنمية أو الأمور أو المشاكل الأخرى السياسية أو الأمنية، ولكنّ المشكلة هي في الذهنية التي تسيطر على الأمم المتحدة، وتحاول أن توظّف مشاريع الأمم المتحدة لخطوطها السياسية، ونحن نلاحظ الآن العنف الذي تعيشه السودان في مشكلة دارفور، أو في ما تتحرّك به مشاريع الأمم المتحدة في أفريقيا أو في فلسطين. ولذلك المشكلة هي أنّ الأمم المتحدة لا تمثّل موقعاً عالمياً أو موقعاً دولياً يملك القائمون عليه، في تركيبته الإدارية والفنّية، الحرية في تحريك مشاريعهم، ولاسيما مشروع التنمية بشكل مستقل، فهي تماماً كالبنك الدولي الذي قد تكون واجهته واجهة اقتصادية من أجل مساعدة بعض الشعوب بالقروض التي يقدّمها لها، ولكنها ـ الأمم المتحدة ـ في الوقت نفسه، تمثّل موقعاً أميركياً يعمل على أساس ممارسة الضغوط على كلّ الدول التي تأخذ القروض من البنك الدولي، للضغط على خطوطها الاقتصادية والسياسية والأمنية، من خلال الشروط الصعبة التي تُفرض على هذه الدول.

إنّ المشكلة التي تواجه الأمم المتحدة، هي هذا الضغط الأميركي الذي يختفي وراء الأمم المتحدة، والذي استطاع في الحقبة الأخيرة أن يمارس ضغوطه على الاتحاد الأوروبي، حتّى ينسجم مع مخطّطاته في هذا المجال.

*** يعني أنّها مجرّد تسكين مرتبط بعامل سياسي؟**

– هو هذا الذي تقولينه. هي مشاريع على طريقة كلمة حقّ يراد بها باطل.

*** هل يمكن لما يُسَمّى مؤسسات المجتمع المدني، أن تكون فاعلةً في عالمنا العربي**

والإسلامي؟ وهل يمكن لها أن تكون ذات استقلالية عن السياق العام للبيئة التي تنتمي إليها؟

– إنّ مؤسسات المجتمع المدني، التي لا تبتعد في خلفيات تأسيسها عن الأخلاق والجدّية في الكثير منها، تعيش تحت تأثير الوضع القانوني الذي يسيطر عليها، من خلال سيطرة الدول القائمة فوقها، حيث إنّها تعمل على الضغط عليها بالكثير من القوانين، وبالكثير من القيود ومن الضغوط التي تربك مسيرتها بطريقة وبأخرى. هذا من الناحية العامّة، ومن ناحية خاصّة، فإنّ مؤسسات المجتمع المدني قد تخضع أيضاً لخلفيات طائفيّة، أو حزبيّة، أو سياسيّة، في ما يتحرّك به الواقع الداخلي في هذا البلد أو ذاك البلد، عندما تفتقد هذا الصّفاء في الخدمات الإنسانية، لتتحوّل إلى مجرّد وسيلة من الوسائل التي تخدم الطائفية هنا أو الحزبية هناك أو السياسة الضيّقة هنا وهناك.

*** هل تقرأون الصحف وتتابعونها؟**

– أنا أقرأ في كلّ صباح أغلب الصحف الصادرة في لبنان، وحتّى في خارج لبنان، وأقرأ ملخَّصات صحف الخليج، لأنّني أعتقد أنّ على الإنسان الذي يملك موقعاً يتحدّث فيه عن الأوضاع، أن يكون مُلِمّاً بكلّ الجوّ السياسي، سواء على مستوى الأخبار، أو على مستوى التحليلات.

*** كيف تتابعون الصحف الأجنبية؟**

– إنّني أتابع ما يصدر من تحليلات الصحف الغربية، سواء من خلال الملخّصات في الفضائيات، أو من خلال الملخّصات في الصحف عبر الانترنت.

*** الكتب التي تصدر حديثاً، هل تتابع البعض منها؟**

– أنا أتابع ما يمكن أن أجد فيه بعض ما يغني تجربتي الثقافية أو السياسية.

*** هموم جيل الشباب، كيف تنظر إليها، وكيف تعيش مشاكله؟**

– أنا أعيش مع الشباب في ندواتي وفي لقاءاتي الخاصة، ولعلّي أحاول أن أقوم بدور الطبيب النفسي للكثير من الناس الذين يأتون إليَّ نساءً ورجالاً، في محاولة لمعالجة المشاكل النفسية والمشاكل الاجتماعية التي يعيشونها، لأنّني أشعر بمسؤولية كبيرة جداً في النفاذ إلى داخل التجارب الشبابية، والمشاكل التي يعيشها الشباب، لأنّني أنطلق من حالة عاطفية تُجاه كلّ هذا الجيل الشاب من جهة، ولأنّني أودُّ التعرّف إلى المشاكل التي

يواجهها، ما يمنحني إمكانات كبيرة لمعالجة مشاكلهم. وأحبّ أن أؤكّد، أنّه ليست لديَّ أيّ شروط في اللقاء مع الشباب، من ذكور وإناث، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين أو العلمانيين، لأنّني أعتقد أنّ الشباب يمثّل المجتمع كلّه في تطلعاته وفي مشاكله وفي أساليبه وفي قضاياه وفي أهدافه. ولذلك، فإنّني أعتبر أنّني في لقاءاتي الشبابية لستُ معلِّماً، ولكنّني متعلّم، باعتبار أنّني أدرس المجتمع بشكل تلقائي، وبشكل ميداني، ما يعطيني ثقافة أعمق مما أقرأه في الكتب التي أقرأها، والتي تتحدّث عن مشاكل الشباب.

❊ الواقع مختلف عن التجريدي النظري؟

– أنا لم أعش التجريد في حياتي، بل إنّني أحاول دائماً أن أعيش الواقع.

❊ هل التقارب الثقافي الفكري يساعد أكثر من التقارب السياسي والاقتصادي في مسألة حلّ النزاعات بين الشعوب؟

– التقارب السياسي والاقتصادي يتحرّك من خارج الذات، لأنّه يحاول أن يلبِّيَ حاجاتها على المستوى الخاص، أو حاجاتها على المستوى العام، من خلال طبيعة حركة تهيئة المناخات التي يعيشها الإنسان، في تطلّعاته لبلده أو لمنطقته أو للعالم كلّه. إنّها مسألة تتّصل بالخارج من خلال اتصالها بالواقع، سواء كان واقع الإنسان في ما يحتاجه، أو واقع الإنسان في ما يعيشه، ما يترك تأثيرات على حياته في كلّ خطوطها العامة، ولأنّنا نتصوّر أنّ العالم كلّه، في ما يتعلّق بالقضية الاقتصادية والسياسية، تحوّل إلى قرية كونية واحدة. ولهذا، فإنّ أيّ خطّ سياسي سوف ينعكس سلباً أو إيجاباً على الخطوط الاجتماعية الإنسانية أو الشخصانيّة في هذا المجال.

أمّا التقارب الثقافي الفكري، فهو يمثّل العلاقة في الداخل، لأنّ التقارب الثقافي يجعل فكراً ينفتح على فكر، ويجعل شعوراً ينفتح على شعور. ولذلك، فإنّه يتحوّل إلى قرابة إنسانيّة بين إنسان وإنسان آخر بالمستوى الذي يجمع الناس. ونحن نلاحظ الآن في العالم، أنّ القرابة الثقافية، سواء كانت دينية أو فكرية عامة، تجمع الناس وتقرّب بينهم وتفتح آفاقهم على بعضهم البعض، أكثر من القرابة السياسية والاقتصادية، لأنّ تلك قرابة من الخارج، وهذه قرابة من الداخل.

❊ ما هو أجمل ما في الإنسان؟

– أجمل شيء في الإنسان هو إنسانيته، لأنّ الإنسانية تعني العقل الذي يفكّر، والقلب الذي ينبض، والإحساس والشعور الذي يتفاعل، والخير الذي يتفايض في كلّ كيان الإنسان. إنّني أعتقد أنّ المسألة الخارجية للإنسان، ليست هي الإنسان الجميل. قد يعطي الشخص لوناً من ألوان الانفتاح على الجانب المادي أو الجمالي في كلّ ما يثيره من أحاسيسَ كالروح في الجسد. ولكن تبقى مسألة الإنسان المفكّر الخيِّر، الإنسان العادل، والإنسان الذي يعطي الحياة كما يأخذ منها، هذه هي المسألة، وهذا هو الذي يجعلك تقترب من الإنسان لتحتضنه، عندما تحتضن كلّ هذه القيمة التي تتمثّل في شخصيّته. وأذكر في مسألة الجمال، ما قاله الشاعر الأخطل الصغير:

ما الحُسنُ لولا الشِّعرُ إلا زهرةٌ   يلهو بها في لحظتين النَّظَرُ
لكنّها إن أَدْرَكَتْها رقّةٌ   مِنْ شاعرٍ أو دمعةٌ تنحَدِرُ
سالت دماءُ الخلدِ في أوراقِها   ونامَ تحتَ قَدَمَيْها القَدَرُ

❊ ما قيمة الشّعر في إنسانية الإنسان؟

– قيمة الشّعر أنّه يمثّل الفنّ الذي يصوّر العمق الإنساني؛ في كلّ أحاسيسه ومشاعره وتطلّعاته وحركته في الحياة. وأذكر أنّني منذ أكثر من خمسين سنة، كانت لي قصيدة أقول في نهايتها:

ما قيمة الشعر إنْ لم يبنِ مجتمعاً   حُرّاً تسير على آفاقه العُصُرُ

❊ الشباب الغارق في الكمبيوتر والأرقام، ابتعد عن هذا الجوّ الأدبي، ألا ترون أنّ هناك مشكلة في هذا النطاق؟

– من الطبيعي جدّاً أنّ الاكتشافات الهائلة الضخمة المادية في هذا العصر، خلقت مُناخاً هائلاً يشغل الإنسان، بحيث إنّه لا يتّسع وقته لتنظيم علاقته بهذه الاكتشافات، ولكن قد يمكن الاستفادة من الكومبيوتر في الجانب الأدبي، كما يمكن الاستفادة منه في الجوانب الأخرى، فهو ليس شرّاً كلّه.

❊ هل التفكير مع الذّات يأخذكم نحو أسئلة متعلّقة بالحياة البشرية؟ بالله؟ بالخلق؟

ـ إنّني أعيش دائماً في علامات استفهام لا تنتهي، فمثلاً أنا أذكر أنني منذ أكثر من خمسين سنة كنت أقول:

ما أنا، ما الحياة، ما الرّوحُ عندي غير لغزٍ يبدو لديَّ خَفيًّا
لا أرى في الحياةِ إلاّ خَيَالاً مُضْمَحِلاًّ يطوفُ في مقلتيّا

لذلك، هناك تساؤلات تعيش في حياتي، لأنّني أعتقد أنّ حركة المعرفة في عقل الإنسان إنّما تنطلق من خلال علامات الاستفهام التي ينتجها الواقع الذي يعيش فيه الإنسان والمشاكل التي تواجهه، وإنّني أعتقد أنّ الإنسان الذي لا يعيش علامات الاستفهام، حتّى الصّعبة والمقدّسة، هو إنسان يبقى جامداً يعيش في زاوية مغلقة يجترّ فيها ما ورثه من معلومات. إنّني أدعو إلى القلق، قلق المعرفة؛ وأدعو إلى الانفتاح على كلّ عالم جديد يثير في الإنسان أسئلةً لا تنتهي، سواء في الوجود، أو في الواقع، أو في الإنسان.

*** ما هو أعلى مبلغ تمَّ التبرّع به لمؤسّساتكم؟**

– هناك شخصيّة لا يرضى أن أذكر اسمه، قال لي، وهو محلّ ثقة عندي، وأنا محلّ ثقة عنده، قال لي: ماذا عندك من مشاريع؟ وكان قد تعاون معي في أكثر من مشروع، فقلت له: إنّ لديَّ مشروعاً لرعاية المكفوفين، فأنا أريد أن أؤسِّس مركزاً أجمع فيه المكفوفين ليدرسوا ويتعلّموا برعاية إنسانية. قال لي: كم يكلّف هذا المشروع؟ قلت له، والمسألة كانت قبل أكثر من عشر سنوات: مليون دولار. فبادر هذا الشخص المحسن، وسجَّل الرقم على شيك، وفاجأني بأنّه لا يريد حتّى أن أشكره. وعندما أسّسنا المركز، دعوته ليزوره ويرى نتيجة مساعدته، فقال:لا، أنا أثق بك.

كرة القدم

3 ـ 6 ـ 2006

*** نحن في زمن كرة القدم، هل تتابع مثل هذه الرياضات، أو أيّ نوع من أنواع الرياضة؟**

– لم أنسجم مع مثل هذه الرياضة، ولكنّ الرياضة بالنسبة إليّ هو ما تمثّله من حركيّة الجسد، سواء من الناحية التي تمنحه القوّة في ما تنطلق به الرياضة في تقوية طاقة الجسد، أو الرياضة التي تمثّل حركة فنيّة توحي للإنسان بكثير من المعاني التي تجعله يملك التحضير الجسدي ممّا يؤمن به أو يفكّر فيه الكثير منّا. ولهذا، يمكن أن تتحوّل الرياضة إلى شيء من

العبادة، عندما تتطوّر في تجربة الإنسان، وتنفتح على الله سبحانه وتعالى.

ونحن لسنا ضدّ الرياضة التي يهتم بها الشباب، كرياضة كرة القدم، أو ما أشبه ذلك، ولكنّني أتحفّظ حول العصبية التي يعيشها الكثير من الشباب في العالم تُجاه أبطال الرياضة، بالمستوى الذي ربّما يتحوّل إلى حالة سلبيّة في العلاقات أو في الهتافات، أو ما إلى ذلك، كما يحدث في هذه المرحلة، عندما نجد أنّ العالم يهتمّ بمسألة المونديال، بحيث ينسى كلّ قضاياه الإنسانية وكلّ المآسي التي تحدث في هذا المجال.

نحن نجد أنّ العالم العربيّ الآن مثلاً، وربّما العالم الإسلامي، يتابع مسألة المونديال بحماس وبعصبية تجعله يستغرق في هذا المُناخ، وينسى ما يحدث في العراق، وما يحدث في فلسطين، وما يحدث في أفغانستان، وما يحدث في المظالم التي يمارسها الحكّام الدكتاتوريّون الذين وظّفتهم الولايات المتحدة الأميركية ليحوِّلوا بلدانهم إلى سجون لشعوبهم، وما تقوم به أميركا من ضغط على كلّ القضايا الإنسانية في العالم، لخدمة مصالحها الاستراتيجية هنا وهناك. إنّنا لا نمانع من أن تكون للشباب اهتماماتهم، ولكن بالطريقة التي لا تتحوَّل فيها هذه الاهتمامات النفسية إلى حالة من الغفلة التي تشغلهم عن قضاياهم الحيوية المرتبطة بقضايا الإنسان في مناطقهم أو في العالم.

*** أصبح هناك جانبٌ تجاريٌّ استهلاكي في لعبة كرة القدم موازٍ لدور الشركات العملاقة التجارية؟**

– نحن لا نمانع في أن يكون لهذه الاهتمامات الرياضية، تأثير في التزام الناس بها، أو في إقبال الناس عليها، بالمستوى الذي تتحوّل فيه إلى حركة تجارية يحاول بعض الناس الذين يديرونها، أو الذين يتحرّكون في داخلها، تحويلها إلى حالة تجارية في هذا المجال، فتحاول أن تحرِّك الإعلام والأوضاع من أجل زيادة الربح، ولكن ذلك قد يفقد الواقع المعنى الإنساني للرياضة، ليتحوّل إلى حالة من حالات السوق في هذا المجال.

وهناك نقطة قد نلاحظها في هذا المُناخ العصبيّ الذي يشمل مشجعي الرياضيين في الداخل والخارج، وهي أنّه يتحوّل إلى حالة يفقد فيها المشجّعون الذهنية الرياضية التي تعتبر الرياضة مجرّد حركة تنافسية بين فريقين من دون أن تترك في خلفيّاتها أيّة حالة سلبيّة، ولكنّنا نجد أنّها قد تتحوّل إلى حالةٍ عدوانية، كما يحدث حتّى في بعض البلدان الغربية،

عندما يسقط فريق مثلاً ليتعصَّب له فريق آخر، وقد يثيرون الفوضى وما إلى ذلك، ما يدلّ على أنّ الحركة الرياضية تتحوّل إلى مجرّد حركة شكلية من دون أن تنطلق من روح تجعل الإنسان يتقبّل الخسارة من الفريق الآخر بروح واقعية تعتبر أنّ التنافس قد يحقّق لهذا موقعاً إيجابياً أو يحقّق لذاك موقعاً إيجابياً.

*** البلدان التي لديها فريق رياضة ككرة القدم، نجد أنّ شعوب هذه البلدان تدعم فريقها لأسباب وطنية، ونراها ترفع علم بلدها لتشجيع فريقها، ما هو تفسيرك أنّه في لبنان رفعت كلّ أعلام الدول المشاركة في المونديال؟**

- إنّني أوافق على الفكرة التي تقول إنّ قضية الرياضة تحوّلت إلى مسألة وطنية يتحرّك السعي فيها في هذا الوطن وفي ذاك الوطن إلى اعتزاز بالفريق الذي يمكن أن يحقّق للوطن تقدّماً أو نجاحاً، لأنّ المسألة تحوّلت إلى رمز من رموز الاعتزاز الوطني. ولكنّنا نتصوّر أنّ المسألة في لبنان تتحرّك من خلال حالات التخلُّف الانفعالي الذي يأخذ به اللبنانيون بالطريقة غير المعقولة، باعتبار أنّ التعصّب لهذا الفريق أو ذاك، أو التعبير عن هذا التعصّب، لم ينطلق من فكرة، ولم ينطلق من حالة وطنية أو حالة عربية أو إسلامية أو ما إلى ذلك. ولهذا، فإنّ الحماس في ظلّ هذا الجوّ يمثّل حالة من التخلُّف لا تقتصر على هذا الوضع، بل إنّها قد تمتدّ لتصبح حالة كارثيّة في بعض المواقع، وذلك عندما نجد أنّ القضية قد تتحوّل إلى شعارات مذهبية من مشجّعي فريق ضدّ مشجّعي فريق آخر، بحيث تستخدم فيها كلّ كلمات السُّباب والشتائم وحتّى التعرّض للمقدّسات.

في هذا المجال، نجد أنّ المسألة، في هذه العصبية السوداء، إنّما تنطلق من تربية متخلّفة تتحرّك في خطّ الانفعال، وربّما ينعكس هذا أيضاً على التزامات الناس بقياداتهم، بحيث تتحوّل المسألة إلى حالة من عبادة الشخصية التي تجعل القيادة هنا أو هناك، في موقع يقرب من موقع الإله، بحيث يثور الناس للإساءة إليها بطريقة جنونية لا يتوازن فيها الموقف، ولا تتوازن فيها الحركة. إنّ هذا كلّه يفرض علينا القيام بعملية تربوية أخلاقية تجعل الإنسان يعترف بالإنسان الآخر، ويتوازن في نظرته إليه، وفي تقديره له، بحيث لا يكون التزامه بالآخر التزاماً غير مرتكز على حسابات عقلية أو علمية دقيقة.

*** في عام 82، كان لبنان يتعرّض للعدوان، وكان العالم العربي يتلهّى بالمونديال، حتّى إنّ الكثيرين في العالم العربي، لم يعرفوا أنّ إسرائيل اجتاحت لبنان في ذلك العام، أيضاً هناك تقرير ذكر مؤخّراً منذ حوالى ثلاثة أيام، أنّه صُرِفَ بحدود المليارين ونصف المليار ليرة لبنانية ثمناً لشراء الأقمشة والأعلام التي رُفعت على شرفات المنازل. ما هو الموقف الشرعي في ما لو أكّدنا أنّ الرياضة تثير هذه الحساسيات المذهبية والطائفية؟**

– نحن لا نريد أن نطلق الفتاوى بشكل عشوائي مطلق، لنحرّم هذا أو ذاك، ولكنّنا نقول إنّ على القائمين على شؤون المجتمعات، سواء من خلال الصفة الشرعية، أو من خلال الصفة الاجتماعية، أن يقوموا بإصلاح هذا الواقع، وتنشئة الأجيال على أساس أن تضع القضايا في حجمها الطبيعي، وأن لا تتجاوزها إلى المدى الذي يجعلها تبتعد عن قضاياها الحيوية، أو يدفعها إلى أن تصرف الأموال بطريقة مضرّة، أو بطريقة عشوائية أو بطريقة سفيهة أو ما إلى ذلك، ممّا يعتبر إسرافاً وتبذيراً.

ونحن نحبّ أن نؤكّد أيضاً في هذا المجال، رفضنا للطريقة التي يعبّر من خلالها الكثير من الشباب، سواء في نجاح الرياضيين، على مستوى المونديال أو غيره، أو في المناسبات، مناسبات الأعياد أو ما إلى ذلك، بالمفرقعات التي تهزّ البلد، والتي تعبّر عن الذهنية المتخلّفة التي تجعل الإنسان يسيء إلى واقع الهدوء الذي يحتاجه المجتمع، ويشير إلى هذا الذوق غير الفنّي الذي يرتاح للأصوات العنيفة التي تهزّ البلد، وقد عبّرت عن هذا الذوق، بالذوق الحماري، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان:19].

*** سماحتكم أصدرتم فتوى في قضية المفرقعات؟**

– لقد أصدرنا فتوى بتحريم استعمال هذه المفرقعات نتيجة الضرر الذي تسبّبه.

*** ما هو أكثر شيء أدهشك في التغيرات التي راقبتها منذ منتصف القرن العشرين إلى اليوم، على الصعد السياسية والثقافية والتقدّم العلمي الذي حصل؟ وهل من ذات المنظور الديني تنظر إلى هذه التغيّرات التي حصلت؟**

– نحن نؤمن، من خلال التزامنا الإسلامي، بكلّ ما يدفع الإنسان إلى أن يكون حالة تصاعدية، تنفتح على كلّ الآفاق العالية لتكتشفها ولتتعرّف أسرارها، ولتملك من خلالها ثقافة جديدة، سواء على مستوى كوني، أو على مستوى إنساني. لذلك، فإنّني كنت ولا أزال

أتابع كلّ تقدّم علمي يحاول أن يكتشف الكون، وهذا ما نستوحيه من قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ [آل عمران:191]، لأنّ هذه الآية توحي بأنّ على الإنسان أن يتحرّك لدراسة السماوات والأرض ليتعرّف أسرارها، وليعرف أنّها انطلقت من خلال الحقّ الكامل في داخلها وفي نتائجها، وأنّها ليست مجرّد قصّة عمياء تتحرّك في الواقع الكوني أو الواقع الإنساني. وهكذا عندما نتابع أيضاً التقدّم العلمي الذي يحاول أن يكتشف أسرار الإنسان في جسده وفي روحه، ويعالج أيضاً ما يصيب الإنسان من الأمراض التي تقتحم حياته بطريقة أو بأخرى.

ومن الطبيعي جدّاً أنّنا عندما ندرس أيضاً الاكتشافات والإنتاجات والاختراعات بالنسبة إلى الأسلحة، ولاسيّما أسلحة الدمار الشامل، فإنّنا نشعر بالخوف على الإنسان من خلال ذلك، ولاسيّما إذا كانت القوى التي تنتج ذلك أو تسيطر عليه من القوى التي لا تريد للإنسان خيراً. نحن لا نمانع من تصنيع الأسلحة التي يمكن أن تحقّق التوازن في القوى بين قوّة وقوّة، ولكنّ المشكلة هي عندما تُستخدم هذه الأسلحة وتتطوّر من أجل إسقاط الحياة، وتدمير حياة الإنسان، وإخضاع الضعفاء لمصلحة الأقوياء من خلال ما يملكه الأقوياء من أسلحة.

*** ما الذي أثار دهشتك في موضوع تفاجأت أنّه حصل؛ انهيار الاتحاد السوفياتي، أو أحداث 11 أيلول مثلاً؟**

– نحن منذ البداية، كنّا نعيش الثورة، أو نعيش الحالة النفسية الضاغطة عند ولادة إسرائيل، والتي رافقت ولادة إسرائيل، وكنّا نرى كيف أنّ الغرب، وفي مقدّمتهم بريطانيا من خلال وعد بلفور، هذه الدولة المستعمِرة التي عاثت في الشرق وفي العالم فساداً، كيف أنّها تنكّرت لكلّ معاني الإنسانية، وساعدت شعباً على طرد شعب آخر واحتلال أرضه، ليقيم دولة عنصرية على أرض فلسطين، وقد كنّا نرافق مفاعيل هذه السياسة التي حوّلت العالم العربي إلى عالم غير مستقرّ، بل كانت منطلقة من سياسة غربية تخلط الأوراق لتساعد إسرائيل على أن تُنشئ الدولة، وعلى أن تركّز قوّتها في مُناخ هادئ بالنسبة إليها في هذا المقام.

ثمّ جاءت بعد ذلك التطوّرات التي حصلت في العالم العربي، ومنها الثورة المصرية، التي أثارت مُناخاً قومياً من جديد، وخلقت مُناخ صراعات بين القوميّة والماركسية، وما إلى ذلك، ما جعل كلّ الدول في العالم تمدُّ أيديها إلى المنطقة لتعبث فيها، في حالات الانفعال

التي كانت تسيطر عليها، وحالات الصراعات الأيديولوجية التي لم تنطلق من أرضية صالحة للزراعة المنتجة، بل كانت تتحرّك في عالم التجريد. وإذا كان هؤلاء العلمانيّون الذين عاشوا الصراع الأيديولوجي يتحدّثون عن أنّ الدين يجعل الإنسان يعيش في التّجريد، فإنّهم جعلوا العالم العـربي كلّه يعيش فـي حالـة تجريدية، بين أيديولوجية معينة وأيديولوجية معينة أخرى.

هكذا كنّا نتابع التطورات العالمية، ومنها مسألة الثورة الإسلامية في إيران التي كانت حدثاً كبيراً مهمّاً، استطاع أن يهزم القوى الكبرى بطريقة أو بأخرى، في غفلة ممّا كانت تخطّط له، في السيطرة على المنطقة كلّها. وقد استطاعت هذه الثورة أن تصنع الكثير من الروح الإسلامية الجديدة في العالم الإسلامي، ولكنّنا لاحظنا كيف أنّ الدول الكبرى التي كانت تعيش الصراع فيما بينها، في ما يُعرف بالحرب الباردة، كيف توافقت على إضعاف وإرباك هذه الثورة الإسلامية في إيران، من خلال الحرب التي فُرضت على إيران من وكيل القوى الكبرى، وهو صدام حسين. وهكذا تابعنا كيف أنّ الدول العربية استخدمتها أميركا لتمويل هذه الحرب ضدّ إيران. وكانت المسألة الكبرى هي سقوط الاتحاد السوفياتي، والذي أنتج تفرّد الولايات المتحدة الأميركية في قيادة العالم، نتيجة ما تملكه من القوّة.

أمّا من الناحية الاجتماعية، فإنّنا نلاحظ أنّ المجتمعات في العالم دخلت في حالة من التطوّر السلبي من جهة، والإيجابي من جهةٍ أخرى، فمن النّاحية الإيجابية، لاحظنا كيف أنّ هذه المجتمعات استطاعت أن تدخل في مناخات ثقافية وعلمية وتنظيمية، بحيث إنّها تمكّنت من أن توازن الكثير من الحالات الاجتماعية، ولاسيّما عندما انطلقت الحركة النقابية في العالم، والتي استطاعت أن تترك تأثيراتها العملية وتأثيراتها الواقعية على حركة العمّال وحركة الفلاحين، وعلى حركة المستضعفين في العالم. كما أنّنا لاحظنا الجوّ السلبيّ في هذه المجتمعات، عندما انطلقت الخطوط اللاأخلاقية من خلال شعارات الحرية التي انطلقت من الحضارة الغربية، والتي أدّت إلى نوع من الفوضى الأخلاقية في العالم، بحيث أصبح النظام هو الحالة اللاأخلاقية التي تجعل الإنسان يعيش الحريّة المتفلّتة من كلّ الروابط الأخلاقية. وقد بدأت هذه الخطوط في الغرب تتحرّك لتصل إلى منطقة الشرق، ومنطقة العالم العربي والإسلامي، لتربك قِيَمَهُ وأوضاعه، بحيث لم يصبح غربياً في حركته أو في ذهنيّته، ولم يلتزم أيضاً بما تفرضه عليه التزاماته الدينية، فأصبح حائراً بحيث لا شخصية له،

فهو ليس غربياً وليس شرقياً، مثل مشية الغراب في هذا المجال.

*** لقد ذكر أحد كبار المسؤولين في الشركات المصنّعة لأدقّ أسلاك جهاز الكمبيوتر في وادي السليكون في كاليفورنيا، وهو السيد سيسكو، أنّ ما حقّقته الثورة الصناعية خلال مئة عام، حقّقته ثورة التكنولوجيا في ثلاث سنوات، وهو ما انعكس على الأدب والثقافة وعلم الاجتماع والسياسة، وينظر السيد سيسكو إلى هذا الأمر من زاوية سلبية، بالرغم من أهمية شركته في عالم التكنولوجيا، في حين أنّ بعض علماء علم الاجتماع يقولون إنّه لم يعد في مقدورهم قياس نظريات اجتماعية نظراً لسرعة تطوّر المجتمعات؟**

- لعلّ المشكلة هي أنّ حركة التطوّر المادي، سواء من الناحية التكنولوجية أو من ناحية الأوضاع الاقتصادية، أو من ناحية اختلاط المسائل السياسية والأمنية ببعضها البعض، ومحاولة استغلال كلّ شيء بطريقة وبأخرى لخدمة العولمة الاقتصادية، ولإيجاد المناخات العامة في العالم في حركة المستضعفين والمستكبرين، وما يرافقها من الحروب والمنازعات، سواء كانت حروباً عسكرية أو سياسية أو اقتصادية جعلت الإنسان في هذا العالم لا ينطلق من بُعدٍ واحد، وإنّما تقتحمه كلّ هذه المؤثّرات، بحيث تجعله يعيش حالةً من الفوضى الذهنية التي يشعر فيها بالإرباك الأخلاقي والعملي والنفسي.

ولذلك، فالقضيّة أنّ هذه التطورات المتنوّعة في تأثيراتها وأوضاعها، جعلت الإنسان لا يستقرّ على بُعدٍ واحد، ولا يستطيع التركيز على بُعدٍ واحد واتّجاهٍ واحد، وإنّما جعلت الاتجاهات تتصارع بشكل غير ناضج في عقله ومشاعره وأحاسيسه، ما يجعل الناس يعيشون على طريقة الآية الكريمة: ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى**﴾ [الحج:2]. لأنّ المسألة أنّ الناس تعيش هذا النوع من التحرُّك في المتاهات التي يبحث فيها الإنسان عن لقمة عيشه وعن حريته وقيمه وكلّ ما يحيط به، لأنّ الإنسان أصبح يشعر أنّه محاصر من كلّ هذه القوى الكبرى التي تملك قوّة الاقتصاد والتكنولوجيا، وحتّى مراكز الدراسات التي تحاول أن تضغط على الإنسان ليبقى في هذه المتاهات الفكرية والأخلاقية.

*** إلام يرمز وضع الخاتم الفضي ذي الحجر الكريم والكبير الحجم في إصبع يد رَجل الدين؟**

- ليس له أيّ معنى سوى كونه زينة تقليديّة معيّنة، وربّما يجد الإنسان في بعض النصوص

الدينية استحباب لبس خاتم من العقيق أو غير ذلك، ممّا قد يفسّر بأنّه استحباب للتزيّن في هذا الإطار بشكل وبآخر.

*** هل زرتم مواقع أثرية تاريخيّة؟ أم إنّكم تعتبرونها إرثاً وثنياً لا يجوز زيارتها؟**

– أنا لا أعتبر أنّ الإرث الإنساني للشعوب، سواء كان وثنياً أو غيره ممّا لا يمكن الوقوف عنده. فأنا حين أقف أمام التراث الوثني، أحاول دراسة خلفيّات هذا التراث الفنيّ الذي تركه الوثنيّون، لأفهم كيف انطلقت الوثنية وكيف أثَّرت، لأنّني أجد فيها موضع دراسة في هذه الإنسانية، كيف كان الإنسان: تفكيره، عباداته، مستواه في تمثّله للعبادة في هذا المقام.

أمّا التراث الديني المتنوّع والمختلف، فإنّني حين أنطلق إليه، أشعر أنّني أدخل موقعاً ثقافياً أحاول أن أضيف فيه إلى معلوماتي معلومات جديدة من خلال التاريخ وغيره ممّا تركه الأقدمون. وحتّى دراسة التراث توحي أنّه يريد لنا أن نتحرّك في آثار الأقدمين لنأخذ منها العبرة والثقافة.

10 ـ 7 ـ 2006

*** هناك مجموعة توضيحات أريد الاستفسار عنها، منها ما يتعلّق بقضية اغتيال الرئيس الحريري. حول قراءتكم بعد أكثر من سنة على هذا الاغتيال، إلى ماذا استندتم في تلميحكم إلى دور لتنظيم القاعدة؟**

– لا أستطيع أن أُعطيَ رأياً في هذا الموضوع بالطريقة التي يمكن أن تشكّل موقفاً في هذا المجال، ولكنّي اعتمدتُ على تحليلات، ومن بينها أنّني لم أكن أجد من ناحية الدوافع ما يدفع أحداً إلى اغتيال الرئيس الحريري، بما في ذلك سوريا، لأنّ الحريري أساساً في كلّ مسيرته في لبنان، لم يكن مشكلةً لسوريا، لأنّه عندما كانت تحدث أيّة حالة، يمكن أن تكون عنيفة أو هادئة، كان الرئيس الحريري يملك من المرونة ما يمكن له أن يمتصّ المشكلة، والسوريون أساساً لم يكن عندهم شخصيّة بالنسبة إلى لبنان يمكن أن يتعاملوا معها على أساس رئاسة الوزراء. وهم يعرفون أنّ اغتيال الرئيس الحريري ليس أمراً سهلاً يمكن

السكوت عنه بالطريقة التي يُسكتُ فيها عن بعض الأحداث في لبنان، خصوصاً أنّ المرحلة الآن تختلف عن المراحل السابقة التي كان يحدث فيها بعض من هذا.

إذاً، من الناحية الشخصيّة؛ ناحية العلاقات الخاصّة، لم أكن أجد أنّ هناك أيّة دوافع سورية في هذا المجال، ثم جاء بيان «أبو عدس» الذي لا نعرف عنه شيئاً، ولكن هناك نقطة موجودة عند القاعدة، وهي أنّه إذا كان يمثّل القاعدة، أو مدفوعاً من قبلها، فمعروف أنّه عندما تعلن القاعدة عن موقفٍ لها فإنّها لا تكذب، وهو ما لاحظناه في العراق وأفغانستان وأميركا، وما برّروا به الأمر هو الثأر من السعودية، وأنّ الرئيس الحريري كان رجل السعودية في لبنان أو في العالم بشكل وبآخر.

وهناك بعض المعلومات من قِبَل بعض ضبّاط الجيش اللبناني التي صوّرت لي موقع الحدث وغيره يمكن أن تُعطيَ الإنسان بعض الإيحاءات. هذه هي المسألة، ولكن بعد ذلك، واحتراماً لنتائج التحقيق، فإنّ ذلك لا يمثِّل رأياً جازماً، خصوصاً أمام الأمور التي استجدّت وعلامات الاستفهام التي أحاطت بمسألة «أبو عدس» وغيره.

ولكنّني من جانب آخر، كنتُ لا أبرِّئ إسرائيل من اغتيال الرئيس الحريري، على أساس أنّ المسألة تنطلق أولاً من أنّ إسرائيل لم تكن تثق بالرئيس الحريري، على عكس ما كان يقوله بعض خصومه من أنّ إسرائيل وأميركا تثقان به. فالرجل أعرفه وعشتُ معه قرابة تسع سنوات في لقاءات متحرّكة جدّاً وكثيرة بيني وبينه، ولا أعتقد أنّه من الممكن أن يتعامل مع إسرائيل، ولا أن يتعاون مع أميركا تعاوناً ضدّ لبنان أو سوريا، فهذا أمر أستبعده. ولكنّ إسرائيل كما نعرفها، تريد أن تخلط الأوراق في لبنان، وتريد حتّى مع أميركا تهيئة الظروف الداخلية في لبنان للضغط على سوريا وانسحاب الجيش السوري، ولذا بدأ هذا الاحتمال يجد له وجهاً فيما أتصوّره في هذا الموضوع الغامض.

النبعة ـ الحرب الأهلية

*** كنتم قد عدتم من النّجف للسّكن في محلة النّبعة الواقعة في شرق العاصمة بيروت، واستقرّيت في النبعة، حيث الغالبية من لون دينيّ معيّن، ولكن لا ريب أنّها كانت مختلطة، هذا**

الاختلاط، هل عشتموه في منطقة النبعة، أم إنّكم عشتم في المحيط الذي تنتمون إليه فقط؟

– عندما دخلتُ النبعة وعشت فيها، انفتحت على المنطقة كلّها، وكنت أتحرّك في سدّ البوشرية وفي الفنار وفي رويسات الجديدة وفي أكثر من منطقة هناك. وكنتُ أستقبل شخصيات مسيحيّة في الاحتفالات والمناسبات التي كنّا نقيمها، مثل عاشوراء والمولد النبوي، حيث استقبلتُ بولس سلامة ونصري سلهب وجوزف الهاشم والكثيرين. وكان المسيحيون يحضرون في حفلاتنا، كما أنّه كانت لنا علاقات مع الأرمن، ولم أكن أعيش في الدائرة الشيعيّة الخاصة، وكنّا ننفتح على علماء السنّة وعلى شخصياتهم الذين كانوا يزوروننا، ومن الطبيعي أنّ العلاقة كانت بيننا وبين السيد موسى الصدر الذي كان يزورني في النبعة وينام عندي أحياناً، وكنت أزوره في بيته أو في مقرّ المجلس ونعقد اجتماعات، إضافة إلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين وبعض الأصدقاء العراقيين الذين كانوا يزورون لبنان، وكانوا مشتركين في هذا المجال من حيث الصداقة.

❋ كيف بدأت تستشعر بدايات الحرب الأهلية؟

– مسألة الحرب الأهلية كانت تنطلق من خلال الوجود الفلسطيني في النبعة، ومن حذر المسيحيين من هذا الوجود الفلسطيني، إضافة إلى وجود بعض الجهات من المواطنين الشيعة داخل النبعة مثل «فتيان علي». هذا الوجود المتنافر، والذي كانت تتحرّك فيه شعارات فلسطينية وغيرها، خصوصاً مع وجود «تلّ الزعتر» وبعد سقوطه، كان يثير الكثير من الأحاسيس والمشاعر التي تحوّلت في ما بعد إلى خطوط التماس عندما كان الشيعة الذين يتنقّلون بين النبعة وتلك المناطق يُقتلون على الهوية عند كثير من الحواجز الموجودة، خصوصاً حاجز السريان وما شابه ذلك.

❋ إذا أردت تسجيل شهادتك للتاريخ، مَن الذي تحمِّله مسؤولية شرارة الحرب الأهلية في لبنان 13 نيسان 1975؟

– إنّي أحمِّلها لأميركا ولإسرائيل، لأنّنا أساساً كنّا نعرف أنّ هنري كيسنجر(❋) كان يريد توريط الفلسطينيين في الحرب اللبنانية، ليتحوّل ذلك إلى مشكلة فلسطينية ـ لبنانية، وخصوصاً مع دخول الحركة الوطنية في هذا المجال، ووقوفها ضدّ سوريا، باعتبار أنّ سوريا عملت على

(❋) وزير خارجية أميركا الأسبق.

حماية المسيحيين في لبنان، وهذا ما كان يخطّط له هنري كيسنجر، وهو إخراج الفلسطينيين من لبنان، أو إخراج البندقية الفلسطينية.

*** ولكن هم يخطِّطون ونحن ننفِّذ؟**

– هذا نتيجة الحالة الطائفيّة الموجودة في لبنان، ووجود بعض المشاكل التي تُحرّك هذه الحالة الطائفية، وخصوصاً أنّني كنت وأنا في النبعة، أعرف أنّ المسيحيين بقيادة حزب الكتائب، كانوا يتدرّبون على القتال حتّى يستعدّوا للمعركة في ذلك الوقت.

*** متى تركتم النبعة؟ وكم مرّ من أيام على بداية الحرب حين تركتم النبعة؟**

– تركتها سنة 1976، وقد كنتُ فيها خلال حرب السنتين.

*** هل تغيّر جدول أعمالك حينها، وانتقلت إلى المساهمة في إخراج هذا المخطوف وذاك؟**

– كنت أحاول في ذلك الوقت توجيه الناس وتوعيتهم، وتقديم تقرير يومي حول الأوضاع، حتّى يحذر الناس من التنقّل، خصوصاً بين المنطقتين، حتّى إنّني عندما انطلق الناس لينهبوا في الكرنتينا وغيرها، كنتُ أحرِّم على الناس ذلك.

*** كيف خرجتم من النبعة؟ هل متنكِّراً؟**

– لقد خرجت مريضاً من النبعة، وخسرتُ 30 كيلو غراماً من جسمي، وكنتُ أعيش في ملجأ يتبع للحسينية، والذي تحوّل إلى مستودع جثث، وتحوّلت الحسينية إلى مستوصف صحيّ أو مشفى لمعالجة الجرحى. وأيضاً كنّا نقدِّم مساعدات للنّاس في ما يتعلّق بالأوضاع الماديّة، وكنتُ أقوم بالصلاة وأعطي المحاضرات، وأقوم بالاتصال بالشخصيات السياسية. وكان هناك تواصل سياسي وشخصي دائم بالسيّد موسى الصدر، وكان هناك أيضاً اتصالات بكامل الأسعد بسبب علاقاته مع المسيحيين. لقد كنّا لا نتردّد عن القيام بأيّ شيء يمكن أن ينقذ النّاس.

*** ما هو أبشع منظر يتذكّره سماحة السيد في حرب السنتين؛ فكلمة مستودع جثث غير طبيعية؟**

– الجثث كانت تأتينا في الليل وفي النهار، وأصعب موقع هو عندما انتقلنا من النبعة إلى المنطقة الغربية، وكان ذلك يوم ما عُرف بـ «السبت الأسود»، ونجونا بأعجوبة في ذلك الوقت.

❋ هل من الممكن إيراد ذلك بالتفاصيل؟

– خرجتُ مع عائلتي في سيارة، ولم نكن نعرف أنّ هناك ما اسمه السبت الأسود، ولم أدرِ كيف أنّ الله سبحانه وتعالى أنجانا من ذلك، دون أيّة وساطة. ومن اللافت أنّني عند الانتقال الأول ذهبتُ إلى بنت جبيل، ثمَّ عدتُ إلى النبعة قبيل سقوطها، لأنّني كنت أشعر بمسؤوليتي عن الناس في القضايا الصغيرة والكبيرة. فمنذ انطلاقتي أحبّ الناس وأحترمهم، ولم أستغلّهم في أيّ شيء، ولم أشجّعهم على تضخيم شخصيّتي، حتّى إنّني منذ ذلك الوقت وحتّى الآن، لم أشجّع أحداً على أخذ صورة لي ووضعها في مؤسّساتنا أو في البيوت.

❋ علمت أنّكم في تلك الفترة كتبتم مؤلّفكم: الإسلام ومنطق القوّة؟

– هي كانت محاضرة ثم عملت على توسيعها.

❋ حين أصبحتم تهتمّون بأمور النّاس، كنتم تقدّمون للناس المساعدات، خصوصاً بعد أن ضيّقت الحرب عليهم، فهل شملت المساعدات غير أبناء الطائفة الشيعية؟

– حين كان يأتينا من غير أبناء الطائفة الشيعية كنّا نساعدهم.

❋ هل لديك جواز سفر غير لبناني؟

– لا، أبداً أنا كنت لبنانياً وأنا في العراق ولا أزال، ولم أجرّب حمل جواز سفر غير لبناني، أو أن آخذ جنسية من أيّ بلد. والجنسية تمثّل وجودي الواقعي الإنساني الجغرافي في البلد. فأنا شخصيّاً أعتبرني أولاً من جبل عامل ومن لبنان، ولا أؤمن بما يقوله بعض الناس حين يتحدّثون عن الطوائف بأنّ للشيعة اللبنانيين وطناً آخر غير لبنان. وفي هذا المجال، فإنّ لبنان هو وطننا النهائي الذي ننفتح فيه على النّاس والمنطقة بشكل عام. وعندما ولدتُ في العراق ونشأت فيه، لم أحاول أن آخذ جنسيّة عراقية(❋).

❋ هل انتماؤكم اللبناني يمثّل لكم مشكلة إسلامية على مستوى تقسيم المنطقة التي كانت كلّها بلاد الشام؟

– شخصيّاً، أعتبر أنّ لبنان ليس بلداً مسيحياً. إنّه بلد التنوّع الطائفي الذي تأخذ فيه كلّ طائفة

(❋) قبل وفاته (رضوان الله عليه) أصدرت الحكومة العراقية قراراً بمنح الجنسيّة لكلِّ مَن وُلِد في النجف الأشرف، ولأنَّ السيد وُلِد هناك فشمله القرار دون أن يسعى هو إلى ذلك.

موقعها ومسؤوليتها، وإذا كان الشيعة قد عاشوا الحرمان في بعض المراحل، فأيضاً هناك من غير الشيعة من عاش ذلك في مراحل معينة، فالسنّة في عكّار والبقاع عاشوا الحرمان، وكذلك بعض المسيحيين عاشوا مشكلة الحرمان. ولا زلتُ أقول إنّ هذه الذهنية التي يتصارع فيها المسلمون والمسيحيون في مَن يكون رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزارة ورئيساً للمجلس، أقول إنّ هؤلاء الرؤساء وجماعتهم يستفيدون من هذه المواقع، أمّا المسيحيون والمسلمون، فلا يستفيدون من هذا شيئاً.

*** طموحكم كأصحاب برنامج ديني ليس إقامة حكم إسلامي في لبنان، لربّما إقامة دولة الإنسان؟**

– منذ البداية كانت قد أُجريت معي بعض حوارات في هذا المجال، منذ البداية، كنت أقول إنّه ليس هناك أيّة واقعية للجمهورية الإسلامية في لبنان، وعندما أتحدّث عن لبنان الجمهورية الإسلامية، كنتُ أصارح حتّى بعض المسيحيين من رجال الدين وغيرهم بالقول: إنّني لا أتصوّر أنّ هناك إرادة لإقامة جمهورية إسلامية على مستوى الواقع في لبنان، ولا ندعو إلى ذلك وإنْ كنّا نؤمن بها. ولكنّني أردتُ أن أُخرج الإسلام من الجانب الطائفي إلى الجانب الفكري القيمي القانوني.

*** هل لديكم صداقات على مستوى عالمي مع شخصيات فكرية أو إنسانية؟**

– كانت هناك صداقات طارئة، ولكنّها ليست صداقات عميقة بعنوان الشخصيات الكبيرة، وقد تحدثُ لقاءات وحوارات بين وقتٍ وآخر على المستوى الفكري والمستوى السياسي وغيره.

*** هل تَرَوْنَ من موقعكم الإسلامي النظرة نفسها التي تحدّث عنها بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس السادس حول أنّ لبنان بلد رسالة؟**

– هناك بعض الكلمات والمصطلحات التي لا أتفاعل معها، فالرسالة معناها الانفتاح على الحياة والإنسان والواقع وقضايا المصير والعلاقات، وهذا ما لا أجده في ممارسة اللبنانيين في هذا المجال. لبنان في تعايشه، فإنّه يختزن العصبيّة التي تنخر في قلبه من أعلى موقع إلى أقلّ موقع فيه. إنّي أؤمن بالإنسان اللبناني العادي الذي لا يعيش العصبيّة، وإنّما يبحث عن قوّته وأمنه ومستقبله ومستقبل أولاده. ولكنّي لا أؤمن بهؤلاء الذين يمتهنون السياسة، سواء

كانوا من رجال السياسة، أو من رجال الدين الذين يلعبون على مسألة أنّ الدين لا يتدخّل في السياسة، ومع ذلك، نراهم يتحرّكون في الكهوف السوداء بأبشع ما يكون من السياسة، من ناحية رعايتهم لطوائفهم قبالة الطوائف الأخرى. وهذا ما نلاحظه حتّى الآن من خلال أكثر من موقع ديني متقدِّم، عندما يحرّكون التصريحات التي تحمل في عمقها حالة الطائفيّة السوداء.

*** كنتُ قد أجريت مقابلة مع سماحتكم في عام 1985 لحساب مجلة «الشراع» أيضاً حول تدهور الوضع السياسي، وقد أطلقتم يومها شعاراً يدعو إلى أَخْلَقَةِ السياسة؟**

– وأكاد أقول أيضاً إنّه حتّى الكثير من رجال الدِّين يحتاجون إلى أَخْلَقَةٍ في ممارستهم للعمل السياسي، لأنّ المسألة الأخلاقية في بعض المسائل تمثّل خلفيّات المواقع الدينية والسياسية في هذا المجال، لأنّ الكلّ يحاولون خدمة طوائفهم، هو حقّ لهم، ولكن على أن لا يكون ذلك على حساب الطوائف الأخرى.

*** هل تلقّيتم علوماً عصرية غير العلوم الدينية؟**

– لم أتلقَّ ذلك، ولكنّي كنتُ أقرأ كثيراً في ما يتجاوز الثقافة الدينية.

*** لو لم تكن رجل دين، فماذا كنتَ تحب أن تكون: طبيباً، شاعراً، سياسيّاً؟**

– أنا لا أعتبر موقعي كعالم ديني يمثّل موقعاً يؤطّرني، فأنا أعيش إنسانيتي كعالم دينيّ أحاول أن أخدم الإنسان بشكلٍ عام، كما أنّني أعيش إنسانيتي كشاعر وكأديب وكسياسي وكشخصيّة اجتماعية، وكإنسانٍ يعيش في الدائرة الواسعة من العالم، لأنّني أقرأ كلّ ما يحدث لأيّ بلد في العالم، فأنا أعرف الكثير عن مشاكل الصين واليابان والبلدان الآسيوية الأخرى، إضافة إلى مشاكل أميركا وأوروبا، وأعتبر أنّ الواقع الذي نعيش فيه مرتبط بكلّ هذه الخطوط في هذا المجال، من خلال تأثيرها على الحركة السياسية والاقتصادية والأمنية في الواقع، وهذا ما نتابعه في حياتنا بشكلٍ وبآخر.

*** ألا تشعرون أنّ للمرجعية قيوداً؟**

– إنّني أعيش في تطلّعاتي كإنسان وكشاعر، وأُحسّ أنّ عليّ الانطلاق والانفتاح تماماً، وكنتُ أتحدّث دوماً عن التحرّك في الهواء الطلق، وأن لا أعيش القيود بالمعنى البروتوكولي

للقيود في هذا المقام، ولكنّي ألتزم ما يفرضه عليّ موقعي من خلال ما يتّصل بالقضايا العامة التي قد توحي بالثقة، لا من الناحية الذاتية، ولكن من ناحية الخدمة العامة.

❊ ألا تشعرون من الجانب الذاتي بالعطش للتجوال في الطبيعة؟

– شخصياً أعيش العطش للطبيعة والانفتاح، والتحرّك في الهواء الطَّلْق دون قيود في هذا المقام، ولكنّ ظروفي لا تسمح لي بذلك.

❊ أغلبية ساعات يومك ضمن جدران المنزل، ألا تشعر بأنّ الحريّة في داخلك تجعلك تتحدّى الجدران؟

– أنا لا أشعر بالجدران تحيط بي، لأنّني أعيش إنسانيتي، وأعيش مع النّاس حين أنصرف إلى أعماقهم، وأنفُذ إلى حياتهم وآلامهم ومشاكلهم وأتطلّع إلى الواقع الإنساني في العالم. ولذلك، فإنّني عندما أقرأ الصحف، أو أستمع إلى الإذاعات أو الفضائيات، فإنّني أعيش مع العالم ولا أشعر بوجود جدار يمكن أن يُطبق على فكري أو حركتي الروحيّة أو السياسية أو الإنسانية.

❊ هل هناك عالَمٌ خاص خلقه السيد بريشته الشعرية، ولاسيما أنّه يقول:

فـأنـا أخـلـقُ وحـدي جـنّـتـي   فـأرى الـلـذّة فـي أعـمـاقِ حزني

– بعبارة أخرى، لا أسمح للألم أن يفترسني، بل أحاول فلسفة الألم والدخول في عمقه، لأجد فيه العناصر التي يمكن أن تحدث فيه شيئاً من اللذّة والفرح، وإنّ الذي ساعدني في ذلك، أنّني لم أعش الذّات في سجنها المظلم، ولكنّي عشتُ الفكر والرّوح والانفتاح على الله والإنسان من خلال رسالتي. لذلك، فإنّني عندما أنطلق، لا أشعر بوجود وقتٍ لي لأتألّم أو لأعيش السقوط في كهوف الألم... لأنّي دائماً أرقب الشمس، وإذا غابت أرقب الكواكب، وأستوحي منها ما تحدّثت عنه في بعض قصائدي. إنّي أنظر إلى الكواكب المتناثرة في الفضاء، فأراها تضيء إضاءةً خافتة، ولكنّها تتجمّع لتعطي الأُفق الفجر الجديد ولتشير إليه من أجل أن يكون الفجر كلّ هذه الإضاءات الكوكبية، حتّى تنطلق الشمس بشكلٍ خافت، ولتندمج بالأرض فتأخذ منها الضوء هنا وهناك، حتّى إذا غابت الشمس، كانت إشارة إلى عمق نورها في هذه الإضاءات المتناثرة.



ما بعد حرب 12 تموز

حزب الله مجدَّداً

28 ـ 9 ـ 2006

*** ما هي النصائح الثلاث التي وجّهتمونها إلى حزب الله في الثمانينيّات مع بداية نشوئه، إذا كنتم تتذكّرونها؟ واليوم، ما النصائح التي توجّهونها بعد عدوان تموز 2006؟**

– لقد كان الأفق الذي أفكّر فيه في أيّ حركة إسلامية، هو أن تنفتح من خلال الصفة الإسلامية الحضارية التي تفكّر في الإسلام في حجم العالم، وتحاول أن تنفذ إلى عمق التفكير الإسلامي، لتستخرج العناصر الحضارية في الإسلام لتقدّمها إلى العالم، لأنّنا لا نريد أن ندخل إلى العالم إلاّ من خلال الحركة الحضارية، سواء على مستوى الفكر، أو على مستوى الشعور، أو على مستوى الممارسة.

لقد تحدّثت مع الأخوة في حزب الله، كما كنت أتحدّث مع الحركة الإسلامية في العراق، أنّ علينا أن نكون رُسُل الإسلام إلى العالم بالمستوى الذي نفتح فيه عقول العالم على عناصر القيم الحضارية للإسلام، حتّى يشعر العالم بأنّ التطوّر الذي بلغه لا يبتعد عن القيم الحيويّة الموجودة في الإسلام. وهذا هو الذي يمكن أن يخلق حواراً موضوعياً عقلانياً بين الغرب والإسلام، لأنّهم سوف يجدون الشورى، وحقوق الإنسان، والتطلّع نحو التقدُّم العلميّ، على أساس أنّ العلم هو القيمة التي يعتبرها الإسلام في تقييم الإنسان، وخصوصاً أنّه يدعو النّاس إلى التصاعد في المسألة العلمية، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه:114]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:9]. وهو يعطي العقل الدور الكبير، بمستوى أنّه إذا تعارض العقل مع النّص، يقدَّم العقل على النص، ويؤوَّل النص لصالح العقل إذا كان قطعياً طبعاً.

كنتُ أحاول تقديم الإسلام بصورة حضارية، وهو ما كنتُ أفكّر فيه منذ بدايتي في العمل الإسلامي.

وكنتُ أتحدّث معهم أن لا يعيشوا في دائرة ضيّقة محلية أو إقليمية، بل أن ينفتحوا على العالم كلّه من أجل توحيد المواقع الإسلامية، حتّى يستطيع المسلمون أن يكونوا قوّة أمام القوى الأخرى، ولكن ليست قوّة عدوانية أو إرهابية، وليست قوّة تأخذ الناس بالعنف، بل قوّة إنسانية تحاول أن تنفتح على الإنسان كلّه، بما يحقّق مصالح الإنسان، وأن تكون لديها الخبرة التي تستطيع من خلالها أن تدافع عن قضاياها وعن مقدّراتها وعن حريّاتها، وأن يكونوا القدوة للناس في ذلك كلّه.

لقد كنتُ أفكّر في أنّ علينا أن نُخرِجَ الحركة الإسلامية من دورها التقليدي الذي يجمِّد الإسلام ويجمِّد المسلمين.

❊ يقال إنّكم نصحتم أيضاً «باللبننة»؟

– كنت أتحدّث عن الواقعية، وعندما أطلقتُ كلمة «اللبننة»، لم أقصد الغرق في الخصوصيات اللبنانية، ولكن أن ندرس واقعنا وبلدنا وأوضاعنا دراسة نستطيع فيها أن نرتفع بالبلد بطريقة واقعية، من خلال دراسة العناصر الإيجابية والسلبية الموجودة في داخل هذا البلد، لأنّني لا أؤمن بأن يحصر الإنسان حركته في دائرة ضيّقة، بحيث يعزل نفسه عن المحيط وعن العالم. ولذلك، فإنّما يحزنني هو ما أسمعه في أكثر من بلدٍ عربي وإسلامي، عندما تنطلق الدعوات في الاستغراق في خصوصيّة البلد وبعيداً عن قضايا الأمّة، وهو ما نلاحظه في أكثر من بلدٍ عربي بعد التدهور الذي حصل في الذهنية العربية من خلال الأقوال التي بدأت: ما دخلنا بقضيّة فلسطين؟ وهكذا نجد الحديث في لبنان، إنّنا لا نريد تحمّل الصراع العربي الإسرائيلي ما دام العرب لا يحرّكون ساكناً، فعلينا العمل على أساس الصلح مع إسرائيل.

❊ ماذا تقول لحزب الله بعد عدوان إسرائيل في تموز 2006، و33 يوماً من التصدّي والمواجهة؟

– إنّني أقول إنّ حزب الله استطاع أن يصل إلى القِمّة في المسألة الجهادية، وذلك من

خلال هؤلاء الشباب الذين نعرف الكثير منهم، وهم شباب مزوّد بالعلم والمعرفة والخبرة والتدريب والإخلاص لله سبحانه وتعالى وللأمّة. لقد استطاع أن يبلغ القِمّة، لأنّه استطاع أن ينتصر في الوقت الذي تجمّدت فيه شعوب الأُمة العربية، وانعزلت عن قضايا بعضها بعضاً، من خلال القائمين على شؤونها من الحكّام.

إنّ هؤلاء الشباب استطاعوا لأوّل مرة في تاريخ الصراع مع إسرائيل، أن ينزلوا نوعاً من الهزيمة بها، حيث هزموا دبّاباتها المتطوّرة، وهزموا جنود النّخبة الذين كانوا يفرّون ويصرخون، واستطاعوا أن يقصفوا المستوطنات الإسرائيلية وتجمّعات الإسرائيليين في قواعدهم العسكرية، فكان القصف الإسرائيلي يُقابَل بقصفٍ من قِبَل المقاومة. لقد استطاعوا أن يسقطوا عنفوان إسرائيل، وأن يسقطوا أيضا عنفوان السياسة الأميركية في المنطقة التي قادت الحرب الإسرائيلية من أجل مشروع الشرق الأوسط الجديد.

إنّنا نقول لهؤلاء الشباب المجاهدين ولقيادتهم، إنّهم استطاعوا أن يبلغوا القِمّة أو قريباً من القِمّة في جهادهم. وفي المقابل نقول لهم، إنّ المستقبل يفتح لهم ذراعيه من أجل أن يبلغوا القِمّة في العلم وفي التفكير والحضارة، وفي الانطلاق بالأمة إلى آفاق جديدة، لأنّنا نعتقد أنّ التحدّي الكبير يواجهنا، إنّما هو أيضاً التحدّي العلمي والتحدّي الحضاري. إنّ علينا أن نحرِّك الجهاد في مواقعه، لتتحرّك السياسة في مواقعها، ولتتحرّك الحضارة العلميّة، وأن ننفتح على العالم من خلال دراسة عقول العالم، ونتعامل معها على أساس القضايا التي تحكم هذه العقول، والوسائل التي تستخدمها هذه العقول، انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**».

لقد استطعنا أن نتجاوز التحدّي العسكري والأمني، بالرغم من أنّنا لا نزال نعاني الكثير من تبِعاته ومفاعيله، ولكن علينا مواجهة التحدّيات الأخرى، في أن ندخل العالم من جديد بالإسلام المنفتح على العلم وعلى الحضارة وعلى الإنسان كلّه، بحيث نعمل على أساس الوحدة الوطنية في بلدنا التي تنطلق من خلال المواطنة بعيداً عن الطائفة، والوحدة العربية في المنطقة العربية في تحدّيات الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وفي تحدّيات السقوط الإنساني الذي يمارسه الحاكمون في البلاد العربية، الذين ألغوا شعوبهم وأسقطوا عنفوانهم، عندما عزلوهم عن الاندفاع في المطالبة بالحقوق الإنسانية لبلادهم، وفي مواجهة التحدّيات

الكبرى، سواء كانت تحدّيات دولية تمثّلها أميركا في ضغطها على العالم العربي، أو تحدّيات إسرائيلية في محاولتها لاحتواء العالم العربي بطريقةٍ وبأخرى، ثمّ الوحدة الإسلامية التي لا بدّ لنا من أن نتحرّك فيها بطريقة علميّة وموضوعيّة وإنسانيّة، تحرّك الخلافات بين المسلمين، لينطلق الحوار في ذلك على أساس ما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:59]. وهكذا أن ننطلق لنصنع الأُمة التي تزيد على المليار نسمة، لنكون قوّة في العالم بطريقةٍ وبأخرى.

*** بقراءة سريعة لنتائج 33 يوماً من العدوان الإسرائيلي على لبنان، والمواجهة الأسطورية لحزب الله لصدّ العدوان. إنّ حزب الله وضع ما يُشبه حجر الأساس لبداية صراع مختلف مع هذا الكيان الإسرائيلي الغاصب، حيث هزّ هذا الكيان وأيقظه من مقولة إنّه قويٌّ لا يهتزّ. هل تخشى على هذا النصر الذي حقّقه حزب الله من تكتّل عربيٍّ أو دوليٍّ ما؟**

ثانياً: من نتائج العدوان اختراق حزب الله الشارع العربي بكلّ قواه، السنيّة الأصولية والعلمانية والمثقّفين وبكلّ الأوساط. هل يستطيع حزب الله استثمار هذا الاختراق، أم تخشى عليه من عدم التواصل وعدم القدرة لأسباب تتعلّق بظروف غير موضوعية؟

– لقد بدأت الحرب السياسية والإعلامية الدولية، ومن ضمنها الحرب العربية في هذا المجال، من أجل محاولة إضعاف وتطويق هذا النصر، نتيجة الخوف على الخطوط السياسية التي تحاول أن تركّزها وتحرّكها أميركا وحلفاؤها من الاتحاد الأوروبي وغيره. وهكذا بالنسبة إلى البلاد العربية التي تمثّل الهامش للسياسة الأميركية في المنطقة، لأنّ انتصار حزب الله أصابهم بالرّعب من أن يتحوّل إلى ثورة شعبية، خصوصاً عندما انطلقت الشعوب العربية والإسلامية لتقف مع هذا الفريق المقاوم أمام الموقف العربي، وحتّى الإسلامي، في كثير من مواقعه، الذي وقف ضدّ المقاومة بطريقة وبأخرى، بتحالفه مع إسرائيل في هذا المجال وتحالفه مع أميركا.

لذلك، إنّ هناك حرباً جديدة على المستوى السياسي والإعلامي من أجل محاصرة المقاومة الإسلامية، وهذا ما لاحظناه في مسألة القرار 1701، الذي استدعى أغلب القوّات الدولية في العالم من أجل حماية إسرائيل من المقاومة الإسلامية، لا حماية لبنان من إسرائيل، وهذا ما صرّحت به المستشارة الألمانية، من أنّنا جئنا من أجل حماية الوجود

الإسرائيلي. ولكن من الطبيعي أنّ هذه الحرب تحتاج إلى الكثير من الجهد والصمود، والكثير من الانضباط، حتّى لا نسمح للآخرين باختراق هذا الجدار المنتصب من الحريّة، وهذا يحتاج إلى جهدٍ كبير فوق العادة في هذا المجال، بأنْ نجمع كلّ الذين يؤيّدون حركة الحريّة لمواجهة إسرائيل والسياسة الأميركية، لنخطّط من أجل تفادي الضغوط التي تُفرض علينا هنا وهناك.

أمّا بالنسبة إلى السؤال الثاني، حول التواصل مع الجانب العربي والإسلامي، فعلينا أن نقوم بحملة توعوية فكرية تعمِّق هذا الحماس المؤثّر في الشارع العربي والإسلامي، من أجل إسقاط التفكير التكفيري الذي يحاول إثارة المسألة في داخل الواقع الإسلامي، كما يحدث الآن في العراق، وكما انطلقت بعض الأصوات في بعض المناطق العربية من خلال بعض الفتاوى أو بعض التصريحات وغيرها، وأن نعمل على أساس أن نقدّم هذه التجربة الرائدة للعالم العربي والإسلامي، في عملية دراسة لعناصرها، حتّى نستطيع تطوير هذه العناصر، ومدّها إلى الواقع العربي والإسلامي في المعارك القادمة، سواء مع إسرائيل أو مع أميركا. إنّنا نعتبر أنّ المقاومة الإسلامية استطاعت أن تعطيَنا النظرة الواقعية بأنّ هناك إمكانية لقهر هذا الأخطبوط، سواء في السياسة الأميركية أو الإسرائيلية أو العربية التي تقف على الهامش.

إنّ هذه التجربة أعطتنا نظرة واقعية لإمكانات استنفار عناصر القوّة الموجودة لدى الأُمة في حركة الانتصار. ولكن الكلام عن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة طويلة ممتدّة وإلى وقتٍ طويل.

استنفار استباقي

*** هل «الاستنفار العربي» الذي شهدناه ضدّ حزب الله لجهة ما حقّقه في لبنان، هو استنفار استباقي ضدّ المشروع الإيراني، خوفاً من أن يتخطّى حدود الساحة العربية؟**

– نحن نعتقد أنّ علينا أن نطوّر مسألة الخلافات السنيّة ـ الشيعية، بحيث نحجّم كثيراً من الحالات التي تحوّلت إلى حالات نفسيّة، بدل أن تكون حالات موضوعيّة، ونحاول أن نضع الماضي في دائرته الخاصة، لنأخذ منه الدروس في قضايا النصر والهزيمة والوحدة والخلاف، على طريقة

الآية القرآنية القائلة: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:134]. إنّ علينا أن نتجاوز المسألة التقليديّة في إدارة مسألة الخلاف السنّي ـ الشيعي، لأنّ المشكلة هي في الكثير من التصرّفات السلبية التي تحدث من هذا الجانب أو ذاك الجانب، في عملية تكفير هنا أو سباب ولعنٍ هناك، لذا علينا أن نعمل على تطوير الأسلوب الذي يحكم خلافاتنا ويعيدها إلى الله والرسول في هذا المجال.

ولعلّنا حين نواجه المسألة الحضارية، وهي أنّنا نعيش في عالم يتقبّل الآخر، ويحرّك الخلافات في المجال العالمي، فإنّ علينا أن نستخدم ذلك، أيّ قضية قبول الآخر والاعتراف به، في تحريك الحوار الموضوعي، من أجل أن نسقطها على هذا الصراع بين السنّة والشيعة، ونحاول أن نعمل على أساس الاستفادة من هذه الوحدة السياسية التي انطلقت في الشارع العربي والإسلامي، وتجاوزت المسألة السنيّة والشيعية، حتّى إنّ علماء السنّة الذين كانوا معقّدين ضدّ الشيعة، رأيناهم يقفون في هذه المعركة ليتحدّثوا بإيجابية عن الخطّ الإسلامي في خطّ التشيّع، وعن الدعوة إلى الحوار في هذا الشأن.

إنّني أعتقد أنّ الوحدة السياسية الشعورية في قضايا الأُمة، يمكن أن نستخدمها في وحدة إسلامية علميّة موضوعيّة.

*** هل فاجأتكم الحركات السنيّة الأصولية بمواقفها المؤيّدة للمقاومة الإسلامية في لبنان؟**

– لم تفاجئني كثيراً، لأنّ هؤلاء الأصوليين قد نختلف معهم في بعض أساليبهم أو في بعض نقاط تفكيرهم، ولكنّنا بالرغم من اختلافنا معهم، فنحن لا ننكر أنّ هناك روحاً إسلامية عميقة ربّما يخطئون في خطوطها. ولكنّ هذه الصدمة التي هزّت العالم الإسلامي، استطاعت أن تنطلق إلى أعماقهم التي كانت تعيش الشعور بالذلّ أمام العنفوان الإسرائيلي والأميركي، لأنّهم شعروا بأنّ هذا الانتصار استطاع أن يحقّق لهم شيئاً من العزّة والكرامة بما غطّى كلّ المشاعر السلبية عندهم.

*** هل هي فلسطين التي تبقى دائماً القادرة على جمع كلّ هذه التناقضات؟**

– إنّني أؤمن بأنّ فلسطين هي القضية الوحيدة التي تهزّ عقل كلّ إنسان مسلم وشعوره، سواء كان عربياً أو غير عربي، ولهذا كنتُ أقول ولا أزال، إنّ علينا أن نحرّك الوحدة الإسلامية من خلال

القضية الفلسطينية، لأنّ المسلمين جميعاً يلتقون عندها روحياً وشرعياً وسياسياً وحركياً.

*** هل تخشى من عمليّة وأد لهذا الانتصار الذي تحقّق، لأنّ القراءة الغربية له أنّه يمسّ وجود إسرائيل كوجود؟**

– إني أعتقد أنّ هناك روحاً جديدة استطاعت أن تنطلق في العالم، وإن بشكلٍ محدود جدّاً، ضدّ إسرائيل، لأنّ كثيراً من العلامات الاستفهامية قد رسمت على السلوك الإسرائيلي في هذه الحرب، حتّى إنّنا رأينا المظاهرات في أكثر من بلد غربي تتحرّك للاحتجاج على الطريقة الإسرائيلية في إدارة هذه الحرب.

إنّ المسألة هي أنّ هناك حرباً عالمية جديدة على القضايا الإسلامية وعلى الإسلام بالذات، لذا لا بدّ من التحرّك بالمقاومة السياسية والثقافية والإعلامية، حتّى نستطيع أن نحقِّق انتصاراً هنا أو هناك، وأن نخرج من جوّ اللامبالاة وحالة الاسترخاء، لنشعر أنّنا لا نزال في معركة قد تختلف وسائلها وأدواتها، ولكنّنا نملك الكثير من هذه الأدوات والوسائل، ويبقى أن نحرّكها ونستخدمها ونطوّرها في هذا الصراع الذي سوف يستمر، لأنّ أميركا باتت تفكّر بإمبراطورية كونية، خصوصاً من خلال عقلية هذا الرئيس الغبي(*) الخاضع للذين يريدون السوء بالأُمة، ما يجعلنا نعتقد بأنّ هناك حرباً مستمرة، سواء كانت حرباً استباقية أو غيرها، وعلينا أن لا نضع أسلحتنا، بل أن نحرّكها ونطوّرها في مواجهة ذلك التنين.

*** من خلال قراءتكم لموازين القوى الموجودة على الساحة العربية والعالمية، أي بين هذا الضعف العربي والقوّة الإيرانية الناهضة والواضحة، هل ترون أنّ موضوع فلسطين سيكون في عهدة إيران أكثر منه في عهدة العرب؟**

– نحن نعتقد أنّ العرب تحرّروا من فلسطين، ولم يعد هناك شيء فلسطيني في الذهنية العربية الرسمية، حتّى إنّ الشعوب العربية عُزلت عن الفاعلية في المسألة الفلسطينية، وإن كانت لا تزال تعيش الحالة الشعورية المتعاظمة التي تنطلق بين وقتٍ وآخر من خلال بعض الأحداث أو الصدمات.

إنّ الواقع العربي الرسمي أصبح أقرب إلى الإسرائيلي منه إلى الفلسطيني، وربّما

(*) الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش.

يشعرون أنّ فلسطين قد تحوّلت إلى عبء على السياسة العربية الموظّفة لخدمة السياسة الأميركية ـ الإسرائيلية. ولعلّنا نلاحظ الآن، أنّ بعض الجهات الأمنية الرسمية العربية، تهدّد حركة حماس بأنّهم إذا لم يطلقوا الجندي الإسرائيلي(*)، فسوف تقوم إسرائيل باجتياح غزّة من جديد وتطبق على القيادات.

إنّ العرب يهدّدون الفلسطينيين بإسرائيل بدلاً من تهديد إسرائيل بالفلسطينيين. لهذا أتصوّر أنّ الجمهورية الإسلامية في إيران، تنطلق من قاعدة إسلامية تفرض عليها الوقوف مع الشعب الفلسطيني ودعمه بكلّ إمكانات الدعم التي تصل إلى داخل فلسطين، لأنّ المسألة الفلسطينية خرجت من الدائرة العربية، وأصبحت المشكلة عند العرب، وكما قرأنا في تصريحات المسؤولين الأميركيين أخيراً أنّ العدو الجديد الذي تحاول أميركا تقديمه للدول العربية، وخصوصاً الخليج، هو إيران وليس إسرائيل.

وهم يحدّثونهم عن الخطّ الإيراني، وهو أمرٌ وهمي، لأنّ إيران انفتحت على العالم العربي، ودعته إلى العلاقات الأمنية العميقة، وأمّا موقف إيران في العراق، فهو موقف ضدّ الاحتلال الأميركي، وليس موقفاً لاستغلال العراق. إنّ المشكلة هي أنّ أميركا تحاول الإيحاء للواقع العربي الرسمي، بأنّ إسرائيل ليست هي العدو بل إيران، التي نعرف أنّها تدعم القضايا العربية، وهذا هو موقفها في دعم سوريا من جهة، والفلسطينيين وحتّى العراقيين بالمقاومة من جهة أخرى، وقد سمعنا من بعض السياسيين اللبنانيين من أفرقاء أميركا، أنّ العدو هو سوريا وليس إسرائيل.

إنّ هناك معركة في المفاهيم والخطوط والأساليب، وعلينا أن نحكم مواقعنا في هذه المعركة، وأن نأخذ من النصر الذي حصل في هذه الحرب الأساس لانتصارات جديدة على المستوى السياسي والثقافي والحياتي.

*** ما أبرز توقّعاتكم لنتائج العدوان وللبطولة التي قام المجاهدون؟ وما هي انعكاساتها المستقبلية؟**

– أنا أعتقد أنّها أعطتنا انطلاقةً جديدة في أنّنا نستطيع أن ننتصر إذا أخذنا بأسباب النّصر، وأنّ الهزائم التي وقعنا فيها إنّما انطلقت من خلال كلّ حالة الهزيمة.

(*) جلعاد شاليط وقد أسرته المقاومة الفلسطينية (حماس).

*** ماذا تعني تسمية حزب الله لهذا النصر بأنّه نصرٌ إلهيّ؟**

– لأنّ الشباب الذين انطلقوا في هذه المعركة هم شباب مؤمنون بالله، يخلصون لله وينطلقون من خلال وعد الله لهم بالنصر ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد:7]، لقد كانوا يعيشون هاجس النصر لله والإنسان ولعباد الله، لذا هو نصرٌ إلهيّ أحيط بكثير من الألطاف الإلهية التي حدّثنا عنها المجاهدون.

*** عندما زاركم الوفد المصري برئاسة مفتي الديار المصرية السابق د.نصر فريد واصل، وقد أدّى الصلاة خلفكم، ما الحديث الذي دار بينكم؟ وماذا تعني مشاركته الصلاة خلفكم؟**

– لقد تحدّثنا عن القضية الواحدة التي وحّدت المسلمين في الموقف ضدّ العدو الإسرائيلي، وأنتجت روحاً إسلامية جديدة، وأنّ علينا الحفاظ على هذه الوحدة الإسلامية على المستوى السياسي والثقافي، وكيف علينا أن ننطلق من خلال أنّنا أُمّة واحدة لا بدّ وأن تتعاطى مع خلافاتها على أساس الحوار العقلاني المنطلق من التقوى، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ [الأنبياء:92]، ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:59].

*** هل زاركم سماحة السيد حسن نصر الله بعد العدوان؟**

– زارني أثناء العدوان وبعده، واستطعنا الحديث عن المعركة كلّها من الناحية السياسية والعسكرية والروحية، وقد كنّا في مسار المعركة كلّها نتّصل بشكلٍ مباشر وغير مباشرٍ، لأنّي كنتُ أشعر أنّني في قلب المعركة، لأنّ هذه المعركة هي معركتي بالّذات، وأنّ كلّ هذا الجيل الذي خاض المعركة أكرمني الله أن أعدّه وأُربّيه طيلة أكثر من ثلاثين سنة.

*** في أي سياق كانت زيارات سماحة السيد نصر الله؟**

– في سياق التشاور والتواصل والتكامل، وكنتُ أعيش الأبوّة الروحيّة التي شعروا بها أكثر من أيِّ وقت، ولا تزال مستمرّة، وهي كانت موجودة أساساً، وهي باقية لأنّها تمثّل خلاصة العمر، حتّى إنّني حين خاطبتُ المجاهدين في خطابي معهم، كان قلبي يبكي وعقلي يفرح.

*** ما القلق الذي شعرتم بأنّه كان لدى سماحة السيد نصر الله حين زاركم؟**

– كانت هناك ثقة كبيرة جدّاً عنده، ومن الطبيعي أنّ من يخوض معركةً كهذه، لا بدّ وأن

يشعر بشيءٍ من القلق، ولكنّه القلق الذي لا يشلّ الموقف، بل يبحث من داخل الموقف عن النقاط التي تعطي الأمل.

❊ هل حصلت اتصالات بينكم وبين الإيرانيين خلال الحرب أو بعدها؟

– لقد زارني السفير الإيراني، ونقل لي رسالة حميمة وقويّة من آية الله الخامنئي، والتي تضمّنت تقديراً لمواقفي في هذه المعركة، وقد شكرته على ذلك، وقد تحدّثوا بتقدير لهذه المواقف، لأنّهم شعروا بموقف الإسلام في مواجهة التحدّي الأميركي والاستكبار الصهيوني، وكنّا في موقع الخطر، لأنّنا نشعر أنّ حياتنا كلّها كانت في مواجهة الخطر دون خوف.

❊ في أيّ أيام زاركم سماحة السيد نصر الله؟

– قبل انتهاء المعركة وبعدها.

❊ بماذا أوصيتم سماحة السيد؟

– من الطبيعي أنّ القضية كانت قضية التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر.

منزل في الذاكرة

13 ـ 11 ـ 2006

❊ للمنزل في حياة سماحة السيد، حضور قويّ إنساني، هذا المنزل دمّره العدوان الإسرائيلي. ما تعليقكم سماحة السيد على هذا الحدث؟ وماذا يمثّل لكم المنزل؟

– المنزل بالنسبة إليّ هو المكان الذي عشتُ فيه فترةً من الزمن في كلّ الأجواء واللقاءات والأفكار، بحيث أصبح جزءاً من حياتي، فصحيحٌ أنّ البيت يمثّل مجرّد وضع ماديّ من أحجار، ولكنّ من خلال ما عاشه هذا البيت من فترات الحركة المتنوّعة التي كنتُ أتحرّك بها مع الناس، والتي انطلقت في كثير من حالات الصراع القويّ المتنوّع في كلّ المجالات السياسية والإسلامية والاجتماعية، من خلال كلّ ذلك، أشعر أنّ البيت يمثّل جزءاً من حياتي فقدته، ولهذا تراني أردِّد مع المتنبّي الذي يعتبر أنّ حياتنا تنطلق من خلال الألفة، حيث يقول:

خُلقتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصِّبا   لفارقتُ شيبي موجَع القلبِ باكيا

❊ ماذا افتقدتم في هذا البيت المدمَّر بفعل الطيران الحربي الإسرائيلي؟

– البيت بالنسبة إليَّ لا يمثّل مجرّد مكانٍ بالمعنى المادي الذي يتكوّن من أحجار، بل يمثّل الموقع الذي تحرَّكت به حياتي في داخله، من خلال كلّ المراحل التي عشتها في حركة الصراع في المواقع التي عاشتها الأُمة، سواء من خلال صراعنا مع الاستكبار العالمي الذي تتقدّمه أميركا، أو من خلال الصراع مع إسرائيل، أو الصراع مع المتخلّفين ومع الخرافيين والغلاة من شعبنا، ومع الذين يتحرّكون بالعنف في مختلف المجالات.

لهذا كان البيت يمثّل المرحلة التي انطلقتُ فيها من أجل أداء رسالتي الإسلامية التي كانت تتحرّك على أساس تقديم الإسلام الحضاري للعالم، من أجل عالمٍ إسلامي ينفتح على الإنسان كلّه وعلى الحياة كلّها، وينطلق الحوار والموعظة والحكمة والجدال بالتي هي أحسن، ويتقبّل الإنسان الآخر، ليعود به إلى الحقائق من خلال طريقة التفاهم، وليعمل على أساس الدفع بالتي هي أحسن، ليحوِّل الأعداء إلى أصدقاء.

لقد كان البيت بالنسبة إليّ يمثّل كلّ هذه الأجواء المتنوّعة التي كنتُ أعيشها مع أكثر من فريق من الناس، سواء الذين يتمثّلون بالوسط السياسي أو الثقافي أو الشعبي أو حتّى في المواقع الدينية. لقد كان هذا البيت يمثّل حياة تنفتح على المستقبل، ولذلك، فإنّني شعرت عندما فقدته من خلال العدوان الإسرائيلي، أنّي فقدتُ جزءاً من حياتي ومن تاريخي، لأنّي فقدت كلّ هذه الذكريات الواقعية التي كانت تعيش في كلّ زاوية من زوايا هذا البيت، سواء في الجوّ العائلي، أو في الجوّ الاجتماعي أو السياسي، وأنا أستذكر أيضاً قولاً آخر للمتنبّي، وخصوصاً أنّ المتنبّي يعتبر الألفة هي الأساس في كلّ التزاماتنا في الحياة، بما في ذلك التزامنا بالحياة، حيث يقول:

إلـفُ هـذا الهواء أَوْقَـعَ في الأنْـ   ـفُـسِ أَنَّ الـحِـمـامَ مُـرُّ الـمَـذَاقِ
والأسـى قبلَ فُـرْقـةِ الـرُّوحِ عَجْزٌ   والأسـى لا يـكـونُ بعدَ الـفِـراقِ

ولذلك، فإنّني أعيش ذكريات البيت، لا كغرف وساحات، بل كجوٍّ كان عزيزاً على قلبي، لأنّه كان يمثّل قطعةً من حياتي.

*** هل كانت المكتبة تعنيكم أكثر من غيرها في البيت، بمعزل عن الذكريات الحميمة؟**

– لقد كانت المكتبة بالنسبة إليّ الموقع الثقافي الذي كنتُ أرجعُ إليه عندما أريد أن أنفتح على المعرفة المتنوّعة، وقد سقط الكثير منها، وبقي الكثير ممزّقاً، لا أدري هل أستطيع أن أنتفع به أم لا؟

*** هل هناك كتابٌ خاص مُهدى إليك افتقدته، لأنّ الإهداء يشكّل تواصلاً مع الشخص الذي قدّمه؟**

– لقد أُهديت إليّ نسخة فريدة من القرآن الكريم، ومن المؤسف أنّ هذه النسخة تمزّقت بسبب القصف الإسرائيلي العدواني، ولهذا فإنّي أشعر بالمأساة في ذلك.

*** مَن الذي أهداكم هذا القرآن الكريم؟**

– هذه النسخة مهداة من جهة إسلامية أخبرتني أنّه طبع من هذا النموذج مئة نسخة ووزّعت على أكثر من شخصيّة في العالم.

*** كم عدد المنازل التي تنقّلتم منها وإليها، إمّا بسبب الأحداث والأوضاع الأمنية، أو لغيرها من الأسباب، بدءاً من النجف؟**

– لقد تنقّلت من عدّة بيوت، من النجف جئت إلى النبعة، ثمّ من النبعة إلى بنت جبيل، ومن بنت جبيل إلى النبعة، ومن النبعة إلى جويّا، ومن جويّا إلى الشهابية، ومن الشهابية إلى الغبيري، ومن الغبيري إلى بئر العبد، ومن بئر العبد إلى حارة حريك، وها نحن نُهجَّر من جديد.

*** كم للبيت من عمقٍ إسلامي عند الإنسان، فالإمام عليّ يعبِّر عن حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى خلّانه وأوطانه؟**

– قلتُ إنّ البيت لا يمثّل موقعاً مادّياً من أحجار، ولكن يمثِّل كلّ هذه المرحلة من حياتي، مع تنوّع المواقع والخطوط وتنوّع الأشخاص وتنوّع حالات الصراع.

*** وفي العمق الإنساني؟**

– من الطبيعي أنّ الأجواء الحميمة التي يعيشها الإنسان في بيته بشكلٍ عائلي، تمثّل حالة

من الحنين، لأنّ الجانب الحميمي في الحياة له تأثير كبير على الجانب الشعوري للإنسان.

❋ هل هناك صور من صورِكَ الماضية افتقدتها وهي عزيزة جدّاً عليك؟

– هناك الكثير من صوري، ولاسيّما صور الطفولة، ذهبت في العدوان.

❋ من الناحية السياسية، استشهاد هذا البيت إلى جانب منطقة يُطلق عليها الإعلام اسم المربع الأمني، هل يوحي أنّ هناك تداخلاً سياسياً ما، مع ما تعرّضت له المقاومة؟

– لقد شعرتُ بالاعتزاز عندما هُدِّم هذا البيت من قِبَل العدو الإسرائيلي، لأنّني شعرت بأنّ التحدي الذي تحرّكت به ومنذ عشرات السنين ضدّ إسرائيل وأميركا التي تحتضنها، استطاع أن يؤثّر تأثيراً كبيراً في الذهنية الإسرائيلية التي شعرت بالكثير من المشاعر السلبية في ما كنتُ أواجهه في حالة هذا الصراع.

وهكذا، لقد شعرتُ باعتزاز لأنّي شاركتُ الناس كلّهم والمجاهدين في بيوتهم المهدّمة وما خسروه بفعل العدوان الإسرائيلي، لأنّي أحبّ أن أكون مع الناس، ولا أحبّ أن أتميّز عنهم حتّى بهذه الطريقة.

❋ هل سيعاد بناء البيت في مكانه، وباللمسات المعمارية ذاتها التي كان عليها؟

– سنحاول ذلك إن قدّر الله تعالى، ولكن تبقى ذكرياته هذه في كلّ غرفة وجدار، فالبديل لن يُرجِعَ تلك الأجواء التي انطبعت في كلّ زاويةٍ من زوايا هذا البيت.

❋ قلتُم إنّكم شاركتم المجاهدين في موضوع البيت، والبعض كان يقول إنّكم أوشكتم مشاركتهم في الشهادة. إلى أيّ حدٍّ وصل هذا الأمر؟

– لقد عشتُ أجواء روحيّة الشهادة في كلّ المرحلة التي دخلنا فيها المعركة بكلّ قوّة، وكنتُ أشعر أنّي عشتُ مسألة الاقتراب من الشهادة في كلّ حياتي، وكنتُ أنتظر أن أدفع ثمن مواقفي، ولكنّ الله تعالى لم يقدِّر لي ذلك، ولكنّي أنطلق على أساس أنّ الشهادة ليست مزاجاً لأنّني أفكّر بالنصر.

❋ لماذا هذا الإصرار على البقاء مع الناس؟ وقد علمنا أنكم أصررتم على البقاء مع الناس؟

– لقد بقيت مع الناس، وقد طلب منّي كثيرون أن أسافر إلى بلدٍ آخر، أن أغادر إلى دمشق،

ولكنّي رفضت وقلت: لقد عشتُ كلّ حياتي مع الناس، أُشاركهم آلامهم وأوضاعهم، ولهذا سأبقى معهم، وبقيت معهم.

❋ قليلون يعرفون أنّكم في كلّ الاجتياحات عشتم مع الناس وبينهم؟

– لقد عشتُ في الاجتياحات الإسرائيلية مع أهلي وأبنائي من الناس، وكنّا ننزل إلى الملاجئ غير الآمنة، وكنتُ أتحرّك بين مسجد بئر العبد والمنزل، فلا أجد إلاّ أفراداً من الناس والقصف ينطلق، ولكنّي تمرّدت على القصف. وقد شاركت أيضاً في الاحتجاج على اتفاقية 17 أيار، وواجهنا الموقف بالاعتصام الشهير، وكان أول شهيد «محمد نجدي» حين تصدّى الجيش للمتظاهرين والمعتصمين.

❋ مولانا، لم تبقوا فقط مع الناس، بل كنتم صوت المقاومة، وبدت شراستكم في الدفاع عن الحالة الإسلامية المقاومة التي تجلّت خلال «33» يوماً، لقد كنتم صوت «حزب الله» بشكلٍ جليّ؟

– لقد كانت المقاومة، ولا تزال، جزءاً من حياتي وكياني وعقلي وقلبي، ولهذا، فإنّني أعتزّ بالدفاع عن المقاومة منذ نشوئها، حيث كنّا مع المجاهدين في خلدة(❋) نتابع يومها انطلاقة المقاومة، وكذلك الأمر في بئر العبد وغيرها من المواقع. لهذا فالمقاومة هي جزءٌ من حياتي، وقد حاولت متابعتها بالرّغم من كلّ التعقيدات التي واجهتني في حياتي. إنّ المقاومة تمثّل عقلي وقلبي وشعوري وحياتي، ولهذا عندما خاطبتُ المجاهدين المقاومين، كنتُ أخاطبهم من كلّ قلبي الذي كان ينفتح على كلّ مواقعهم في ساحة الجهاد.

❋ هل كان موقفكم ينطلق من دون أيّ تنسيق مسبق مع قيادة حزب الله؟

– لقد كنتُ أنطلق من خلال كلّ ما أعيشه للمقاومة، لم أنسّق مع أحد، بل أنسِّق مع رسالتي وحياتي.

❋ هل تلقيتم دعوةً لزيارة إيران؟

– لقد قُدِّمت لي أكثر من دعوة، ولكنّ ظروفي لم تسمح بالزيارة.

(❋) وذلك عندما تصدّى المجاهدون للدبابات الإسرائيلية عام 1982 حين دخولها إلى بيروت.

قراءات سياسية

20 ـ 11 ـ 2006

*** بقراءتكم العميقة للواقع السياسي العربي والاجتماعي بنسيجه الواقعي والمذهبي والثقافي، سواء المتخلّف منه أو المتقدّم، لديّ جملة أسئلة حول هذا الموضوع:**

- في الواقع السياسي، ماذا لو صحّت مسألة التقارب الأميركي ـ السوري؟ كيف ستنعكس على العلاقات الإيرانية وحزب الله في لبنان؟ على واقعهما؟ وماذا إذا لم تنشأ مقاومة شبيهة بمقاومة حزب الله في لبنان، وذلك في أيّ دولة عربية مجاورة؛ هل كان سيؤدّي ذلك إلى جفاف المحيط حول حزب الله، وبالتالي الانقضاض عليه وخنقه؟

- ماذا لو تغيّرت الظروف السياسية المعاكسة لكلّ هذا الواقع؟

- ما هي قراءتكم المستقبلية؟ وهل تستطيع إيران الدخول إلى نسيج كلّ هذا الواقع العربي بشقَّيه المذهبي والاجتماعي؟

- نحن نعرف دائماً أنّه ليس هناك مطلق في السياسة، ولكنّ السياسة تخضع لعنصرين: عنصر القضية التي تتحرّك فيها، وعنصر الضغوط المحيطة بها، وفي داخل هذه الظروف، هناك المصالح بين دولةٍ ودولة، أو بين محور ومحور.

في البداية، في تصوّري أنّ العلاقات بين سوريا وحزب الله، مروراً بالعلاقات بين سوريا وفلسطين والمقاومة الفلسطينية، ليست علاقات هامشية، لأنّ سوريا تبحث عن موقعٍ لها في المنطقة بالمستوى الذي يجعلها موقعاً متقدّماً في الحركة الدولية، نتيجة ما تملكهً من مواقع هنا وهناك.

إنّني أتصوّر أنّ العلاقات بين سوريا وأميركا تتحرّك بشكل أساسي في المسألة العراقية أكثر من أيّة مسألة أخرى، لأنّ المشكلة التي تواجه أميركا الآن في المنطقة، بالمستوى الذي

يجعلها بحاجة إلى سوريا، هي مسألة العراق، لأنّه يمكن لسوريا أن تتحرّك في الواقع العراقي سلباً أو إيجاباً. أمّا المسألة المتّصلة بحزب الله وفلسطين، فقد تقع في الدرجة الثانية، لأنّها تتّصل بالمسألة المرتبطة بالعلاقات بين أميركا وإسرائيل. وإذا كانت أميركا، كما يتحدّث الإعلام، وكما يُثار في هذه الأيام، تعمل على أساس إيجاد صيغة لمسألة الشرق الأوسط، فإنّ ذلك سوف يخفّف كثيراً من الضغط الذي يمثّله حزب الله، لأنّ المسألة في حزب الله أميركياً، هي الخطورة التي يمكن أن تنعكس على إسرائيل ودور إسرائيل، وهكذا بالنسبة إلى المسألة الفلسطينية، لهذا فإنّي أعتقد أنّ العلاقات السورية ـ اللبنانية في دائرة حزب الله، أو الفلسطينية في دائرة الانتفاضة، تعتبر مسألة ثانوية بالنسبة إلى مسألة العراق.

أما مسألة انعكاس العلاقات الجديدة، أو التي يمكن أن تستجد بين أميركا وسوريا، فأنا أعتقد أنّها لن تترك تأثيراً على إيران، لأنّ أميركا تعمل الآن وتخطِّط من أجل أن تتفاوض مع إيران في المسألة العراقية، تماماً كما هي في المسألة السورية، وربّما تترك علاقات أميركا بسوريا تأثيراً إيجابياً على ما تريده أميركا من سوريا في المسألة الإيرانية في هذا المجال، باعتبار العلاقات السورية ـ الإيرانية.

ولذلك أعتقد أنّ المستقبل المتعلِّق بالمنطقة مرتبط بالعلاقات الأميركية ـ الإيرانية، لأنّ إيران تُعتبر دولة كبرى في المنطقة، ولها امتداداتها ولها علاقاتها بالمحيط الدولي، وخصوصاً أنّ دول الخليج التي تريد أميركا تخويفها من إيران، تشعر بأنّه من الصّعب جدّاً أن تكون علاقاتها بإيران سلبية، ولهذا فهي تحذر من وجود أيّ موقف سلبي بين أميركا وإيران، لأنّه سوف ينعكس عليها سلباً، من جهة نجاح الناحية الأمنية الداخلية، ومن ناحية تصدير البترول وغيره، لأنّ العلاقات الأميركية ـ الإيرانية إذا تعقّدت وأضيفت إليها تعقيدات العلاقات الإسرائيلية ـ الإيرانية، وتحوّلت إلى حالة عنف، فإنّها قد تحرق المنطقة، وقد تنعكس سلباً على مضيق هرمز، وهذا ما قد يُدخل المنطقة في حريق هائل.

إنّي أعتقد أنّه من الصعب جدّاً أن تنطلق العلاقات الأميركية ـ السورية بشكلٍ سلبي على العلاقات الإيرانية ـ السورية.

*** سألتكم عمّا إذا لم تتوسّع تجربة حزب الله؟**

– أنا أعتقد أنّ الظروف التي تتعلّق بمسيرة حزب الله، والدقّة التنظيمية التي تشمل نسيجه في

كلّ أوضاعه، وفي طبيعة الامتداد الذي يمثّله في العالم العربي والإسلامي بفعل الانتصار الذي تحقّق عام 2000، وأخيراً في معركته مع إسرائيل عام 2006، سوف يجعل لحزب الله امتداداً لوقتٍ طويل، من دون أن يكون هناك أيّة حالة حادّة لضرب حزب الله، لأنّ هذا التنظيم يملك رشداً سياسياً يجعله بعيداً عن المغامرة التي يمكن أن لا تكون محسوبة في هذا المجال.

*** سؤالي حول عدم التناسب ما بين مقاومة في لبنان، وجمود رسمي وشعبي في العالم العربي؟**

– نحن نستبعد نشوء مقاومة مشابهة لمقاومة حزب الله في العالم العربي، ولكنّ العالم العربي لا يزال يعيش المقاومة الشعورية إنّ صحّ التعبير، بحيث إنّ الشعوب العربية تدعم وتؤيّد كلّ مقاومة ضدّ العدو الصهيوني. وفي المقابل علينا مراقبة المستقبل في ما تُصرِّح به إسرائيل وفيما تحدّث به الرئيس الأميركي(*) مع رئيس الحكومة الصهيونية(**)، عندما قال له: «درّبوا قواتكم ونحن نسلّحكم». فهل هناك خطّة أميركية ـ إسرائيلية جديدة للدخول في حرب مع حزب الله أو ليس هناك خطّة؟ فإذا كان هناك خطّة، فإنّ الوضع سوف يدخل في مشاكل كبيرة جدّاً في هذا المقام.

وأعتقد أنّ المقاومة الإسلامية، تأخذ استعدادها على أساس أن يكون هناك حرب واسعة مع أميركا في هذا الموضوع. ولعلّ الواقع السياسي الذي يعيشه لبنان في مقاومة الفريق الأكثري لحزب الله أو للمعارضة بشكلٍ عام، ربّما يترك تأثيراً على مستقبل المقاومة في مواجهتها لإسرائيل، ولكنّي لا أجد أيّةً فرصة لانتصار هذا الفريق الأكثري من الناحية السياسية، بالمستوى الذي يستطيع فيه أن يضعف أو يسقط حزب الله في لبنان.

*** وفي ظلّ تغيّرات تحصل على الصعيد الإقليمي والعالمي بسبب تعثّر المشروع الأميركي في المنطقة، وإذا ما استمرّ تعثّر هذا المشروع، فالأمور ستغاير الواقع الحالي؟**

– إنّنا نتصوّر أنّ هناك نوعاً من التغيير في المسار الأميركي في هذا المقام، ولكن لا نتصوّر أنّ هذا التغيير سيطال العلاقات الأميركية ـ الإسرائيلية، ولهذا فإنّ أميركا ستبقى في خطّ التعقيد لأيّة مقاومة لإسرائيل، سواء كانت مقاومة في لبنان أو في فلسطين، ولكن علينا أن

(*) بوش.
(**) أولمرت.

نتابع حركة ما يسمّى السلام بين إسرائيل والبلدان العربية، وإمكانية صُلح شامل فيما بينها، فإنّ هذا إذا حصل، سينعكس انعكاساً كبيراً جدّاً على طبيعة حركة المقاومة وحريّة عملها، وعندها لا بدّ من السؤال: هل تستمرّ في مواجهة إسرائيل؟ وهل تغامر إسرائيل بضرب المقاومة بعد الصّلح؟ وهل ستواجه الدول العربية المقاومة بطريقة عنيفة بالتخطيط مع أميركا؟ أسئلة تحتاج إلى مراقبة ومتابعة.

*** إذا ما تمَّ الوصول إلى تسوية أو حلّ أو صلح مع إسرائيل من جانب الدول العربية، فهل سيؤدّي ذلك إلى إضعاف دور إيران الخارجي؟**

– في تصوّري أنّ إيران بلغت من هذه القوّة مستوىً يجعل من الصّعب إضعافه من أيّة جهة، ولهذا فإنّ هذه القوّة التي تتمتّع بها إيران، سواء كانت قوّة اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، سوف تفسح لها في المجال للامتداد في محيطها، ليس من الضروري المحيط العربي، ولكن من خلال علاقاتها بالهند وباكستان وروسيا والصين، فإيران تملك الكثير من الفرص للاستزادة والاستفادة من هذه القوّة على مستوى علاقاتها السياسية، وخصوصاً أنّها من الدول التي تملك إمكانات هائلة في الغاز والبترول التي تحتاجها الصين واليابان وغيرهما، ما يجعل دورها كبيراً حتّى على المستوى الاقتصادي بالنسبة إلى الدول الأوروبية.

توضيحات

*** قبل الانتهاء من الوقت المحدَّد لي الآن، وبعد الانتهاء بحمد الله من إجراء هذه الحوارات، وعلى مدى شهور طويلة، أودّ من سماحتكم الإجابة عن بعض الأسئلة حول المحاور القديمة:**

– هناك فتوى أصدرتموها العام الماضي، وتتعلّق بجواز ارتداء المرأة للشعر المستعار كحلّ لمسألة الحجاب، ولكنّ البعض رأى في هذا الحلّ التفافاً على الموضوع، خاصةً أنّ صنّاع التجميل في العالم باتوا يصنّعون (باروكة الشعر) كمادّة تجميلية، كما لو أنّها مادّة شعر أساسية، فإذا كانت الغاية ستر شعر المرأة، فما وظيفتها في هذه الحالة؟

– هناك نقطة ينبغي توضيحها في هذا المجال، وهي أنّنا لا نسمح في الحالات الاختيارية

بلبس الباروكة، لأنّها، كما يطرح السؤال، تمثّل وضعاً تجميلياً ربّما يكون مثيراً أكثر من الوضع الطبيعي، كما في كشف المرأة لشعرها. وهذه مسألة محسومة من ناحية مبدئية، ولكن عندنا تكليف شرعي، وهو أنّ المرأة لا يجوز أن تكشف شعرها للرجال، شعرها الأصلي الطبيعي، فإذا حدث لغطٌ عليها بشكل فوق العادة، بحيث يجعلها تسقط في كلّ قضاياها الثقافية والتربوية، وحتّى الرسميّة في هذا المجال، فإنّ الأمر يدور بين أن تخرج سافرةً فتتمرّد على الحكم الشرعي التقليدي، وبين أن تخضع لمقدار الضرورة لبعض المستويات التي يمكنها أن تتخفّف فيها من الضغط من دون أن تبتعد عن الحكم الشرعي، وإن ابتعدت عن بعض إيحاءاته، على طريقة أنّه ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة:173]. ونحن عندما نؤكّد الرخصة في هذا المجال، فإنّنا نجعلها رخصةً محدودة جدّاً بمقدار الضرورة، أو الموظّفة مثلاً التي تدخل المدرسة أن تكتفيَ بلبس الباروكة أو غيرها لستر ما يجب ستره في المدرسة، فإذا خرجت إلى الساحة العامة، فعليها الرجوع إلى حجابها. لذلك فالمسألة تدخل في باب الضرورات، ولا تدخل في باب الحالات الاختيارية الطبيعية.

*** تعقيباً على جواب سابق: نرى أنّ مجتمعنا الإسلامي عنده قابلية للتناحر والتفكّك، وكأنّه لا نضوج عنده لفكرة الانتماء إلى الأُمّة والعيش المشترك، إضافةً إلى غياب مفهوم المواطنة، إذ نرى أنّ الأمور تسير في اتّجاه الاحتكام إلى نظام السماء وليس الأرض، فهل من رؤية حول هذا؟**

– نحن نعتقد أنّ مسألة السماء لا تبتعد عن الأرض، فالدين لم يُصنع ويأتِ ليخدمه الإنسان، بل جاء هو ليخدم الإنسان، فالسماء هي أرضية في مسألة حركة الإنسان في التزاماته الذاتية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية في هذا المجال، والله لم يشرّع الدين للإنسان لكي يعيش في السماء، ولكنّه شرّعه ليعيش في الأرض: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال:24]. ولهذا، فإنّ هذه الحالة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي من التمزّق، وفي هذا النوع من المتاهات، ربّما هذه انطلقت من بعض حالات التخلّف التاريخية، ومن خلال بعض الأوضاع السياسية المحيطة التي تعمل على إرباك العالم الإسلامي، ولكنّنا عندما نلاحظ الكثير من الحالات الاجتماعية في الوسط الاجتماعي، فإنّنا نجد تجربة ناجحة وجيّدة في وجود مجتمعات منفتحة تمارس خلافاتها بشكلٍ طبيعي من دون أي تمزّق.

وإذا درسنا ـ مثلاً ـ حالة الإرهاب التي يُتّهم بها العالم الإسلامي، وقمنا بمقاربة بين كم يمثِّل هؤلاء الإرهابيون، وكم يمثِّل الناس الذين يرفضون الإرهاب ويعيشون بسلام، فسوف نجد أنّه ليس هناك مفارقة في هذا المجال. أنا أعتقد أنّ العالم العربي والإسلامي لا يمثِّل هذه الحالة السلبية التي يتحدّث عنها الإعلام، فما هو موجودٌ عندنا موجودٌ عند الجانب الآخر، ولكنّها ليست حالات سلبيّة مطلقة.

❊ بالنسبة إلى غياب مفهوم المواطنة؟

– نحن بحاجة إلى التوفيق بين الانتماء الديني والانتماء الوطني، وقد كتبتُ حول هذا الموضوع منذ زمن بعيد في هذا المجال، لأنّ المشكلة هي أنّ هناك مفهوماً خاطئاً يحاول جعل الانتماء للمواطنة نقيضاً للدين، وأنّ الدين يأمر الإنسان بالعيش بعيداً عن خصوصية الوطن، وهذا مفهومٌ خاطئ.

❊ دراسات الباحثين الاجتماعيين تقول: إنّ الراحة في الأوضاع الاقتصادية تخفّف التناحر السياسي، والعكس صحيح. ألا يمكن الفصل بين العبادات الروحية والبرامج الاقتصادية؟

– أنا لا أعتقد أنّ الحالات العباديّة يمكن أن تمثِّل حالات سلبية في المسألة الاقتصادية أو الاجتماعية، ولكنّ تحريك الأجواء الروحية لتتحوّل إلى أجواء سياسيّة معقّدة وعصبيات، هو الذي يثير المسألة بطريقةٍ سلبية.

❊ لفتني حديث لرئيس رابطة علماء الاجتماع العرب الدكتور طاهر لبيب، يقول: إنّ ثقافة التفكير في عالمنا العربي متخلّفة بشكلٍ لم يسبق له مثيل منذ 150 سنة؟

– أنا أقول إنّ العالم العربي يخضع لهزّات سياسية تحاول أن تعيد إليه، وبطريقة غرائزيّة، مسألة الالتزام بعصبيات الماضي. لهذا أتصوّر أنّ هناك محاولة لمصادرة التفكير، لأنّ الناس الذين يفكّرون بأصالة مقموعون في العالمين العربي والإسلامي. ولكنّنا إذا استطعنا أن نتطوّر، فهناك إمكانات لإعادة التفكير، وأعتقد أنّنا في العالم العربي والإسلامي لدينا نماذج مفكِّرة جيدة، ولكنّ الوضع السياسي المعقّد هو الذي يحجب الصورة المشرقة في هذا المجال. نحن لا نشعر بالسلبية المطلقة حيال هذه المسألة.



المحتويات



صمتٌ، وسماعٌ لرجل جليل، وضّاء الوجه، يتصدّر المكان. يملأ فضاءه... ومن هذا الفضاء، وعبر الأثير، نلحظ إشراقة الوجه قبل أن نرى تفاصيله. تنصت بملء جوارحك... تخشى ضياع ما تسمع... تفهم أو لا تفهم، فليس ذاك بالأمر المهم، فسيبقى لك ما تلتقطه: فكرة، نصيحة، نغمة صوت حزين، لُكْنة عراقية محبّبة، فيضان أفكار لا يتّسع لها الزمن.

منى سكريّة

إصدار المركز الإسلامي الثقافي
لبنان - حارة حريك - مجمع الإمامين الحسنين (ع)